الجزء الثانى والثلاثون من قصة فارس
الطراد من زلزل جميع الاوهاد
وأذل من فى الحصون والاوتاد
وحير العقول وفتت
الاكباد وأذل كل
بطل من الامجاد
ابو الفوارس
عنتر بن
شداد

هذه من السيره الحجازيه

1

الجزء الثاني والثلاثون من قصة فارس
الطراد من زلزل جميع الاوهاد
وأذل من في الحصون والاوتاد
وحير العقول وفتت
الاكباد وأذل كل
بطل من الامجاد
أبو الفوارس
عنتر بن
شداد

هذه من السيرة الحجازية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قال الاصمعى﴾ هذا وقد أمرت عنترة الجيش بالرحيل فرحلة العرب من غير تهاون ولا تطويل وساروا ذلك اليوم وتلك الليلة يقطعون الروابى والبطاح فصبحوا حى بنى عامر صباح ولما قاربوا البيوت أكثروا من الصياح وظهرت بنى عامر أيضا وقد ضاقت عليهم الأماكن الفساح وتدانت من بعضها بعض الفريقين وحان بينهما الحين و زعق عليهما غراب البين وتراموا باليدين والرجلين وأصابتهما العين وصارحا الحماشين وقربت المواكب من المواكب وهزوا فى أيديهم القواضب وقد بان المغلوب من الغالب وساروا بين مغلوب وغالب ومنكوب وناكب ومنهوب وناهب ومضروب وضارب وظهرت بينهم العجائب والغرائب وما نفع فى تلك الساعة لا خل ولا صاحب ﴿قال الاصمعى﴾ لهذا الديوان وكان قد حل

فى أوائل الفرسان أربعة وهم حماة بنى عبس وعدنان وأشهر واقى أيديهم السنان فيهم عنيترة بنت عنتر سيد الفرسان وخالها عمر وذوالكلاب الاسد الغضبان وزهير بن الملك قيس سيد العربان وزيد بن الامير عمر وابن الورد سيد الفتيان وعتيبة بن حصن الفارس القسور ثم انهم حملوا على ذلك الجيش وأذاقوا بنى عامر فى ذلك اليوم الموت الاحمر والبلاء الاكبر وأوردوهم فى أرواحهم العبر من سيوف لا تبقى ولا تذر ﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب الذى يجب أن نسوقه على الترتيب فعند ذلك تلقاهم عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة والاحوص ابن جعفر وكان لهم يوم شديد أغبر كأنه من أيام الساعة التى هى أدهى وأمر وحمل أيضا مع بنى عبس خفاف بن ندبة ودثار بن روق ولهم عزيمة وهمة وكانوا كما قد ذكرنا قد أرسلهم لهم الامير دريد بن الصمة وحمل أيضا سبع اليمن بن مقرى الوحش فارس النياق وحمل فى أثره عتيبة بن حصن ابن حذيفة وأبزلوا فى بنى عامر السيوف والرماح وأظهروا ما عندهم من الشجاعة والقوة ولم يأخذهم فزع وزادت منهم المروة وصاحوا صياح الليوث العوابس وانصبوا على مواكب بنو عامر أنصباب الليث العابس وقد أسروا ثلاثين كأنهم الجن والابالس ﴿قال الاصمعى﴾ وقد أقاموا بنى عبس وبنى قضاعة وأقاموا الحرب على قدم وساق وطوقوا بالدم الرقاب والاطواق وضربوا الرؤس وأبروا الاعناق ومحقوهم أى امحاق وبلغت الارواح الفراق وأكثروا الصياح والزعاق وذهبت من شدة الكروب الاخلاق وجالت الخيل على بعضها البعض وانطرحت الاجساد على بسيط الارض ورأت فرسان بنى عامر وكلاب من بنى عبس وبنى قضاعه ساعة وأى ساعة فعند ذلك قال علقمة بن علاقه وكان من فرسان بنى عامر الموصوفة وشجعانهم المعروفة لبنى عامر ياويلكم دونكم وهؤلاء الانذال لا تدعوا منهم سامع ولا ناظر وقربوا منهم الآجال واسقوهم كأس الهوان والوبال وضيقوا عليهم المجال وارموهم ذات اليمين والشمال وخذوا بثاركم

منهم فلما سمعت بنى عامر ذلك المقال والقيل مالوا على بنى عبس وبنى قضاعة
كل الميل وحمل قدامهم علقمة بن علاقة ومروان بن مراقة وعامر بن
الطفيل فاستقبلتهم عنيترة وعمرو ذو الكلاب وزهير بن قيس وعتيبة بن
حصن و زيد بن عروة ودنار بن دوق وخفف بن ندبة وقناصة الرجال
وسبيع اليمن بن مقرى الوحش صديق عنتر وباقى الفرسان وأوقعوا ببنى
عامر بالذل والهوان وأبلوهم بالحرب والطعان وأبادوا منهم الشجعان
وأهلكوا الاقران ولم تزل الحرب تعمل والدم يبذل والرجال تجندل ونار
الحرب تشعل الى آخر النهار دقوا طبول الانفصال وعادوا الى الخيام
والاطلال وباتوا يتحارسان الى الصباح ولما ظهر الفجر ولاح ركبت
الفرسان على الجرد القداح بعدما اعتقلوا بالسلاح وطلبوا من بعضهم
البعض الحرب والكفاح ونادى ملك الموت لا براح لمن يبيع روحه بين
الارواح عند ذلك برزت الفرسان الى حومة الميدان فكان أول من برز
من بنى عامر ملاعب الاسنة ورداد الاعنة فصاح وطلب البراز فبرز اليه
واحد من بنى عبس فقتله وثانى فجندله وأسر منهم خمسة فرسان أقيال فلما
رأت عنيترة الى هذا الحال خافت على رجالها من الوبال فبرزت اليه
فى عاجل الحال وقالت له دونك والحرب يا ابن الانذال ويا فضالة أوباش
الرجال فصاح بها غشم بن مالك وحمل عليها حملة الاسد الرئبال فتلقته
عنيترة كأنها النمر الحردان وجالا الاثنين ما فى المجال وأظهرا الاهوال وكانت
عنيترة أثبت منه فى القتال وراوغته وضايقت عليه مجاله وطعنته بالسنان
فى صدره أطلعته يلمع من ظهره فانجدل ومال كأنه قطعة من بعض الجبال
فلما رأوا بنى عامر هذا الحال حملوا على عنيترة من اليمين والشمال عند ذلك
تلقتهم بنى عبس وبنى قضاعة كأنهم أسود الدحال وطال بهم المطال
والحرب والقتال وجرى الدماء وسال كأنه السيل اذا سال وزادت نار
الحرب اشتعال الى آخر النهار دقوا طبول الانفصال ورجعوا عن المجال لما
أقبل الليل بالاسندال وعول النهار على الارتحال ولما كان ثانى الايام

برزت عنيترة للجدال وطلبت الحرب والقتال وهي تنادي يابني عامر دونكم القتال والطعن والنزال ولا يبرز لي الا فارسكم عامر بن الطفيل الذي خان العهود والمواثيق وأنكر صحبة الصديق وقتل زوجة أبي وأبوها وأخوها وعمل هذه العملة ولم يعلم ان صاحب الثار لم ينام فليبرز ذلك اليوم الى الحرب والصدام الا انها ما سقمت كلامها حتى سار عامر بن الطفيل قدامها فلما نظرته عنيترة علمت بما في مراده فعند ذلك أنشأت تقول

أباعامر يابن بنت العواهـــر * أتاك القضاء من كف بنت الاكابر
ابي عنتر المعروف في حومة الوغا * همام البرايا ضـــاربا بالبواتر
فكافئته لما تولى بفعـــله * وجازيته بئس الجزاء بالعشائر
اما كنت ترعى حرمة الود بينكما * وتكرم له عبلة بطيب العناصر
ولكن جرى المقدور فيها فلا لمن * يعز عليك اليوم ضرب العنائر
فقد قيل في الامثال بيت مجرب * جرى ذكره بين الورى في العناصر
ومن يفعل المعروف في غير أهله * يلاقي كما لاقا مجير أم عامر

﴿قال الراوي﴾ ولما فرغت عنيترة من شعرها وما أنشأته من نظمها ونثرها حملت على عامر بن الطفيل حملة الاسد الدرغام وتضاربا بالحسام الصمصام وتطاعنا بالرماح المعتدلة القوام وأخذ معها عامر في الجد والكد والاخذ والرد والاقتراب والابعاد وكثر بينهما الشر والعناد وكان لهما ساعة تقشعر منها الاجساد ونظر عامر بن الطفيل من الاميرة عنيترة حرب مارئي عمره مثله في الزمان لا من فارس ولا من عشرة وسترتهما عن أعين الفريقين الغبرة وعلمت أم الزعازع أن عامر بقي قدامها قليل المقدار فسطت عليه بقوتها سطوة جبار وحملت عليه حملة صادقة ما عليها عيار وضربته بالسيف صفحا على قته فوقع من على الجواد وكادت أن تعدمه مهجته وبقي ممدود على الارض من غشوته لان الضربة نزلت على رأسه مثل حجر المنجنيق فعدم منها السعادة والتوفيق وما فاق عامر من غشوته حتى انقض عليه الخزروف وشده شدا وثيقا وساقه قدامه وهو في بحار الهم غريق ﴿قال

الراوى ✽ ولما نظرت بنى عامر الى حاميتها قد أسر و بعد العز ذل وقد قهر انحلت عزائمها وارتعدت من الفزع قوائمها وجملت تروم خلاصه من يد قناصة فاستقبلتهم بنى عبس و بنى قضاعة بقلوب غير مرتاعه وصدقوا فى حملتهم فى تلك الساعه وكانت بعد عنيترة بعد أسرها العامر بن الطفيل حملت على بنى عامر هى وخالها عمر وذو الكاب و زهير بن قيس و زيد بن عروة وسبيع اليمن ودينار بن روق وخفاف بن ندبة ودعسوا فى بنى عامر واذقواهم الحرب المتعاثر وافنوا منهم الاكابر والاصغار وعدم صبر بنى عامر حتى لم يبق فيهم من يحارب ولا يضارب وداخل فى قلوبهم ماحير الخواطر وأبهر النواظر وانصبوا عليهم بنى عبس كأنهم الاسود الكواسر فلم يجدوا لهم بهم طاقة ولا على حربهم استطاقة فلم يكن لهم أوفى من الهرب فولوا الادبار وركنوا الى الفرار لانهم لم يبق لهم على الثبات قوة ولا اصطبار فهجموا على وجوههم فى القفار وتفرقو فى السهول والاوعار وتبعتهم بنى عبس وبنى قضاعة ومكنوا منهم الصارم البتار ومازالوا خلفهم الى آخر النهار فرجعوا عنهم وقد حل بهم الفرح والاستبشار ونهبت العرب أحياء بنى عامر قد نهبوا اموالهم ونياقهم وجمالهم و بعد ذلك دخلت عنيترة أبيات عامر بن الطفيل ونهبت هى و رجالها ما فيها من الخيرات وأسرت كبشة أم عامر وأخته واحلت بهم الذلة وذلك لما أخذ منهم بثار عمها مالك و ولده عمرو وابنته عبلة وأخذت جميع ما كان تبقى من أموالها وبذلك أخبرتها رجالها وفرح زهير بن قيس بما كان من أحوالها وأخذت من عنده الدروع الذى كانت لابوها عنتر ومن جملتهم الدرع الاحيحى وسيفه الضامى الابتر وأخذت الخيل الذى كانت له ولم يعدم منها سوى الابجر لانه كما ذكرنا أشرد عند وقوع عنتر من عليه واستوحش فى البر الاقفر لان عبلة كانت خذتهم معها لما اتزوج بها عامر كأمرها عنتر وصارت كبشه أم عامر لما رأت ما حل بها من ذلك الامر الجسيم تقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والله ان ولدى كان عليكم ظالم وقد أصبح اليوم على فعله نادم وحرمة

العزيز

العزيز الدائم هذا وبنى عبس قد نهبوا المضارب والخيام وسبوا الجوار والمولدات والخدام وشالوا الحلة وأخذوا كل ما فيها ولم يبق واشئ له منتفع وقد هج على وجهه الاخوص بن جعفر وقد رأى بعينه الموت الاحمر وباتوا بنى عبس وبنى قضاعة فى ذلك المكان وقد فرحوا بأخذ الثار وعلوا الشأن ومن الغد عادوا طالبين الديار والاطلال قاصدين أرض الشربة والعلم السعدى ليعمروا المنازل ويؤنسوا الديار ولا يعود أحد اعليهم يتعدى ﴿قال الراوى﴾ ولم يزالوا الى أن وصلوا الى الاوطان والديار ونزلوا فيها وقد فرحت بهم الديار وتعمرت الاوطان بالقطان والمنازل بالسكان ولما نزلوا ضربوا الخيام وأركزوا الاعلام ووجوا اقدور الطعام وأنزعوا بواطى المدام وقد أخذوا فى اصطناع الولائم مدة سبعة أيام وضرب لعنترة مضرب مكان أبيه على غدير ذات الارصاد وأتتها الشعراء والقصاد وكذلك زهير بن قيس نزل فى منزل أبيه وفرحوا بنى عبس وملكهم بما هو فيه وكذلك عتيبة بن حصن نزل فى منازل بنى فزارة وحلت لهم الفائدة بعد الخساره وتعمرت الديار بعد تلك الخراب واستأنست بأهلها بعد ان كانوا عنها غياب وهراب وكانت قفرة خراب لا يأوى بها الا البوم والغراب فسبحان الله العزيز الوهاب الملك العظيم التواب الذى اذ دعى أجاب واذا سئل أعطى بغير حساب يحكم فى خلقه ما يريد وله البقاء والنصر والتأييد ﴿قال الراوى﴾ وأقامت بنى عبس فى منازلهم والاوطان وقد خافت منهم وحسبت حسابهم جميع القبائل والعربان من بنى عدنان وبنى شيبان وبنى قحطان وخافت واخدمشت من عنترة جميع الشجعان والاقران وقالوا لبعضهم هاقد عاد ملك بنى عبس أحسن ما كان وقد تعوضوا عن عنتر بابنه عنيترة الذى أذلت الشجعان وقهرت الاقران وأسرت مثل ذوا الخمار ومثل عقعقة الزرقا الذى هم معدودين من فرسان الحرب واللقاء وأسرت مثل عامر بن الطفيل وقتلت بن خالته ملاعب الاسنة وأحلت به الفناء والويل وأخذت منهم بالثار وكشفت عن بنى عبس العار وشتت بنى عامر فى البرارى والقفار

وخلت منازلهم قفرا مافيها ساديار ولا نافخ نار *(قال الراوى)* ومضت الاخبار بذلك الى عمرو بن معدى كرب فتعجب كل العجب من ذلك واحتفل فى سادات قومه وسار الى بنى عبس السادات الغرر ليهنى عنيترة بما أتاه من النصر والظفر ومازال سائر الى أن وصل الى بنى عبس ومن عندهم من القبائل فوجد المنازل قد أنست بالنوازل وازداد عددهم عما كانوا فى تلك الايام الاوائل لانهم كانوا فى أيام عنتر أربعة آلاف فارس والآن فقد صارت عنيترة وزهير فى اثنى عشر ألف فارس لان زهير قد اجتمع عليه من بنى عبس الذى تفرقوا ألف فارس وبنى قضاعة قد جاؤا مع عنيترة وخالها عمرو فى خمسة آلاف فارس وبنى فزارة قد اجتمع منها خمسمائة فارس ممن كانوا قد اختفوا فى الجبال وشئ منهم كان قد تخفى وسكن فى أحاقيف الرمال والباقى من فرسان العرب الذى قد أتت الى خدمة عنيترة لما بان منها هذه الشجاعة والقوة والبراعه وهم مثل دينار بن روق وخفاف بن ندبة لانهم راعوا ما كان بينهم وبين والدها عنتر من المودة والصحبة وكان كما ذكرنا قد أمرهم بذلك شيخ العرب دريد بن الصمة فاجتمعوا فى جماعة من بنى هوازن أهل العزيمة والهمم وكانوا قد ألفوها وأحبوا المقام عندها لانهم رؤها جيدة الخصال ولاجلها كسبوا من المال والنوق والجمال *(قال الراوى)* ولما أتى الامير عمرو بن معدى كرب الى زيارة عنيترة ترحبت به وأكرمته غاية الاكرام وأنه وجد عندها الامير هانى ابن مسعود فى جماعة من فرسان بنى شيبان الكرام لانه كان الآخر قد أتى الى عنيترة لاجل السلام هذا وعنيترة قد أقامت لجميع العرب بالضيافات والعلوفات وأكثرت لهم من الخيرات الزائدات وأصبحت أرض الشربة والعلم السعدى ترتج بسكانها وتفرح بقطانها وقد بقيت أحسن ما كانت فى أول زمانها وسادات العرب مالهم حديث الا فى عنيترة مما بان منها من الشجاعة والفتوة والكرم وحسن الشيم وجعلوا يقولون لقد أحيت عنيترة ذكر بنى عبس بعدما كانوا كأمس مضى من أمس لان والله من خلف

مثلها

مثالها مامات لانها قد أسرت جماعة من الفرسان والسادات مثل ذو الخمار وعمته الزرقاء وأردتهما فى الحروب واللقاء وقتلت بن بنتها أسد الفلاه وأورثته البلاء ﴿قال الراوى﴾ وقد ذكرنا أن عامر بن الطفيل عندها مأسور وقد أحلت به البلاء والثبور وقتلت بن خالته ملاعب الاسنة غشم بن مالك وأنزلت به المهالك وكذلك عندها والدته وأخته فى الاسر والهوان فلما اجتمعت عندها سادات العربان فلم يجد والهم كلام فى ذلك الشأن وخلاص عامر مما هو فيه من الاسر والهوان لانه كما قدمنا معدود من جملة الشجعان فعند ذلك سألها الامير هانى بن مسعود وعمرو بن معدى كرب بعامر بن الطفيل لاجل من معه من النسوان فأجابتهم عنيترة الى ذلك السؤال ولم تغلظ عليهم فى المقال ولم يخطر لها ذلك الامر على بال ثم انها أمرت باطلاقه فى عاجل الحال وأخلعت عليه وأحضرته فى جملة الرجال ثم أقاموا عندها فى أرغد عيش وأهنى بال مدة سبعة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام وبعد ذلك استأذنوها فى الانصراف فأذنت لهم فى ذلك ولم يكن عندها خلاف بعد ما أخلعت عليهم الخلع الحسان وساروا من عندها وهم يتعايدوا ما فعلت فى حقهم من الاحسان وأقامت هى بعد ذلك وقومها وما اجتمع عليها من العربان وهم فى أمان واطمأن بها من الزمان ﴿قال الراوى﴾ وأما الفرسان الذى انصرفوا من عندها كل منهم قصد ماله من الاوطان ومن جملتهم عامر بن الطفيل وقد ناله مما حل به من الاسر والذل والويل لكن الشقاوة غالبة عليه بما قضاه الله تعالى من ايصال الكفر اليه وذلك أن عامر لما وصل الى دياره ونزل فيها وقر قراره واجتمعت عليه العربان الذى كانوا قد انهزموا فى البرارى والقيعان ونزلوا واستقرت بهم الاوطان ﴿قال الراوى﴾ ومما قضاه الملك الديان أنه لما بعث سيدنا محمد سيد ولد عدنان وشاعت أخباره فى سائر الاماكن والبلدان ودعى للناس الى الاسلام والايمان وأرمى ما كان على البيت الحرام من الاصنام والاوثان فبلغ ذلك الى عامر بن الطفيل فمن خبث نفسه لم يلحقه عن ذلك فتور ولا

توان بل قال أريد أمضى الى هذا الرجل الذى شاعت أخباره وأغزوه في دياره فقد بلغنى أنه بمكة مقيم وأنه قد دعى الناس الى دين قديم وحط القصائد عن البيت الحرام وأطاعته أصحاب كثيرة من الخاص والعام ولما عزم عامر بن الطفيل على ذلك فأقبل على فارس كان قد نشأ في بنى عامر يقال له زيد بن ربيعة وكان الآخر كافر جاحد فقال له يا زيد هل بنا لنقتل هذا الرجل الذى قد ظهر ونقطع منه الأثر وندع لنا بذلك خبر يذكر فقال له افعل ما بدا لك فانى مطيعك في جميع فعالك ثم اتفقوا على ذلك الحال وساروا يقطعون البرارى والتلال وما زالوا كذلك الى ان وصلوا الى مكة شرفها الله تعالى ونزلوا في بيت امرأة تسمى سلوى وكانوا يعرفونها قبل تلك القضية وهي أخت عبد الله بن سلول المنافق لعنة الله تعالى عليه ﴿قال الراوى﴾ ولما أنهم نزلوا عندها واستتروا في دارها صارت تخدمهم هي وخدامها وجوارها وأقام عندها يريد فرصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في بيت خديجة الكبرى والدة فاطمة الزهرى واذا بجبرائيل قد هبط عليه وقال له يا رسول الله ربك يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك ان رجلان من بنى عامر يقال لاحدهما عامر بن الطفيل والثانى سميا زيد بن ربيعة العامرى قد أتيا اليك ليقتلوك وهما قد نزلا في بيت اخت عبد الله بن سلول المنافق وانهم قد أملوا أملا بعيدا وقد أضلهم الله تعالى ضلالا شديدا وتبعا قول كل جبار عنيد وربك يقول لك يا محمد ان أردت خسفت بهما الارض كما خسف الله دار قارون وان اخترت فهم على كل حال يهلكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أهد قومى فانهم لا يعلمون وقال يا أخى يا جبرائيل دعهما في غيهما وجهلهما يعمهون وقد وصف أخلاقه في القرآن فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم وخرج النبي صلى الله عليه وسلم وجلس في المسجد واذا بعبد الله بن سلول المنافق قد أقبل الى المسجد في جملة الصحابة ودخل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف المنافق من المؤمن الصادق ولكن

كان

كان المنافق يحقن دمه وماله بقول لا اله الا الله محمد رسول الله ﴿قال الراوى﴾ ولما أقبل عبد الله بن سلول الى المسجد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله أمضى الى دار أختك وأتينى بمن عندها من بنى عامر فسار عبد الله الى دار أخته لما سمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطرق الباب ففتحت له أخته وقالت له أهلا وسهلا بك يا أخى هل لك من حاجة فقال لها عبد الله يا أختاه هل عندك ضيوف من بنى عامر من قرائب بعلك فقالت له نعم فقال لها دعيهم ينجوا بأنفسهم والا أهلكهم محمد بن عبد الله فلما سمعت ذلك منه تغير لونها واضطرب كونها ودخلت من وقتها وساعتها الى عامر بن الطفيل والى زيد بن ربيعة العامرى وقالت لهما قوما وانجا بأنفسكما من العطب والا قتلكما محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أشرها قتلة ومثل بكما أقبح مثلة فلما سمعا ذلك الكلام من اخت عبد الله فقاما الى خيولهما فركبوها والى عددهما البسوها وخرجا من وقتهما وساعتهما وقد سارا فى البر على وجوههما هاربين والى النجاة طالبين وقد سار وافى حيرة عظيمة فى ذلك البر الاقفر وقد اعتراهم الخوف والكدر الى أن وصلوا الى بنى عامر وكل واحد منهما عقله من راسه طائر وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاعتداء من عامر بن الطفيل فدعى عليه وقال بلاه الله بغدة كغدة البعير فطلع له شئ فى رقبته يسمى الخوانيق فلما وصلوا الى بنى عامر ضعفوا أيام كثيرة واستجابت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عامر طلع له غدة فى رقبته حتى صارت كالطبل العظيم ولم يزل بها حتى هلك فلعنة الله عليه ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من عنترة و بنى عبس وأخوالهم فانهم لما أقاموا فى أرض الشربة والعلم السعدى وقد بلغوا من النصر على الاعداء آمالهم وهم فى العيش الرغيد والجمع العديد واذا بخياب على ناقة طويلة الخطام وهو قد أقبل من بين تلك الروابى والاكام حتى أشرف على أرض الشربة والعلم السعدى وهو راكب على ناقته وهو يهدى ويعيد ويبدى فلما بانت له الخيام وظهرت

له الرايات والاعلام ونظرته العرب فتسابقوا عليه العبيد والخدام فروه فقد ترجل من على نجيبه من طرف الخيام وصار ماشي على الاقدام وسأل عن مضرب الاميره عنيتره فارشدوه اليه الخدام ومازال سائرحتى وصل اليها وقدم عليها وصار بين يديها فرآها جالسة فى مضربها وعندها سادات العرب وهي بينهم كأنها الأسد الاغلب وكل منهم ينظر الى ما أعطاها الله تعالى من الهيبة ومن شجاعتها وهي ايضا تتعجب كيف أذلت بفر وسيتها فرسان البر والسبسب *(قال الراوى)* واذا بالنجاب قد أقبل فاستأذنوا عليه الخدام فأذنت له فى الدخول فدخل فترحبت به ولديها أقبل ولما هدى المكان من السلام والخطاب فأخرج من عمامته الى عنيترة كتاب وقال لها اذا قرأتيه وعرفتى مافيه ترد الجواب فأخذته عنيترة وسلمته الى زيد بن عروة وقد ذكرنا ان هذا زيد بن عروة لما مات عنتر كان صغير السن فوصى عليه عمرو ذوالكلب فقبل فيه الوصية ورباه أحسن تربية فى العيشة الهنية المرضية وكنا ذكرنا أيضا ان أبوه قبل مماته قد علمه الخط والنجابة والفروسية والتصق بعد ذلك الى هذا الفارس الجسيم فخرج منه هذا المخرج العظيم وصار له يد طويلة فى الخط والقراءة والشجاعة وقد كان ذوقوة وبراعة فصار عند الاميرة عنيترة فى أعلا مكان وألطف محل وأعز شأن وهو الذى كان يكاتب لها سادات العرب وكان فيه فضل وأدب *(قال الراوى)* ومما أتفق من الامرانه كان فى تلك الايام لازوجة له ترضيه لان زوجته كانت قد توفت التى كان قد تزوجها فى زمن أبيه وكان للامير عمرو ذوالكلب ابنة يقال لها الرباب ولم يوجد لها نظير فى الحسن والادب وكانت من ذوى الاحساب والانساب مليحة القد قاعدة النهد لها خصر نحيل وردف ثقيل وكان من محبة زيد بن عروة عند الامير عمرو ذوالكلب زوجه ابنته وأقام عنده فى نعمته وعمل له الولائم ودام لها العز الدائم سبعة أيام وفى اليوم الثامن ضربت الزفاف وانقضى الامر ولم يبق فيه خلاف ودخل بها زيد بن عروة ووقعت بين الاثنين المحبة

والقوة وأقامت معه مدة من الايام ورزق منها ولدا ذكرا كأنه بدر التمام فسماه عروة على اسم أبيه وتربى على أيدى العبيد والخدام وقد صار لزيد ابن عروة خيل وجمال ونعم وأموال وصار بعد من الابطال وصارت عنيزة لا تفارقه بحال من الاحوال *(قال الراوى)* ولما أتى ذلك النصاب وناول عنيزة الكتاب فأخذته منه وأعطته الى زيد بن عروة وأمرته أن يقرؤه حتى انها تسمعه وتعرف معناه واذا به من عند الملك المنذر بن النعمان وكان لذلك الكتاب له شأن وأى شأن قال وكان السبب فى ذلك وهو أن الملك المنذر كان فى كل سنة يحمل حملا الى الملك كسرى أنوشروان وهو شئ كثير من الاموال والهدايا والذخائر والتحف الغوال فاتفق من الامر العجيب والحديث المطرب الغريب أن المنذر قد جهز الحمل فى تلك السنة على جارى العاده وأرسله الى المدائن وسارت به الرجال وكان فى صحبة الحمل ألفين من الفرسان من السادات وكان المقدم عليهم عمرو بن هند أخو النعمان الذى كان أرسله الى بلاد اليمن ليردبنى عبس لما ان كان النعمان عليهم غضبان وعاد بهم وأنزلهم فى أرض بنى عامر كأمره أخيه النعمان وكان عمرو بن هند قد رزق هذا الولد التعيس وكان فارس رئيس بعد اذا برز الى الميدان بألف بطل من الشجعان وكان يسمى ماء السما ولما أراد الملك المنذر أن يرسل الحمل الى كسرى أنوشروان انتدب له بن عمه ماء السما حتى يكون لتلك الاموال حافظ وحمى وأرسله مع الحمل وصحبته الفين من فارس أبطال وسار ماء السما بما معه من الاموال والنوق والجمال والصناديق الملآنة من الذهب والجواهر الغوال وطلب مدائن كسرى وتلك الاطلال ومازالوا كذلك سائرين على تلك الحال وهم فى السوق الشديد الى أن وصلوا الى برية برقعيد والدواب بين أيديهم تسوقها الخدام والعبيد واذا قد طلع عليهم من جانب الوادى ألف عنان وهم على خيول أخف من الغزلان والكل من متنصرة العربان وكانوا خمسمائة من الروم الذى هم عبدة الصلبان يقدمهم فارس كأنه الاسد الغضبان وهو

أسمر اللون مليح الكون وقد نادى برفيع صوته بلسان فصيح ونطق مليح
ياويلكم ياعباد النار واللهب ويامن غضب عليهم الصليب خلوا
ما فى أيديكم من المال والنوق والجمال وانجوا بأنفسكم فى هذه البرارى
الخوال والاوحق المسيح ومارى حنا المعمدان انى أتركتكم رؤس
بلا أبدان وتحوم عليكم النسور والعقبان *(قال الراوى)* ولما سمع
ماء السما بن عمرو بن هند مقدم الجيش ذلك الخطاب من ذلك الفارس
المهاب نادى ياويلك . تكون من الروم الكلاب أو من أصحاب الاصول
والانساب فعند ذلك تقدم اليه ذلك الفارس وانطبق عليه مثل انطباق
السحاب وقال لماء السما ياويلك يقال لك لى هذا الخطاب وأنا أسد الدحال
ومقتنص الابطال وفى هذا المقام يعرف عم أو خال أو تذكر أحساب
أو أنساب وهذا مقام الضرب بالصارم القرضاب ومحل قطع الرقاب ثم ان
فارس الروم بعد هذا الكلام انصب على فرسان بنى لخم انصباب الغمام
وتبعته الخمسمائة فارس والفارس يقدمهم كأنه الاسد الهجام وحملت معه
الالف الذى من العرب المتنصرة وطلعت على الطائفتين الغبرة ورهقتهم
القترة وتضاربوا بضربات متواترة وصارت عقبان الدما على رؤسهم طائرة
ودارت عليهم الدائرة وطمعت فيهم فرسان الروم والعرب المتنصرة وذلك
الفارس الرومى الذى على الفرسان قد تقدم وانه ساق الفرسان قدامه
سوق الغنم وبرى منهم كل ذراع ومعصم وقد ذل من بنى شيبان القدم
(قال الراوى) وهذا الفارس الرومى ينادى ويقول أنا فارس الروم
والعجم أنا الغضنفر فارس هذه الارض وبن الملكة مريم ثم انه صار يجول على
الارض والدحال ويكردس بين يديه الرجال ويردى الاقيال ويرميهم ذات
الشمال فعند ذلك هابته الشجعان وولت من قدامه الاقران وتجاوزوا
و الميدان وكل منهم يقول ما الخبر كالعيان وكانت ساعة من ساعة الزمان
انهزمت بنى شيبان وبنى لخم عن الغنيمة وطلبوا الهرب والهزيمة واعترض
الغضنفر الى ماء السما وقد طلب الآخر الفرار فتلقاه قبل أن ينهزم وقد

طعنه في صدره بعقب الرمح أرداه في تلك القفار فغاب عن الدنيا وكان يحل به الدمار وتسلمته غلمانه الذي حواليه وأوثقوا بالشديد ورجليه وبعد ذلك اعطف على بني شيبان وشتتهم في البراري والقفار لا زال يقتل فيهم ويأسر الى ان صار آخر النهار وعاد منهم وقد خلص الغنيمة وهو ذو فرح واستبشار وسار امام قومه وهو كانه قد غرق في بحر من الدم مما سال عليه من أدمية الفرسان وقد قتل من الروم مائة وخمسين فارس ومن القوم المتنصرة مثل ذلك ونزل الغضنفر وقد ضربت له الخيام ووقفت بين يديه العبيد والخدام وأعرضوا عليه الغنيمة الذي أخذوها من الدساكر الذي سائرة الى كسرى فوجدوا فيها شئ كثير لا يكيف ولا يرى من لؤلؤ وذهب وياقوت أحمر وقطع الزمرد الاخضر وفصوص المعادن والجواهر وأشياء تذهل العقول والبصر عند رؤيتها وشئ كثير من الخيول والجمال والنوق العصافرية والبغال وأكثرها محمل من الهدايا الغوال وأيضا معهم جوار وخدم وأموال ونعم تعجز عن جمع مثلها ملوك العرب والعجم *(قال الراوي)* ففرح الغضنفر بذلك فرحا عظيما وعلم ان طالعه مستقيم وقد أقام هناك ذلك اليوم وتلك الليلة ورحل بما معه من الاموال وقد تعجبت من فروسيته الابطال وكيف كسر بني لخم وشيبان بشدة عزمه وقوة ساعده وهم ألفين عنان وأسر ماء السماء بن عم الملك المنذر وأخذه معه أسير وقد شدوا يديه بالقد وتركوه على ظهر بعير وسار الغضنفر قدام فرسانه طالب قلعة برقعيد وبين يديه الاموال تسوقها الخدم والعبيد وقد بلغ من زمانه ما يريد وتلك الغنيمة قد سدت الفضاء وملأت المستوي ومازال سائر الى ان وصل الى قلعة أهل الرشاق وجميع أصحابه وجماعته *(قال الراوي)* وقد أخبرت الرواة على أن هذا الغضنفر كان يحكم على أكثر من عشرة آلاف فارس من الروم منها خمسة آلاف أصحابه ومن خواصه وكانوا عنده في القلعة مقيمين ومنها خمسة آلاف في الضياع والرساتيق دائرين وكان هذا الغضنفر قد نشأ في ذلك

الزمان وقد طلع فارس لا يوجد مثله فى الآفاق ولا نظر أحد شكله
لا فى الشام ولا فى العراق *قال الراوى* ولقد سألت عن هذا الفارس
ونسبته وفى أى أرض و بلاد كان منشأه وتربيته لان حديثه عجيب وقصته
توجب الطرب وكيف لا أسأل عنه وقد كسر فى ساعة واحدة ألفين فارس
من بنى شيبان ولخم وهما من سادات العربان وفيهم مثل ماء السما وكان يعد
بألف فارس من الشجعان وأيضا ان كان الغضنفر هذا المسابق قاتل يحامى عن
نفسه وعن جميع من معه من أهل قلعته ومن فرسانها ورجالها مثل
ما تحامى اللبوة عن أشبالها وذلك ان هذا الفارس كان قد نشأ
فى القسطنطونية عند ملك الروم قيصر وكانت والدته بنت أخو الملك يقال
لها الملكة مريم وقيل أنها من خواص سراريه وقدر زقت هذا الولد وكان
أسمر اللون وله سواعد شداد مثل العمد وكان الملك قيصر كلما رآه مال قلبه
اليه وأحبه ولكن كان فى بعض الاوقات طبعه ينفر منه لاجل سواد لونه
دون الروم ولما دخل فى قلبه الشك من أجل ذلك اللون الذى قد صار فيه
فقدمه على خمسة آلاف فارس من الروم وهو دون البلوغ وأرسله هو وأمه
وجوارها وجميع أموالها وذخائرها وما يعز عليها الى قلعة برقعيد وكانت
هذه القلعة حد ملك قيصر من ملك الملك كسرى وكان الملك قيصر أقصى
مراده ان يجعله فى تلك القلعة الا ليكون فى وجه العدو وليدفع من يريد له
بسوء فسار الغضنفر بعسكره كما رسم له عمه الى ان أتى الى قلعة برقعيد
وكانت هذه القلعة عظيمة فوجدها قلعة حصينة ولكن أرضها برية مخيفة
غير أمينة فصعد الى تلك القلعة وأقام فيها وجعل معه فى القلعة من
ذلك الجيش من هو مثله فى العمر وأكبر منه ودونه والبعض كان من
قرائبه وقريب أمه ثم انه استقدم أيضا من كان قد انضاف اليه خمسة
آلاف بالديوان وجعلهم فى الضياع والرساتيق لانه عمر تلك الآفاق
وجعلهم يستخلصون له الخراج و يرفعون اليه الاموال فى كل عام
(قال الراوى) ثم بعد ذلك تفرس الغضنفر وسار بركب فى خمسمائة

فارس وأكثر ويتصيد بهم طول النهار ويهجم الغابات ويقتنص منها السباع الضاريات ويقهرها بقوة ساعده فى كل الاوقات وقد سار له بهذا عادات ومازال كذلك على ذلك الحال أيام عديدة وليالى الى أن بقى له من العمر عشرين سنة فسار يبارز الفرسان و يقهر الشجعان ويرميهم فى الميدان مدة من الايام وسطى على الفرسان وزاد أمره وعظم شره وما رأى قافلة دخلت عليه من تلك الارض يلقاها وحده وما معه الا فرسان قلائل من جيشه وجنده ومازال على ذلك الشأن الى أن سمع بتلك الغنيمة التى هى سائرة الى كسرى أنوشروان من عند الملك المنذر وأخبره الذى أتى اليه بالخبر أن معها ألفين فارس من بنى لخم وشيبان فقال وحق المسيح لاسرت اليهم الاوحدى ولا آخذ معى أحدا من جيشى ولا من جندى فقالت له والدته بحق المسيح ياولدى لاتفعل هذه الفعال وخذ معك ما يعينك من الرجال وكذلك قامت عليه أرباب دولته وجماعة من أهله وعشيرته فصحب معه تلك الخمسمائة من الروم والالف من العرب المتنصرة وسار فى طلب الغنيمة وقد وقف مرتقبا للفرسان فى فم المضيق حتى أنهم يعبرون على الطريق وكان ذلك الموضع مسيرة يوم وليلة من القلعة فى ذلك البر الاقفر وسار الغضنفر وله قلب أقوى من الصخر ﴿قال الراوى﴾ فبينما هو كذلك سائر قدام قومه فى تلك القفار الى أن عبر عليهم نصف النهار وقد نفخ عليهم البرنار واذا قد اعترضهم أسد فى تلك الطريق وهجم عليهم وأحل بهم عن المسير التعويق وكان ذلك الاسد قد خرج عليهم من بين الغابات والشجر وهو أسد أغبر الحجر يطير من عينيه الشرر و يقلب الوادى بالصياح اذا زاد و زمجر له أنياب أحد من النوائب ومخاليب أشد من المصائب واسع الاشداق عبوس ضيغم أفطس الانف أدغم يسمع من غرغرته الرعد اذا همز وهمهم وتنظر البرق من عينيه اذا أظلم الليل وأقتم وهو كأنه القضاء المبرم وهو كما قال فيه الشاعر كلام يفهم هذه الابيات

وليث عبوس يصدع القلب وثبته ❁ وترتعد الابدان من عزم صرخته

يشدق تراه كالقليب وبحعر * كشعلة نار فى الدياجى وظلمته
وأنيابه مثل الكلاليب اذابدت * يروع قلوب الناظرين برؤيته
اذامارأته الخيل صارت شوارد * الى القاع تخشى من تعاظم سطوته

(قال الراوى) ثم ان ذلك الاسد طلب الخيل وهو يتمايل على جنبيه وفى مشيه يتبختر ولما رأى ذلك الغضنفر قال لاصحابه لافيكم من يخطى من مكانه حتى تنظروا مايكون من شأنى وشأنه ثم ان الغضنفر ترجل عن ظهر جواده وخلع عن عدته وأدار أذياله فى دور منطقته وأخذ سيفه بيمينه وأخذ فى شماله درقته وتقدم يخطر الى الاسد بقلب أقوى من الصخر والجلمد ومازال ماشيا على قدميه حتى قرب منه ووصل اليه فلما نظره الاسد امتد حتى صار كثلثيه ثم انجمع بعد ذلك حتى صار كثلثيه وحمل على الغضنفر وحمل الآخر عليه وضربه بالسيف بين عينيه فمن قوة الضربة وشدة حيل الاسد طلع السيف يلمع من بين فخذيه فعندها ارتاعت قلوب الفرسان من تلك الضربة لما نظروا اليه *(قال الراوى)* هذا وقد رجع الغضنفر بعدما مسح سيفه فى جلد الاسد وقد تركه على التراب ممدود ورجع ركب جواده وفى عاجل الحال وهو كأنه ماعمل شئ من تلك الاعمال ولم يزل سائر هو ومن معه من الفرسان الى أن التقى بماء السما بن عمرو بن هند أخو النعمان وجرى له معه ومع قومه ماجرى من ذلك الشأن واحتوى الغضنفر على جميع الغنيمة وطلبوا بنى لخم وبنى شيبان الهزيمة ورجع هو وقومه قاصد الى قلعته وطلع اليها واجتمع بأهله وعشيرته ونظر والدته الملكة مرجان الى ماقد أتى معه من الاموال والذخائر الثمينة والنوق والجمال وتلك الصناديق المحملة على البغال ففرحت بماابان منه فرحا شديدا زائدا عن الحد لكون أن ولدها قد صار حامية تلك الارض *(قال الراوى)* هذا ما كان من الغضنفر ورجاله وماجرى لهم وأما ما كان من حديث المنهزمين الذى من بنى لخم وشيبان وأحوالهم فانهم لم يزالوا فى هزيمتهم الى أن وصلوا الى مدينة الحيرة وكل منهم فى ذل وحيرة ودخلوا على الملك المنذر

وقد عميت منهم البصيرة وهم صارخين مولولين وقد حل بهم الذل والخبال وجعلوا ينادوا ويقولوا أيها الملك نهبت الحلل والاموال وقتلت الرجال وساءت بها الاحوال *(قال الراوى)* فلما سمع الملك المنذر ذلك المقال تغيرت منه الاحوال وتغير لونه واضطرب كونه وقال للوزير انظر ما ترى من الرأى والتدبير واصرف همتك الى ما ترى فى هذا الامر الذى قد صار عسير وكان وزير المنذر فى ذلك الزمان زيد بن عمرو بن نفيلة العدوى وزير الملك النعمان وكان قد طلع مثل أبيه رجل فاضل خبير وكان ذو عقل ورياسة وأدب وفضل وسياسة فقال له أيها الملك انى سمعت عن هذا الغضنفر أنه فى ذلك الزمان فارس البدو والحضر وأنه فارس لا كالفرسان وبطل تخضع لفروسيته الشجعان وماله الا فارس مثله وبطل شكله كشكله ويكون يفعل فى الحرب كفعله ومايوجد اليوم له مثيل فى الزى والخبر الا ان كان أم الزعزع عنيترة بنت عنتر الذى من بعض فعالها أسرت ذو الخمار وعامر بن الطفيل الفارس المغوار وقتلت مثل ملاعب الاسنة فارس بنى عامر وأحلت به الويل واذا أرسلنا اليها نعلمها بذلك الخبر فهى تأتى الى الخدمة بقوة قلبها وشدة عزمها وتكشف هذا الضرر ونرجوا على يديها النصر والظفر والا يا ملك ان أرسلنا الى الغضنفر جيش آخر فانه يكسره وتخرق الهيبة ويبقى أمر وضيع منكر ويروح منك ناموس الملك ويحل بنا العبر وأنا الرأى عندى أيها الملك أن ترسل الى ابن خالك زهير بن قيس الذى قدر بالك على يديه قبل الآن على الخبر فانه يأمر ابنة عمه عنيترة بالمسير هى وبنى عبس وبنى قضاعة فانى أعلم منها انها اذا سمعت بذلك فتأتى ولم تتأخر وترسلها من هاهنا أنت الى الغضنفر فانها تريقه الموت الاحمر وتنزل به بشجاعتها الذل والعبر *(قال الراوى)* فلما سمع الملك المنذر من وزيره ذلك الكلام فرح واستبشر بهذه الاسباب وأمر للوزير فى عاجل الحال ان يكتب اليهم كتاب وأن يسرع بارساله مع النجاب ففعل الوزير ما أمره به لما سمع من المنذر ذلك الخطاب فأرسل بالوقت النجاب فسار من ساعته

طالب أرض الشربة والعلم السعدى وهو يلعلع فى ذلك البر ولناقته يحدى
حتى وصل الى الديار والاطلال فرأى الى حلل ترتج بسكانها من كثرة
مافيها من الرجال والاموال فلقيه بعض العبيد فسأله عن ماجاء فيه من
الاحوال فقال النجاب أريد الاميرة عنيترة بنت عنتر فقال له العبد الاتنظر
الى ذلك البيت الرفيع العماد الاحمر فامضى اليها واستأذن بالدخول عليها
واشرح لها حالتك فانها تقضى لك حاجتك وان كنت مظلوم فانها تعينك
على ظلامتك ﴿قال الراوى﴾ فسار النجاب قاصد المضرب فرأى العبيد
تمرح وتلعب وهم فى أمن من غير الزمان وفى غاية مايكون من الاحسان فلما
رؤا العبيد الى النجاب تسارعوا اليه وأعلنوا بالسلام عليه وسألوه عماجاء
فيه وأبدى لهم الامر ولم يخفيه فاستأذنوا اليه فى الدخول فأذنت لهم بدخول
الرسول وكانت جالسة وفى حضرتها من قدمنا ذكرهم من الاصحاب والى
جانبها الملك زهير بن قيس وهو كأنه الاسد الوثاب فدخل عليهم النجاب
فى عاجل الحال وقبل يديها وأوصلها الكتاب فأخذته وناولته لزيد بن
عروة وأمرته أن يقرأه حتى أن تسمع كل الحاضرين مافيه وتعرف معناه
﴿قال الراوى﴾ ورجعنا الى سياق الحديث والخبر فعند ذلك فضه زيد
وقرأه ولما سمعت عنيترة والملك زهير ومن حضرهم من الاصحاب ماقرأه زيد
ابن عروة من الكتاب فقالت عنيترة للملك زهير ماترى ياملك فى هذا الحال
وأى شئ الذى تراه من الاعمال فقال لها زهير ما فى الامر الا المسير وسرعة
الجد والتشمير ونكشف عن ابن عمى الملك المنذر هذا الامر العسير وكذلك
قال كل من كان حاضر قرأة هذا الكتاب وسمعوا ماجاء به النجاب وعرفوا
ماجرى من تلك الاسباب وهم كما قدمنا فرسان الاعراب الذى كانوا قد أتوا
للسلام والتهنئة بما وصل اليهم من الانعام فقالوا كلنا نسير فى خدمة
أم الزعازع ولبوة الوقائع فقالت عنيترة لاوحق ذمة العرب وشهر رجب
لاسار الى الملك المنذر فى قضاء حاجته الا أنا وحدى وبنى عمى لاغير ولا
يكون فى صحبتنا الا ابن عمى الملك زهير وأما أنتم أيها السادات الاخيار فانتا

ماندخركم الا للمهمات الكبار واذا أتانا شئ أقوى من هذا فذلك الوقت
يكون ما تريدوه من الاختيار فتعجبوا الحاضرين من قوتها وما منهم الا من
اعزها واحبها وتمت فرسان العرب على ماهم عليه وماهم فيه بقية ذلك
اليوم فى أكلها وشربها ﴿قال الراوى﴾ ولما كان من الغدى ودعت عنيترة
والملك زهير من كان عندهم من الفرسان وسار كل منهم يطلب دياره
والاوطان ولما أن تفرقت سادات العرب من عند عنيترة وقد وصلت اليهم
الخير الكثير فقالت الملك زهير يا ملك ما بقى غير المسير فقال لها انعم ما تفعلين
وما اليه يا ابنة العم تشيرين فعند ذلك أمرت عنيترة للفرسان بتجهيز حالها
فسمعوا الجميع لقالها واهتموا فى اصلاح العدد والسلاح وقد تجهزوا للسفر
والرواح ﴿قال الراوى﴾ ولما كان بعد ثلاثه أيام سارت بنى عبس وبنى
قضاعة يقدمهم عنيترة وزهير وعتبة بن حصن وزيد بن عروة وسبيع
اليمن بن مقرى لوحش ومن يشاكلهم من الابطال وأقامت الهيفاء أم
عنيترة هى وبعض الرجال لاجل حفظ المنازل والاطلال وسارت الجيوش
والفرسان يقطعون الاوديه والقيعان وينزلون على المنازل والوديان
والمناهل والغدران ومازالوا كذلك الى ان وصلوا الى الحيرة فوجدوا عليها
جيوش كثيرة فنزلت العشائر فى المضارب والخيام ودخل الملك زهير
وعنيترة على الملك المنذر لاجل السلام وفى حال دخولهم كانت عنيترة
داخلة والى جانبها اليمين زهير بن قيس البطل الهمام والى جانبها اليسار عتبة
ابن حصن وبين أيديهم العبيد والخدام ولما رآهم الملك المنذر فرح بهم وقام
لهم قائما على الاقدام وترحب بهم غاية الترحيب لان كل منهم له قريب
ونسيب وأجلسهم الى جانبه وصاروا عنده أعز من أهله وأقاربه وقد قرب
عنيترة اليه من دونهم غاية التقريب لانه سمع عنها كل أمر عجيب وجعل
يحادثهم ويباسطهم فى الكلام الى أن حضرت الرجال بالطعام فأكلوا
ماطاب لهم ورفعت الاوانى الخدام وبعد ذلك قال الملك المنذر يا أم الزعازع
ولبوة الوقائع قد حدث علينا امر مريع وحال شنيع وهو انى أرسلت الى

الى الملك كسرى حكم الرسم والعادة وأرسلت معهم ألفين فارس والمقدم
عليهم بن عمى ماء السما وذلك لانه مشيئة والارادة فوافقتهم فى الطريق قلة
السعادة والتوفيق فخرجت عليهم خيل من برية برقعيد وهم مقدار ألفين
فارس صناديد وقد بلغنى أنه قد كان مقدم عليهم بطل عنيد وفارس صنديد
وذلك الفارس يقال له الغضنفر بن دادة الملك قيصر وقيل أنه بن ابنة أخو
الملك وهكذا قالوا عنه فى الخبر وقد خرج منه فارس عظيم لا كالفرسان
وبطل لا كالشجعان وقد قطع عليهم الطريق وأعدمهم السعادة والتوفيق
وأخذ منهم الحمل بعد قتل الفرسان وأسر بن عمى وقد حل بهم الذل والهوان
وقد زاد لذلك همى وغمى والمراد من احسانك يا أم الزعازع ولبوة الوقائع أن
تسيرى بمن معك من بنى عبس وبنى قضاعة وأسعفك أيضا بعشرة آلاف
فارس ممن يعرف بالفروسية والشجاعة ليوث عوابس وسيرى بهم الى
قلعة برقعية وتخلصى الحمل وابن عمى ماء السما من ذلك البطل العنيد
وتخربى تلك القلعة وتعودى الى فى عاجل الحال مسرعة ﴿قال الراوى﴾
فلما سمعت عنيترة ما أخبرها الملك المنذر من ذلك المرام فقالت أيها الملك
الهمام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وحرمة الواحد
الاحد الفرد الصمد الذى خلق الانسان من ماء مهين وجعله أبيض وأسود
وأحمر وأخرج الماء من صم الحجر الجلمد ما تبعنى من فرسانك أحد لا أبيض
ولا أسود ولا آخذ معى غير ألف فارس من بنى عمى وخمسمائة من بنى قضاعة
وأقضى حاجتك وأعود ممتثلة الامر بالسمع والطاعة ﴿قال الراوى﴾
فلما سمع الملك المنذر من عنيترة ذلك الكلام تعجب وأخذه الفرح والطرب
وقال ها قد أخلف الله على بنى عبس عنيترة ابنة عنتر بن شداد واحيا
ذكره بين العباد فى سائر البلاد وقال يا أم الزعازع ليس بالكثرة من باس
ولا يزمها أحد من الناس فقالت عنيترة أيها الملك وحق من يعلم تردد
الانفاس وخلق لهذه الصورة الآدمى وما فيها من الحواس ما أسير الى هذا
الامر فى أكثر من ألف فارس ممن يكونوا يحملوا همى وضيرى ولا أرسل فى هذه

الحاجة

الحاجة غيرى والا أكون قد ساويت أكثر من الناس ﴿قال الراوى﴾ فقال لها الملك المنذر يا أم الزعازع افعلى ما بدا لك فما ههنا أحد يخالف مقال الملك فلما سمعت عنيترة كلام الملك المنذر فرحت بمقاله واعجبها سائر أحواله وانطلق عليها جميع أقواله ثم انها قامت من وقتها وساعتها وأخذت من بنى عمها ألف فارس ممن يبادروا الى طاعتها فيهم مثل خالها عمرو ذو الكلب والملك زهير بن قيس وزيد بن عروة وضبيع اليمن وعتبة ابن حصن ومن يجرى مجراهم من الابطال والشجعان وصارت تتفقهم وتقول فلان وفلان الى أن عزلت ألف فارس من كل مدرع ولابس وبرزوا كأنهم الاسود القناعس وهى أمام القوم كأنها اللبوة شمطا ومازالت سائرة الليل والنهار تقطع البرارى والقفار الى أن وصلت الى برية برقعيد ونظرت الى ذلك البر والبيد وبانت لها الضياع والرساتيق ورأت الخيل سائبة ترعى فى تلك الاودية والآفاق ورأت الى شئ كثير من الخيل والجمال والنياق ﴿قال الراوى﴾ ولما رأت عنيترة الى تلك الاحوال أمرت الفرسان بنهب الاموال وأخذ الخيل والنوق والجمال فتبادرت الفرسان اليها ودار وا وأحاطوا عليها وساقوا أيضا سائر الاموال وهربت الرعاة وطلبت الاوديه والجبال ومنهم من طلب القلعة فوصلوا اليها فى عاجل الحال وألقوا النفير فى الرستاق وأكثروا من الصياح والزعاق ووصل الخبر الى القلعة وأعلموا فى عاجل الحال الغضنفر بما كان من تلك الفجعة وأنه لما سمع ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وزاغت عينيه فى أم رأسه واضطربت جميع حواسه ونهم ودمدم حتى هابته جميع جلاسه وصر فى العبيد وقال لهم ياويلكم يا بنى الزوانى من ذا الذى طرق أرضى من قاص ودانى فقالوا له أيها الملك ما طرق ديارنا عشائر ولا جيوش ولا عساكر وما أغار على أموالنا وأخذ جمالنا والنياق غير ألف فارس ونظنهم من فرسان العراق لاننا سمعناهم يتكنوا بلغة أهل تلك الآفاق ورأينا يا ملك يقدمهم فارس أسمر وله صوت مثل الرعد اذا هدر وكالاسد

اذا رأى الفروسية قدامه واندعر وسمعناه يشكى ويقول أنا عنيترة بنت عنتر الذى كان فارس البدو والحضر (قال الراوى) فلما سمع الغضنفر من العبيد ذلك الخبر هدر وزمجر وطار من عينيه لهيب الشرر وزعق على الفرسان فركبت والى نحو الصياح طلبت ثم انه فى عاجل الحال ركب جواده واعتد بعدة جلاده وركب أمام الخيل وطلب فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وقد انصب عليهم انصباب السيل فرآهم قد أخربوا الرستاق وأفسدوا جميع ما بين أيديهم من تلك الآفاق فلما رأى الى ذلك الشان حمل وحملت معه الفرسان فتلقتهم بنى قضاعة وبنى عبس وعدنان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الفرسان والاقران بالاقران والشجعان بالشجعان وطلع على رؤسهم الغبار الى العنان (قال الراوى) هذا وعنيترة قد كردست الابطال وأرمتهم ذات اليمين وذات الشمال وجندلت الاقران على الرمال وكذلك فعل الغضنفر ورأت فرسان بنى عبس وبنى قضاعة منه الموت الاحمر وعاينوا من طعنه وضربه الامر المنكر وقاتل قتال من لايبقى ولايذر وخسف الصدور وقلع العيون وأفسد الصور وما زال القتال يعمل والدم يبزل والرجال تقتل ونار الحروب تشعل والسؤل لايقبل الى أن أظلم الظلام ومنع الناس من ضرب الحسام وقد افترقت الفتيان وانفصل الجمعان وأكثر واوقيد النار وتحارست الفريقان وماز الوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح واصطفت الصفوف وتعدلت الالوف وجردت وعزموا الفريقين على شرب كاسات الحتوف واذا بفارس قد برز الى الميدان ومشى فى ركابه مائتين فارس أعيان وهو بينهم كأنه الاسد الغضبان راكب على حصان خفيف الجريان أشقر اللون مليح السكون سابل الغرة مليح الطرة طريف الوفرة تضرب شعرته الى حوره راكبه من الحدثان فى أمان يطير فى الهوى كأنه الطير فى الطيران وهو كما قال فيه الشاعر

يسابق الريح فايسبقه * لانه يسبق الرمق البصر

كأنه في حسنه عادة * بحسنها تسبي عقول البشر
راكبه في عيشة راضية * لانه دومة قرير النظر

(قال الراوي) وعلى الفارس درع مكوكب مذهب مقصب وفي صدره مرآة من الجوهر ينبو اعليها الصارم الذكر يأخذ نورها بالبصر ومن فوق الكل ثوب اطلس أصفر مليح الزي والمنظر محشوا بالمسك الاذفر ستره في حسن نقشه الفكر واكمامه قد عقدها الى وراه بشرار يب ابريسم حرير أخضر وقد أخرج الفارس يده من جلباب درعه في ذلك الوقت والمنظر وفي كفه صارم ذكر لو ضرب به جبل لطير منه الشرر وعلى صدره صليب عجيب يسوى من الذهب الأحمر خرج اقليم والفارس له عينان كأنهما شواظان أو نجم بارق اللامعان والصليب مكلل بالياقوت والمرجان وقد خرج ذلك الفارس في هذا الزي والمنظر الذي تحير فيه الفكر وكان هذا الفارس هو الغضنفر فلما توسط الميدان وجعت من حوله الرجال والاقران فوقف في ذلك المكان ونادى بطلب البراز والطعان ولما تبينته فرسان بني عبس وبني قضاعة وعرفته عنترة من تلك الساعة وهمت أن تبرز اليه وتحمل عليه واذا قد سبقها فارس مليح الشمائل الى الخصائل للفروسية عليه علائم ودلائل وهو راكب على حصان ابلق يحاكي النجم اذا زرق والطير اذا انطلق مليح الرونق سايل الغرة كبير الحدق وعلى ذلك الفارس زردية كثيرة العدد ومتقلد بحسام مهند ومعتقل برمح مسدد فتبينته فرسان بني عبس واذا به زيد بن عروة ذو الفروسية والبراعة وقد برز الى لقاء الغضنفر وهو كأنه الأسد القسور *(قال الراوي)* ولما صار زيد في الميدان ومعترك الجولان حمل عليه الغضنفر وانقض عليه مثل السيل اذا انحدر أو النمر اذا اندعر وصاح عليه ويلك من تكون من فرسان بني عبس يا أخس من طلعت عليه الشمس فقال له زيد بن عروة الويل لابيك وأهلك وأقاربك وذويك يا ويلك أنا زيد بن عروة بن الورد صاحب الفروسية والشجاعة والنخوة فقال له الغضنفر بئس الفارس المهين وأنت

أحقر أن تكون لي قرين ثم ان الغضنفر حمل عليه وصمم بالطعنة اليه فتلقا زيد الطعنة بحسن صناعته وقد سبقها على درقته و بطلها بقوة همته فسل سيفه الغضنفر وهجم عليه هجوم الاسد القسور وتضاربا وتباعدا وتقاربا وتواصلا وتناصلا وتحكالحا وتراجما وقد رأى زيد بن عروة من الغضنفر فارس لا كالفرسان و بطل تبطل عند قتاله قوة الشجعان وقد زاد عليه الدرهم قنطار بالقبان هذا وقد قل من الاصطبار وسطى عليه الغضنفر سطوة جبار وهجم عليه هجمة الاسد الهدار وضربه بالسيف صفحا على رأسه كاد أن يخمد أنفاسه وانقلب الى الارض بثقل ما عليه من الزرد فصار كانه الجذع الممدود وانقض عليه أخذه أسير وقاده ذليل حقير وانكشف بعد ذلك الغبار وبانوا الاعين النظار واذا بزيد بن عروة منقاد قدام الغضنفر أسير فلما رأت عنيترة الى ذلك الحال همت أن تبرز اليه لعل أن تخلص زيد من الاعتقال واذا بفارس قد برز اليه وسبقها عليه ولم يقدم بين يديه لا فزع ولا خيفة فتبينته عنيترة واذا به عتيبة بن حصن بن حذيفة وقد طلب البراز وسأل الانجاز فتلقاه الغضنفر بقلب أقوى من الحجر وجنان أقوى من تيار البحر اذا زخر وكذلك تلقاه عتيبة الآخر وتضاربا ضربا أحر من الجمر وأمر من الصبر وتباعدا وتقاربا وتضاربا وتجاذبا وتقاتلا ثم ان الغضنفر همز بجواده وتمطا في بداده وطلب عتيبة الى أن حك الركاب بالركاب ومسك درع عتيبة من الجلباب وجذبه اليه بعد أن عرف دخله من خرجه وصاح به واقتلعه من سرجه وصار معلق في يده بعد أن كاد يغمى عليه وقد ملكه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه الى بعض الغلمان وعاد بعد ذلك الى الميدان وطلب الضرب والطعان فبرز اليه عمرو ذا الكلاب ولم يخف من لوم ولا عتب فتلاقيا من غير كلام ولا خطاب وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار وجرى بينهما قتال يحير الافكار ويقصر الاعمار وما زالا كذلك الى آخر النهار وأقبل عليهم الليل بغياهب الاعتكار وافترقا على سلامة وكل منهما أبا كل كفيه على صاحبه ندامه وباتوا الفريقين الى

الصباح وكل منهما قد أراح واستراح **﴿قال الراوى﴾** ولما طلع النهار وبان ضوءه للابصار وبرز الغضنفر الى الميدان وطلب الضرب والطعان وما استقر به المكان حتى برز اليه عمرو ذو الكلب وصار قباله بين الطائفتين واذا بعنيترة قد خرجت من حرقة قلبها على خالها وحسن ودادها قد أطلقت فى عاجل الحال رأس جوادها ومرت مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف وقد ردت خالها عن البراز وقد طلبت بذلك الانجاز فلما رآها الغضنفر داخله فيها الطمع وقد التقته عنيترة مثل الاسد الادرع وحملت عليه حملت البطل الصميدع وتضاربا ضربا يحير الافكار ويعمى الابصار ورأى الغضنفر من عنيترة أمر مهول وقتال يحير العقول وأخذ فى الميدان عرضا وطول وكلما همت عنيترة أن تضرب الغضنفر يأخذها عليه الرأفة والفكر وتلحقها عليه الحنة وهى لم تعرف أى شئ لحقها من تلك الحنة ولم تدرى ما ذلك الحال وما وجدت لها بد تمد اليه بالحرب والقتال وحملت عليه وقومت السنان اليه وكذلك فعل الغضنفر وكان بينهما فى الحرب أمر منكر وقد أخذوا فى الكد والجد والاخذ والرد والملاصقة والمفارقة والمباعدة والمطابقة وسطى كل منهما على بعضهما بعض حتى تدكدكت من تحت أرجل خيلهما الارض وقد أخذوا فى الابرام والنقض فعند ذلك قام الغضنفر فى ركابه وتمطى فى بدادة وضرب عنيترة ضربة واصلة وقال انها تكون لعمرها فاصلة والهيا قاتلة فتلقت الضربة بقوة ساعدها فنزلت على الدرقة أدرع من طبق العين فانقسمت الدرقة نصفين فأرمتها من يدها قطعتين وهجمت عليه أن تفعل به كما فعل بها وشالت بالسيف يدها وضربته بقوة جنان فتقهقر الى خلفه بالحصان واذا قد وقعت رجليه فى بيت اليربوع فما كان له بد من الوقوف فوقع الى الارض وقد تمدد عن جواده بالعرض فانقضت عليه أخذته أسير وقد جعلته حمائل سيفها فى رقبته وسار بين يديها حقير وقد ضجت الجيشين وتعجبت من هذا الاتفاق الفريقين **﴿قال الراوى﴾** ولما رأت بنى عبس وبنى قضاعة الى عنيترة

وقد أمرت الغضنفر أخذهم الفرح والطرب وأيقنوا بالنصر والظفر فعند
ذلك حملوا حملة منكرة وكردسوا الروم خمسة خمسة وعشرة عشرة وعمرو
ذو الكلاب أمام الخيل وأنزلوا بالروم البلاء والويل وجعل عمرو يكتال
الرجال كيل وأى كيل وقد قل من الروم القوى والحيل وأخذا فى الهرب
وأعطت ظهورها للعرب واوسعت فى جنبات تلك الارض ولعب السيف
فيهم طولا وعرض وانهزموا طالبين قلعة برقعيد وما نجى منهم بنفسه الا من
كان تحته جواد جليد وتبعوهم بنى عبس وبنى قضاعة الى منازلهم والخيام
وقد كلوا وملوا من ضرب الحسام ولكن قد نهبوا فى أموال الروم ومضاربهم
وخيامهم مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولما نزلوا واستقروا فى الخيام
وأكلوا ما راج من الطعام فعند ذلك أحضرت عنيترة الى بين يديها الغضنفر
وقد بان منه ان قلبه قد انكسر وقالت له يا ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا
وحق الدائم الباقى بلا زوال ولا فناء الذى جعل الليل سكنا والنهار معاشا
لئن لم تفدى نفسك بمن عندك من الاسرى والاموال لاعذبنك عذابا
لا تحمله الارض ولا جبال فهما زيد بن عروة وعتيبة بن حصن ومن معهم
من الرجال ثم ان عنيترة سلت سيفها ووثبت عليه وأرادت أن تبطش عليه
فما طاوعها قلبها على ذلك ولكن لم تدرى ما هذا الامر الموجب لذلك وقد
ارتعدت يدها وتحرك كل عضو فى جسدها فأرمت السيف من كفها
وأمرت العبيد أن تقيده بالحبال وتعيده الى ما كان فيه من الشد والاعتقال
فقال لها الغضنفر لما رأى نفسه قد صار فى هذا الحال قال أيها الاميرة كلما
تريدين من المال وخلاص الرجال فاحمليني الى تحت القلعة الذى لنا ان
أردتى نجاة نفسك من المهالك فان أمى تفدينى بكلما تملك يدها سرعة
فقالت غدى أفعل ذلك ﴿قال الراوى﴾ ثم ان العبيد تسلموا الغضنفر
وأمرتهم بالحفظ عليه ولكن لا تأسى عليه من المحنة الذى أخذتها عليه
فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم وأما ما كان من الروم المنهزمين
واحوالهم ما زالوا فى هزيمتهم الى ان وصلوا الى القلعة وأكثروا من الصياح

والزعاق وأخبروا بما نزل بهم من تلك الفجعة فوصل الخبر الى الست مريم أم الغضنفر الذى قدمنا ذكرها أنها ابنة أخو الملك قيصر وأن ولدها قد أسرته عنيترة بنت عنتر وقد حكم بذلك القضى والقدر فلما سمعت بذلك الحديث والخبر انقطف لونها وتغير كونها ثم ان رجال ولدها احضروا بين يديها المأسورين وهم زيد بن عروة وعتيبة بن حصن وما معهم من الرجال وأخبروها بما جرى لهم من الحرب والقتال فلما رأتهم قالت دعوهم فى الشدد والاعتقال ويتوكل بهم الى غداة غد جماعة من الرجال لعل ان أفدى بهم ولدى مما هو فيه من الحبال فقالوا لها رجالها سمعا وطاعة ثم انهم فعلوا ما أمرتهم به فى تلك الساعة ✽(قال الروى)✽ وأن هذا الغضنفر بن عنتر من مريم هذه وقد ذكرنا فى كتابنا هذا فيما تقدم كيف تزوج بها فى مدينة رومة الكبرى لما كان أرسله الملك قيصر الى بلاد الافرنج وقتل بهند أخو خيلجان ملك الافرنج وقد ذكرنا أصل زواجه بها وكيف أخذها من عند أخوها ابن أخو الملك قيصر وأتى بها الى القسطنطونية وخلاها عند عمها ويقال فى بعض الاقوال أنها من بعض سراريه الخاص ✽(قال الراوى)✽ ان القول الصحيح الثابت الذى ليس ينكر أنها ما كانت الا بنت أخو الملك قيصر ولما أبقاها عنده وسار طالب بحر الفراه وجرى له ما جرى مع الاسد الرهيص وقتل ومات وكان موته بذلك الحال رخيص لكن ما تم نعيم الا ويكون وراءه تنغيص وذلك كما قيل فى المعنى وأى نعيم لا يغيره الدهر وذلك ولدت مريم هذا الولد الغضنفر وكان أسمر أغبر وقد كان أشبه الناس بأبيه عنتر ولما رآه الملك قيصر نفر قلبه منه كما رآه على ذلك اللون الاحمر وقال فى نفسه ان الذى أراه من الرأى المدبر أننى أعطى هذا وأمه بعض القلاع يعيشوا فيها ويكون معهم جيش فأخفاه عنده وما خلى أحدا ينظره لا من جيشه ولا من جنده وما زال عنده كذلك الى أن صار الغضنفر من العمر عشر سنين فأعطاه خمسة آلاف من خواص جيشه وأمره بالرواح الى قلعة برقعيد وأرسل معه أمه بجميع ما معها من الاموال

والخدم والجوار والعبيد والحلى والحلل وسار بينهم الغضنفر وهو كانه الاسد القسورالى أن وصل الى تلك القلعة فرآها أزهى أرض وأحسن بقعة ووجد أيضا فى صناعها خمسة آلاف فلاحين من متنصرة العرب وهو فى تلك الارض مقيمين فما زال حاكم على الرفيع منهم والوضيع وأنتشى وكبر وصار له شان وظهرت منه الفروسية وقهر كثير من الشجعان وأذل الاقران وهابته الابطال وخافت بأسه الرجال وشاع ذكره فى سائر الاقطار والبلدان ومن جملة ماوقع من الاتفاق ان وصل اليه خبر الحمل الذى أرسله المنذر من أرض العراق الى كسرى وجرى ماجرى من الامور وسار الى الغنيمة واحتوى عليها وأسر ماء السما ابن عم الملك المنذر هذا ومريم تطول روحها عليه وتعلم أنه لابد لبنى عبس من القدوم عليه وبعد ذلك تعرفه بأهله ويجتمع بهم شمله ووصلت اليه أخته عنيترة وأسرته وحكم عليه القضاء والقدر وذلك كله لاجل تدبير رب البشر ووصل الى أمه ذلك الخبر ففرحت فى قلبها وشكرت على ذلك ربها وما زالت دائرة الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأمرت من بقى عندها من الفرسان أن يسيروا معها حتى أنها تخلص ولدها وتطفى بخلاصه نار كبدها وقد أخذت معها ماء السما ابن عم المنذر الذى أسره الغضنفر فى النوبة الاولى لما أخذ حمل كسرى ثم أخذت أيضا زيد بن عروة وعتيبة بن حصن ومن كان معهم من بقية الرجال وسارت الست مريم فى أربعة آلاف فارس من أهل الرستاق وخلت المنهزمين مقيمين فى القلعة الى أن تعود لما يقع من الاتفاق وسارت بمن معها ذلك النهار وتلك الليلة فصبحت القوم صباح وأمرت جيوشها بالنزول فلما ذلك الوادى عرضا وطول ثم انها لما استقرت أرسلت فى ساعة الحال الى عنيترة رسول وكتبت معه كتاب وأعلمته بما يقول ﴿قال الراوى﴾ وكان الذى كتبته فى الكتاب ان بعد السلام أما بعد فان الذى أعرضه بين يديكى يا أميرة من الكلام بان الدهر كثير العجب وهو باهله يتقلب والعاقل من اعتبر وتعلم بمن مضى قبله من الامم وانى أريد منكى

يا أم الزعازع ولبوة الوقائع المهلة الى الليل ونبطل اليوم القتال وركوب الخيل ومهما أردتى بعد ذلك حملت لك ما تريده من المال وقد أتيت معى بجميع الاسارى وهم مطلوقين من الاعتقال وهذا الذى أريد منك والسلام ولكن أريد الاجتماع بك فى هذه الليلة عند المنام *(قال الراوى) فسار الرسول بذلك الكتاب الى عنيترة فلما وصل الى مضربها استأذن عليها فأذنت له بالدخول فلما دخل عليها وجدها جالسة فى ذلك المضرب والماهية تغلق الحجر والى جانبها اليمين زهير بن قيس والى جانبها اليسار خالها حمرو ذو الكلاب ولم أحدا فى ذلك المضرب والمحضر يحضر يقول لالم ولا ليس فلما حضر الرسول ناولها الكتاب فأخذته منه وأعطته للملك زهير بن قيس فقرأه وعرفوا جميعهم معناه فقالت عنيترة للرسول سلم على الست مريم وقل لها قد سمعت لها بكلما تريدوا كون بين يديها كبعض الخدم ومهما قالته وفعلته فانى ما أخالفها فيما به تتكلم *(قال الراوى)* فسار الرسول الى الست مريم بغير كتاب وأعلمها بما ردت عليه من الجواب لما أنها قد عرفت ما فى الكتاب من الخطاب ففرحت مريم بما تيسر من تلك الاسباب وصبرت الى الليل وقامت هى بنفسها بعدما أمرت الغلمان بحل الاسارى من حبسها فأتوا بهم الى بين يديها وأعرضوهم عليها فأخلعت عليهم الخلع الغالية المثمنة وانعمت عليهم النعم الشاملة وأحسنت اليهم غاية الاحسان وأخذتهم بين يديها وخرجت من ذلك المقام وأخذت معها مائة غلام وبين يديها أربعة من خصائص الخدام ومازالت سائرة وقد سمحت لاجل خلاص ولدها بالمال والنفس الى أن وصلت الى قرب جيش بنى عبس وأخذت الاذن من الحراس وطلبت منهم المشورة فمضى بعضهم وشاور الاميرة عنيترة فأذنت لهم بالدخول عليها وأن يحضروها الى بين يديها فعند ذلك دخلت عليها المضرب وبين يديها الخدام الاربعة فقامت اليها عنيترة قائمة على الاقدام وتمشت اليها واستقبلتها أحسن استقبال وكانت المضارب فى ذلك الوقت خالية من الرجال فسلمت عليها

وأخذتهما الاحضان وكل منهما فيما هو فيه من ذلك العز والشان وتمادت بين يديها وجلست على السرير وأخذتها بجانبها وقربتها اليها وتميزتها فرأتها فى ضوء ذلك الشمع المكوفر أشبه الخلق بولدها الغضنفر فقالت فى نفسها سبحان خالق الصور وأنبع الماء من الحجر ثم انها بكت وأنت واشتكت فقالت لها عنيترة مما تبكين أيتها الملكة الاميرة والسيدة الكبيرة ان كان خوفا على ولدك فانه لاجل قدومك علينا قد نجى من المهالك وها أنا الساعة أحضره الى بين يديك وتقر برؤيته عينيك فقالت لها مريم أيتها الاميرة وحق المسيح ان كان الكذب نجة فالصدق أحسن وأنجى وهو شئ مليح وانى أخبرك بما كان من الامر الصحيح وأشرح لك فى هذه الساعة حديث أعجب من كل عجيب وكلام تلذ به المسامع وتطرب له الاذان ويؤرخ فى الدفاتر ويكتب وهو أن هذا ولدى الغضنفر هو أخوك من أبوك عنتر وحق خالق البشر لان حديثى وحديثه عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن يبصر وذلك أنه تزوج بى لما أرسله اليناعى الملك قيصر وأتى الى رومة الكبرى وكسر الافرنج وأحل بهم العبر والدليل على ذلك أن ولدى مثلك أسمر وذلك بخلاف أهل بلاد الروم وهذا الكلام صحيح وحق الحى القيوم *(قال الراوى)* فلما سمعت عنيترة من الست مريم ذلك الخطاب والكلام ظهر الفرح على وجهها ولحقها الوجد والهيام وفرحت غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح وقالت عنيترة وحق مالك الممالك المنجى من المهالك لقد صدقت أيتها الملكة فى ذلك لانى كنت كلما رمت أضربه ونحن فى الحرب والقتال لم تطاوعنى نفسى على هذه الاعمال وكان يأخذنى من ذلك العجب لانى قاتلت وقتلت كثير من فرسان العرب ولم رأيت هذا العجب *(قال الراوى)* ولما فرغوا مما دار بينهما من القيل والقال قامت عنيترة فى ساعة الحال ودارت بها الغلمان يمينا وشمال وسارت الى المضرب الذى فيه أخوها الغضنفر وهى تكاد أن قلبها من الفرح قد انفطر ومازالت حتى انها دخلت عليه وأمرت الغلمان فحلوا يديه ورجليه وأمه معهم وقد

حضرت الى ذلك المكان وصارت تقول سبحان الحنان المنان الذى كل يوم هو فى شان وأقبلت عنيترة على أخيها الغضنفر وانكبت عليه وسارت تقبل صدره وبين عينيه وهى تقول سبحان جامع الشتات الذى يعلم مامضى وماهوآت والغضنفر يتعجب من ذلك غاية العجب ولا يدرى ما الامر الذى أوجب لذلك السبب واذا بأمه قد أقبلت عليه وسارت تقبل راسه وبين عينيه وتقول له ياولدى ان الله تعالى رد الوديعة الى أهلها وكانوا أحق بها وأولى بها فلما رأى أمه جعلت تفعل ذلك فأمن على نفسه من شرب كأس المهالك وقال لها بلسان عربيا معتبر ياويلك أعلمنى ما الخبر وأى شئ هذا الذى قد ظهر فقالت له الملكة مريم ياولدى أتيت أخبرك بما تقرر وذلك انك أخو هذه الاميرة عنيترة وأبوكم عنتر كان فارس الفرسان وأبو الفوارس عند الطعان وقد ظهر ما كان قد اختفى ومضى الحقد والجفا فقال لها ويلك يا أماه ولما لا كنت أعلمتينى من زمان وحدثتينى بما جرى من ذلك الشان فقالت له أمه ياولدى كانت بنى عبس قد انقطعت وطلبتهم جميع العربان وفيهم طمعت وخفت أنى أقول لك انك بن عنتر فتخرج من يدى وتقابلك الاعداء وربما قتلوا منك الاثر ولما رضى عنهم الزمان وجمع شملهم الواحد المنان وعادوا الى منازلهم والاوطان وخافتهم جميع العربان تحيات أختك هذه أم الزعازع عنيترة قاهرة الشجعان وقاتلة الابطال والاقران وقد عوضت أبوها عنتر سيد الفرسان ما كان فجمع شمل العشيرة من كل جانب ومكان وأخذت حمل الملك كسرى وجرى لك مع ماء السماء بن عم المنذر ما جرى فعلمت أن لابد أن تطلبك بنى عبس وكان ظنى أنك تاسر منهم من يفتدوه بالمال والنفس وأعرفك بعد ذلك انهم بنى عمك ورجال أحدا منهم يقيم عندك وما كان ظنى ان فيهم مثل هذه الاميرة عنيترة وان لها فى الحرب مثل هذه الصولة والمقدرة فلما أسرتك وفعلت هذه الفعال ما بقا لى صبر على اخفاء الحال فانى أتيت الى عندك وأعلمتك بما كان من الاحوال وان هذه اختك الاميرة عنيترة بنت أبوك من الهيفة قناصة الرجال

وقد عادت وعمرت بلادهم الذى هى العلم السعدى وأرض الشربة واجتمعت عليها الاصحاب وأتت اليها سائر الاحبة وخافت من هيبتها جميع العرب من بعد منها ومن اقترب ❁(قال الراوى)❁ فقالت عنيترة وحق الملك الجبار الذى يعلم ما تكنه الصدور وما تخفيه الاسرار وهو الله الواحد القهار انى ما أسرته لا بقوة ولا باقتدار لانه والله فارس فى الحرب ما عليه عيار ولكن ما اعدنى عليه الا الاقدار حتى يتضح المخفى وتصح الاخبار ❁(قال الراوى)❁ ولما سمع الغضنفر كلام أمه وأخته تعجب غاية العجب وعلم أن الدهر بأهله يتقلب وفرح لكون ان بنى عبس وأقرباه وان عنيترة أم الزعازع أخته وان عنتر بن شداد أباه لان اسم بنى عبس كان بين العرب كبير ولاسيما بذكر عنتر بن شداد الفارس النحرير ثم انه قال لامه الآن عرفت من هو أبى ومن هم قومى وعربى ثم أسرع الى أخته عنيترة وقبل رأسها ويديها واستقر بذلك أمره وقبلت الاخرى يديه وصدره وباست عارضيه ونحره وأخلعت عليه فى عاجل الحال وسمعت به سائر الابطال فأتاها الملك زهير ليهنيها بما صار من تلك الاحوال وكذلك خالها عمرو وذو الكلب أتى اليها فى جماعة من الرجال وهنوها أيضا الجماعة الذى خلصوا من الاعتقال وقد زادت البشائر وارتفعت بذلك قدر بنى عبس المشاهر وكان لهم ليالى وأيام مار ؤا مثلها فى سائر الايام وكان أفرح الخلق بذلك الملكة مريم وذلك باظهار نسب ولدها وارتفاع قدره بين العرب والعجم وانهم أقاموا فى ذلك المنزل ثلاثة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام وأيام كانها أضغاث أحلام مما فاض عليهم من الخير والانعام لان تسامعت بذلك فرسان قلعة برقعيد فأتوا الاجل ملكهم الغضنفر بالخير المزيد وبعد ذلك قالت عنيترة لاخيها الغضنفر يا أخى اذا سمعت العرب انك أخى ويشتهر ذلك الامر ويظهر فهم يحسدونى ويحسدوك وربما أن يثوروا شيأ من الحقود الكامنة ويكون ذلك أمرا وضيعا منكرا والرأى عندى أن تسير معى الى ديارنا والاوطان وتكون عندى فى أعظم منزلة وأعلى مكان واذا كنا مجتمعين مع

بعضنا تهابنا العربان وتم وجه آخروهوان لنا ثارعلى قوم يسموا بنى نبهان فنريد أن نأخذه منهم ونكشف عن أنفسنا العاروتزيل عنا الهم والشنار فقال الغضنفرهذا هوالرأى الصواب والامر الذى لا يعاب ونكون كلنا يداواحدة على مانرجوه من المعونة والمساعدة (قال الراوى) لهذا الكلام وانهم لما اتفق بينهمـا ذلك المرام أقاما فى هذا المنزل بقية الثلاثه أيام هما ومن معهما من الرجال الكرام وهما بنى قضاعة وبنى عبس فرسان المنايا والموت الزؤام وفى اليوم الرابع عزموا على المسير والجدوالتشمير فقال الغضنفر لعنيترة يا أختاه لابدلى من العود الى قلعتى لاقضى منها حاجتى وآخذ منها ما يعز على من مالى ومال والدتى (قال الراوى) ثم انه سار فى عاجل الحال طالب قلعته وامه ورجاله فى صحبته وقد دارت به كما كان أرباب دولته وكبراء عشيرته وقد سار فى ستة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وقد ذكرنا فيما تقدم من هذه الاقوال النفائس انه حاكم على عشرة آلاف فارس وكان خلى فى القلعة ألفين فارس لاجل حفظ أموالها والالفين الاخرى متفرقة فى القرى والضياع لاجل قضاء أشغالها ولما كان ثالث يوم كان قد قضى أشغاله وحاجته وعاد طالب أخته عنيترة كما اتفق بينهما الميعاد وكان من الامر كما قدمنا انهما خلصوا ماء السما بن عم الملك المنذر وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن سيد بنى فزارة وقد أخلعت على ماء السما خلعة سنية تساوى ألف دينار كسروية وأعطته جميع ما كان أخذه أخوها الملك الغضنفر من الحمل بتاع الملك كسرى أنوشروان الذى كان من تحت رأسه هذا السفر فانهم لما تعارفوا وشاع الخبر فلم يكن له منكر ولا جاحد بل انه قال لها يا أختاه هو عندى ولم ينقص منه الدرهم الواحد وان الله تعالى على ذلك وكيل وشاهد (قال الراوى) وانه لما مضى الى القلعة ليقضى منها أشغاله فأتى بالحمل جميعه وفى صحبته أمواله ولما عزمت عنيترة هى وأخوها على المسير سيرت بن عمها ماء السما بذلك الحمل والمال الكثير وسيرت معه ألف فارس من بنى قضاعة وبنى عبس

الرجال الاقيال ليحفظوا مامعه من تلك الاموال وسارت الاميرة عنيترة بعد ذلك طالبة أرض الحجاز ومنازل بنى عبس وصحبتها الامير الغضنفر أخاها ابن الامير عنترة وأمه وهى تود أن تفديه بالمال والنفس والسمع والبصر وذلك لما رقع فى قلبها من الوداد والاخوة والمحبة وجعلوا قصدهم العلم السعدى وأرض الشربة *(قال الناقل)* المصنف لهذا الكلام وكان مسيرهم على نواحى أرض الشام ولم يخافوا من أحد من سائر الانام لان قد كبرت شوكتهم وعلت كلمتهم واشتدت حميتهم ولاسيما من حين اجتمعت عليهم هؤلاء الفرسان والتمت عليهم تلك الاقران وقد صارت عليهم وحواليهم جيوش كثيرة من العربان من بنى قضاعة و بنى فزارة ومن الروم وبنى عبس وعدنان *(قال الناقل)* المرتب لهذا الديوان فبينما هم سائرين فى تلك البرارى والقفار وهم يقطعون السهول والاوعار واذا بغبار عن عينهم قد ثار و بعد ساعة تقطع ومار وانكشف عن خمسمائة فارس كرار مامنهم الا كل شجاع مغوار و فى مقدمتهم فارسين كانهما الاقمار وما على مثل فروسيتهم عيار فأما الاول فهو أسمر أكحل تضرب سمرته الى الحمرة وكان الآخر أبيض أشقر كانه من أولاد الملوك الكبار (قال الناقل) المصنف لهذه الاخبار فلما رأت عنيترة واخيها الغضنفر الى ذلك الجيش الجرار قالوا الواحد من الفرسان الذى بين أيديهم أكشف لنا عن هذه الاخبار وأنظر لنا ما تحت هذا الغبار فان كانوا أصدقاء فبشرهم فان كانوا أعداء فبشرهم بدمارهم وفناهم فسار ذلك الفارس حتى انه التقى بتلك الفرسان واذا بهما على رؤسهما رايات وصلبان وعلامتهما تدل على انهما من بنى غسان ومنتصرة العربان *(قال الراوى)* فلما وصل اليهم ذلك الفارس ناداهم ياهذه الابطال القناعس أخبرونى من تكونون من العربان فأنا ارى عليكم زى فرسان بنى غسان وأيضا منتصرة العربان واعلمكم ان هذه الفوارس المقبلة عليكم فانها من فرسان بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان والمقدمين عليهم أم الزعزع عنيترة واخوها

الغضنفر أولاد الامير عنتر بن شداد الذى كان شجاع الزمان ومقتنص الشجعان والملك زهير بن الملك قيس ملك بنى عبس وعدنان (قال الراوى) فلما الان سمعوا تلك الفارسين من ذلك الرجل الذى قاله من الكلام حتى انهم نادوا عن لسان واحد وابشراه بلتقى أحباه وأصدقاه ونخبركم ها نحن فرسان بنى عبس وعدنان الكرام المعروفين بين الانام بفرسان المنايا والموت الزوام وأخبركم عن هذين الفارسين أحدهما يسمى باسر بن ميسرة الفارس الغضنفر والثانى يسمى ليث الميدان بن مازن بن شداد أبو الامير عنتر الذى كان ذكره قد ملأ السهل والجبل وذكره باق الى يوم المحشر * (قال الناقل) * المحرر لهذا الخبر وقد كان السبب فى ذلك الامر الذى تقرر ان عنتر لما انمسك فى مدينة دمشق عند الحارث سيد بنى غسان بحيلة الربيع بن زياد القرنان وأيضا بابه أبى حارثة سنان وقعد فيها مدة كبيرة من الزمان وسار الحارث بجيشه للقاء الفرس ودساكر الخيرسان وأتى أبو الدوح بن أخو الحارث وهجم على البلد هو ومن معه من الفرسان من أجل ابنة عمه حلية كما قدمنا فى هذا الديوان ودخلت حلية على عنتر هى ومن معها من النسوان وأخبروه بما صار لهم من ذلك الشان وأطلقوه هو ومن معه من بنى عمه من القيود بعدما أخذوا عليه الايمان والعهود وقتل أبو الدوح وأحيى البلد وأعطاهم الامان وعاد الى القيود والاصفاد كما كان ولما عاد الحارث سيد بنى غسان وأخبرته ابنته بذلك الشان وبعد ذلك اصطلحوا وكان منهم ما كان وأهدى الحارث الى عنتر الثلاث جوار حسان لما أراد السفر والرواح الى الاوطان فأعطى الواحدة لميسرة وأعطى لأخوه مازن الجارية الاخرى واعطى لعروة بن الورد الثالثة من غير تهاون ولا فترة وقد عادوا بعد ذلك راجعين الى الاوطان وأقاموا عندهم برهة من الزمان ورزقوا منهم هذه الولدين باذن مكون الاكوان فلما قتلوا ميسرة ومازن وشربوا كأس الهوان ورحل عنتر الى بحر الفراه وأقام فى ذلك المكان واشتهوا الجوار على عنتر ان يروحوا

لسنهم حليمة ويزوروها فأذن لهم فصواتلك الولدين وكانوا تربوا على صدرها صغار وبعدها قتل عنتر وشرب كأس البوار وحكم عليه بذلك العزيز الجبار الذي مالاحد من حكمه مهرب ولا فرار ولا واقا. واهذين الولدين مع أمهاتهما الى أن صاروا كبار وهما يسمعوا عن بني عبس تلك الاخبار وبعد ذلك سمعوا من بعض السفار أن قد انتشى في بني عبس فارسة تسمى أم الزعازع وقد قهرت مثل ذوا الخمار وقد اجتمعت عليها بني عبس الكبار منهم والصغار فعند ذلك استأذنوا استهم حليمة وأخوها عمرو الفارس القهار وقد ساروا في هؤلاء الخمسمائة فارس لينظروا اما كان من تلك الاخبار وجرى ماجرى والتقوا في تلك البيدا والقفار فعندها سار ياسر بن ميسرة وليث الميدان حتى التقوا بعنيترة وأخوها الغضنفر شجيع الزمان وتعارفوا وكان منهم ما كان وتلقتهم عنيترة وأخيها والملك زهير ومن معهم من الفرسان بالترحب والكرامة وأحسنوا لهم غاية الاحسان وساروا الكل طالبين أرض الشربة والعلم السعدي ومنازل بني عدنان وما كان معها في الطريق سوى مائة فارس ممن كان قد صحبها من الفرسان وانضاف اليها تلك الخمسمائة فارس الذي مع ياسر وليث الميدان لاننا قدمنا في هذا الديوان انها خلت فرسانها في الحيرة عند الملك المنذر وسارت هي في الف فارس أعيان لخلاص الجمل فانقضى الشغل وهان وأيضا أرسلت من كان معها من الفرسان مع ماء السما ليحفظوا الحلل من شيا طين العربان وامرت بني عبس الذي ساروا الى الحيرة مع ماء السما أن يأخذوا من كان متخلف في الحيرة من بني عبس وعدنان وبني قضاعة ويسيروا بهم الى أرض الشربة والعلم السعدي وتلك الوديان ﴿قال الناقل﴾ لهذا الشان ولما وصلت عنيترة وأخيها الغضنفر ومن معهما من الفرسان تباشر بهم كل من كان في ذلك المكان واستأنست بهم الديار وكثر فيهم الفرح والاستبشار واطمأنت المنازل بالنازل والاوطان بالقطان وشاع ذكرهم وساروا في أعلى مكان وما أقامت عنيترة وأخوها الغضنفر ومن معهم الا

أيام قلائل ووصلت بنى عبس وعدنان من عند الملك المنذر ومعهم الخلع والملابس الحسان والنوق والجمال والخيل المسومة الغالية الأثمان ومن النوق العصافير خمسمائة ناقة بيض الالوان أرسلها الملك المنذر لعنيترة خاصة من دون الفرسان وبعضها محمل خز وبز من دق العراق وشيأ كثير ماء هيه ديوان ومال كثير تنفقه على من لها من الشجعان وأخبروا عنيترة ان الملك المنذر عليها غضبان كيف انها ماسارت مع ابن عمها ماء السما وكانوا يجتمعون مع بعضهم برهة من الزمان فقالت لهم والله يابنى عمى مافعلت ذلك احتقارا به ولا أردت بذلك الا التخفف عنه وانني ما أريد أخذ على مافعلت من الجميل جزا ومع هذا فانه قد غمرنا بجميله وأرسل لنا مافيه الكفاية وفوق النهاية وزاد عليه بتفضيله فقال الملك زهير والله ياأم الزعازع ان المنذر أكرمنا غاية الاكرام وأقام بواجب حقنا بما تريد من الانعام وذلك كله أكراما لك وتريد ان يجازيك على فعالك معه فقالت له عنيترة والله ياملك ان الفضل لكم علي وأنتم الذى أحسنتم الى غاية الاحسان وانني بسيوفكم أضرب وبهيبتكم أغلب وما أضرب فارسا الا بحسامكم وما أطعن بالرمح الا بعزمكم ولاسيما من حين وصلنا وجاءنا أخى هذا الغضنفر الفارس الكرار والليث المغوار وهؤلاء الفارسين الآخرين أخى ياسر وابن عمى ليث الميدان واجتمعت علينا هؤلاء الشجعان فلا بدلنا من حين يخلا بالنا وتلتم رجالنا ونسير الى أخذ الثار وكشف العار من بنى نبهان اللئام الفجار فشكرتها الحاضرين وزهير بن قيس على كلامها وقوت قلبها وحسن اهتمامها وأقامت بنى عبس ومن اجتمع عليهم فى اصطناع الولائم وقد رتع فى تلك الخيرات القاعد والقائم وقد خافتهم جميع العرب من بعد منها ومن أقترب وعاد عزهم أعظم ما كان وأخلف عليهم الزمان أقوى من حاميتهم عنتر بن شداد الذى كان قاهر الاقران وقد صارت بيوت قراد أحسن ما كانت فى اول الزمان لانه انضاف الى بيوت عنيترة أخوها الغضنفر بمن معه من الفرسان وأيضا ياسر ابن ميسرة وابن عمه ليث

الميدان ومن قدم معهم من بني غسان وكذلك عمهم جرير وابن عمهم الخزروف وأيضا زخمة الجواد أخو شداد وسبيع اليمن بن مقري الوحش ليث الطراد وزيد بن عروة والامير عمرو وذو الكلاب واخته المبغة قناصة الرجال وكان قد انتشى لقصوب بن عنتر في بني قضاعة ولد لما غضب من غمرة وسار طالب مكة وجرى له مع أبيه ماجرى وانتشى ذلك الولد وبقي فارس قسور وانضاف الى عنيترة والى أخيها الغضنفر وكان فارس شديد يسمى أسيد ﴿قال الراوي﴾ وكان أيضا قد ظهر للغضبان ولد من زوجته دعد وكان اسمه الدبال وكان يعد في الحرب بألف فارس من الابطال وكان الآخر قد انضاف اليهم على ذلك المثال وكان كل واحد من هؤلاء الذين ذكرناهم من الاهل والاقارب يحكم على رجال وابطال ولهم خيام ومضارب ونوق وجمال ونعم وأموال وخيول وجنائب واما بني زهير فان ما كان بقي منهم سوى زهير بن قيس وبعض أعمامه الكبار وكانت عنيترة توقره غاية الوقار وما تعده الا من جملة الملوك الكبار مثل ما كان أبوها عنتر يفعل مع الملك قيس فانه كما ذكرنا كان عنده جليل المقدار واما بني زياد فانهم انقطعوا من بني عبس ونفذ فيهم حكم رب العباد لان عنتر لما قتل الربيع وأخوه عمارة وأحل بهم الذل والخسارة ورحل الى بحر الفراه وأقام هناك على ما قدمناه من تلك العبارة فأنزل الله بعد رحيله على بني زياد الهلاك والفناء والذي تبقى منهم انقطع يوم وقعة بني عبس وحل بهم الارتباك وذكر الاصمعي مصنف هذا الكلام انه لم يبق منهم ولم تخلف منهم غير الشمر بن زياد الذي قتل سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب في أرض كربلا وذلك باذن رب المشارق والمغارب وكانت قد سبقت فيه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه دعى عليه بالعطش والظما فصار كل يوم يشرب عشر مرات من الماء ولا يروى حتى انفقعت بطنه ومات وذلك كان بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد السادات ونرجع الى ما كنا فيه من الكلام وأقامت عنيترة حامية ديار بني عبس هي وأخوها الغضنفر مثل

ما كان

ما كان أبوها عنتر وقد هابتهم سائر العربان وخافت من بأسهم اسائر الاقران (قال الاصمعي) لهذا الديوان فهذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشان وأما ما كان من الامير قيس بن الملك زهير واخوته لما دخلوا الى الصوامعة وعلوا رهبان لانا قد ذكرنا أنه لما مات عنتر واتهم العرب من كل سهل ووعر وجرى عليهم ما جرى من ذلك الامر المنكر ومحي شأنهم واندثر وانقطع منهم الاثر فأخذ ابنته الجمانة على كفل جواده داحس وسافر بها أيام حتى وصل الى بحر الفراه فأرمى روحه فيه وهو من الحياة آيس فقطع به الجواد البحر وقد أمل النجاة فوقعت ابنته من خلفه فغرقت وماتت موت الفجاه ونجي قيس وطلع من البحر على ظهر جواده وسارها جا على وجهه وقد آيس من بلوغ مراده الى أن وصل الى الصومعة التي ذكرناها وقتل الراهب وقد سكن موضعه وصار من الامر ما قدمناه وبعد مدة من الزمان وقد طالت نوبته ﴿قال الراوي﴾ فبينما هو قاعد الا وقد أتت عليه ثلاثة من أخوته وقد خافوا على أنفسهم من الموت لما رؤا الى بني عبس قد انقطعوا وفات فيهم الفوت وقصدوا الى تلك الصومعة وهم يظنون ان فيها أحدا من الرهبان وهو مقيم فيها من قديم الزمان فأرمتهم المقادير على أخيهم قيس فلما عرفوه وعرفهم عولوا على الاقامة في ذلك المكان وكادوا ان يخرجوا من عقولهم من حسن هذه الاتفاق الذي لم يسمع بمثله في سائر الآفاق وكانوا الثلاثة الذين قدموا على قيس من اخوته أخبرنا عنهم من ذكر هذا القول بالتحرير انهم كانوا ورقة ونوفل وكثير فأقاموا عند أخيهم جملة من الاعوام وقد أمنوا من حوادث الليالي والايام وهم في تلك البراري والاكام وكانت مدة أقامتهم عشرة أعوام الى أن بلغهم ما جرى لبني عبس وعدنان وكيف عادت دولتهم مثل ما كانوا من أول الزمان وقد خافتهم سائر العربان وقد انتشى فيهم فارسة ما تهاب الموت الاحمر يقال لها عنيترة بنت عنتر وامها الهيفة قناصة الرجال أخت عمر وذو الكلب سيد بني قضاعة وقد أطاعت لعنيترة سائر القبائل بالسمع والطاعة وساروا

نازلين فى أرض الشربة والعلم السعدى ومن المهيبة الذى لها فى قلوب الناس لم يمكن أحدا على أحد متعدى وزهير بن قيس حاكم على ألف وخمسمائة انسان وهم من بنى عبس وبنى فزارة وبنى غطفان وعنترة وخالها وأخيها الغضنفر قد صاروا فى عشرة آلاف فارس وأكثرهم اليوم فى أمان واطمأن وقد هابت بنى عبس وبنى قضاعة سائر العربان ﴿قال حازم المكى﴾ لهذا الديوان ولما تحقق قيس واخوته ذلك الكلام من السفار والعابرين بهم فى الليل والنهار ممن يهدوا لهم الهدايا ويقربوا لهم القربان وهم يعتقدون منهم انهم رهبان واتضح ذلك القول والبرهان فقال قيس لاخوته ما عندكم من الرأى الرشيد فقالوا له أنت أحق منا بالقول السديد والامر الجيد والعرب تسميك قيس الرأى فافعل ما تريد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع قيس كلام اخوته وعلم ما اتفقوا عليه من اتباع مشورته فقال لهم ان الرأى اننا نسير ونطلب أرض الشربة والعلم السعدى ولعل الزمان يكون قد غير الاحوال فقالوا له اخوته نعم ما ذكرت والصواب ما به أشرت ﴿قال الراوى﴾ وكانت خيولهم سائبة فى تلك الارض عندهم كل هذا الزمان يأكلوا من تلك الاودية ويشربوا من تلك الغدران وقد ساروا كلهم فما كان لهم دأب الا انهم شدوا على خيولهم وأخفوا أحوالهم بالامور الذى يعرفوها وساروا طالبين ديارهم وأطلالهم وهم يتأسفوا على ما جرى فى أموالهم وعيالهم ﴿قال الراوى﴾ وانهم لم يزالوا يقطعون البرارى والقيعان حتى أرمتهم المقادير على أرض بنى نبهان وكان جوارهم عليها فى جوف الليل فكروا عند ذلك من تحتهم الخيل فأصبح صبحهم على أطراف بلادهم وتحققوهم الرعيان وكانت سائر قبائل العرب تعرف فرسان بنى عبس عبيدها وصناديدها وتعرف أوباشها من أماجيدها الا انها كانت طائفة قليلة وأعداها كثيرة وقد فعلوا بهم فى تلك الوقعات الكبار ولاسيما الملك قيس بن زهير وأخوته وما فعلوا فى العرب فى أيام عنتر وشجاعته فقام عليهم العائط من الرعيان وتجمعت خلفهم عبيد بنى نبهان

ودار واحوا اليهم من كل ناحية ومكان وقد تبع قيس واخوته أوفى من ثمانمائة عبد من العبيد الشداد فوقف قيس وقفاته المعروفة ووقفت اخوته وتجالدوا أشد جلاد وقال لهم يابنى أبى موتوا كرام ولا تموتوا لئام فان لابد من ضرب الحسام فقال له أخوه نوفل نعم ما قلت يا أخى من هذا الكلام ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم أكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا على العبيد وحملت العبيد عليهم وهؤلاء فرسان بنى عبس الاماجيد وليوثها الصناديد وهؤلاء الذين القوا بهم على كل حال رعيان وعبيد فما كان الاساعة حتى أرموا منهم تسعين عبد على الصعيد وقد نثروهم فى الميدان ومددوهم على الصحصحان وقد سال الدماء من السيوف وتناهلوا كاسات الحتوف وبان كل بطل موصوف ﴿قال الراوى﴾ وكان قيس واخوته كما قدمنا من شجعان العرب وقد قدمنا ذكر قيس وما جرى له يوم الجبلين أجه وسالمى معدى كرب فقتل هو واخوته فى تلك الساعة أكثر من نصف العبيد وأحلوا بهم العطب وقد عولوا الباقين على الفرار والهرب وطلبوا لانفسهم النجاة فى ذلك البر والسبسب ﴿قال الراوى﴾ واذا بالغبار قد علا من ناحية أرض بنى نبهان بعد ساعة وبانت من تحته الفرسان وقد ظهرت الشجعان وكانوا أوفى من ثلاثة آلاف عنان وقد أتوا الى قتل الملك قيس بن زهير واخوته ويعدموا كلا منهم مهجته لان العبيد مضوا فى عاجل الحال وأعلموا السادات بذلك الشان فركبت فى الوقت والساعة فرسان بنى نبهان وطلبوهم فى تلك البرارى والكثبان ﴿قال الراوى﴾ لهذا الديوان ولما رأى قيس واخوته ما أتاهم من فرسان العرب قال لهم يابنى أبى اطلبوا بنا الهرب والا متنا موت الفجاء وحل بنا العطب فقال ورقة نعم ما قلت يا أخى من هذا الرأى الصائب ثم انهم ألووا رؤس خيلهم وطلبوا النجاة فى ذلك البر والسباسب ولما رأتهم فرسان بنى نبهان وقد فعلوا تلك الفعال أخذوا عليهم سائر الطرقات وطلبوهم من جميع الجهات فلحقوا منهم نوفل وتكاثرون عليه فقتله وأحلوا به التدمير ﴿قال الراوى﴾

وأما قيس فانه كان تحته جواده داحس وقد ذكرنا فيما مضى من حديث هذا الجواد وما كان فيه من الامور النفائس فطار بقيس فى ذلك البر والتلال وطلبته الخيل من اليمين والشمال فما لحقوا منه الا الغبار ونجى بقيس وتبطن فى تلك البرارى والقفار فطلب ناحية البحر الاعظم وقد خاف قيس على نفسه من الهلاك والعدم ومازال كذلك وهو قدامهم وهم وراءه حتى أرمى روحه فى بحر الفراه هو وجواده داحس فغرقوا الاثنين وحان عليهما الحين *(قال الراوى)* هذا وبنى نبهان قد عاينت ذلك الحال ورؤا الى ما فعل قيس من تلك الفعال وقد أرمى روحه فى البحر وغرق وشرب كأس الوبال ولا رضى بمن يحكم فيه وينزل به الاذلال فقالوا لبعضهم بالله من فارس من بين الفرسان اخترت الموت عن الذل والهوان ثم انهم رجعوا عنه نادمين وفيما فعلوا خاسرين وفيهم من بكى عليه ولاموا أنفسهم عما أسوا عليه *(قال الراوى)* فهذا ما كان من قيس وما جرى له واما ما كان من ورقة اخيه وأحواله فانه لما اشتغلوا عنه بنى نبهان فى اتباعهم لقيس فى تلك البرارى والقيعان وقتلهم أخيه نوفل فنجى بنفسه وقد اشتغلت عنه الخيل ومازال سائر بجواده الى أن دخل عليه الليل وكان هذا الجواد الذى تحته معدوم المثال فى الخيل وكان الحق سبحانه وتعالى قد أسكن فيه القوى والحيل ولما انه أقبل عليه الليل ثم سار طول ليلته الى أن أصبح عليه الصباح وقد أيقن انه نجى بنفسه من ذلك الامر الغامر فرأى روحه قد قارب ديار بنى عامر فتباعد عن الطريق وسار فى أودية وأوعار الى ان صار آخر النهار ونزل على بعض الغدران وأراح واستراح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح فركب جواده وسار طالب العلم السعدى وأرض الشربة وهو مشتاق الى من فيها من الاهل والاحبة وقد انكبه الدهر فى اخوته أى نكبة *(قال الراوى)* ومازال سائر الى ان اقبل على الديار والاوطان وبانت له المضارب والخيام والغدران فتهاطلت دموعه على خديه مثل الجمان ومازال كذلك الى ان شق بجواده بين

المضارب

المضارب والخيام وكان ذلك بعد ثمانية عشر أيام فتبادرت اليه أهل الحلة فعرفوه بالصياح والزعاق وانهلت الدموع من الاماق وتبادرت الى صوت ورقة الرجال وأقبلت عليه الابطال . وصل الخبر الى الملك زهير بن الملك قيس فخرج للقائه ماشي على رجليه وقد كاد من الفرح أن يغشى عليه ومازال الى أن التقى بعمه ورقة وهو لا يصدق ان ذلك الامر صدقا ولا يؤمل انه يراه حقا ولما رآه ورقة ترجل اليه واعتنقه وضمه الى صدره وسلم عليه وصار يقبله في عارضه ونحره وبين عينيه وأقبلت أيضا عنيترة وأخوها الغضنفر وأقبل خالها عمر وذو الكلب الامير وأقبل جرير وابن أخيه الخزروف وكل منهم على لقاء ورقة ملهوف وساروا الناس متعجبين من هذا الامر وهم وقوف فسلمت عنيترة على ورقة غاية السلام وتبادرا اليه جرير والخزروف وسلما عليه وسار ومع جلة الناس قيام وجعلوا يتذاكرون ما مضى وقد تباكوا لما جرى عليهم وحكم به القدر والقضاء ولما انتهوا من السلام انعزل كل خل بخله وقد سار الملك زهير ومعه عمه ورقة وقد كاد قلبه من فرحه به يطير وينفطر وذلك الاميرة عنيترة بنت عنتر وأخوها الملك الغضنفر وعمها جرير وابن عمها الخزروف وسبيع اليمن بن مقرى الوحش وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن ووجوه القبيلة ومازالوا كذلك الى أن وصلوا الى مضرب الملك زهير وجلسوا للحديث والكلام بعد ما فرغوا من بعضهم من السلام وقد جعل ورقة يحكي لزهير ولمن حضر ما جرى له وما عليه قد تم من هذا الامر المنكر وعلى اخوته من بني نبهان وكيف قتلوا اخوته نوفل وكثير وقد أخبرهم كيف غرق قيس وجواده وابنته في النهر والغدير والله أعلم *(قال الراوي)* فلما سمع زهير كلام عمه ورقة بكا بكاء شديدا وبكت الجماعة الحاضرين بكاء شديد ما عليه من مزيد فقالت له عنيترما بالك أيها الملك تبكي لا أبكى الله لك عينا ولا أشمت بك انسان وكيف تبكي يا ملك الزمان وحولك ههنا رجال مثل العقبان وكل فارس منا يقوم بجماعة من العربان فدع عنك البكاء والانين والاشتكا

وسيرينا الى بنى نبهان انقلع آثارهم ونخرب ديارهم وننزل بهم الذل
والهوان ونأخذ منهم بثار أبوك واعمامك وأيضا ثار أبى سيد الفرسان
وأخلى ديارهم مثل أمس كان ونفعل بهم ذلك وحرمة الملك الديان الواحد
المنان الذى لا يشغله شأن عن شان *(قال الراوى)* ثم ان عنيترة
التفت الى أخيها الغضنفر والى من حوله من الفرسان والى خالها عمرو
ذو الكلاب ومن تحت يده من الشجعان وقالت لهم خذوا أهبتكم حتى اننا
نسير للحرب والقتال ونأخذ ثارنا من بنى نبهان ثم قالت له كل منكم
ينهى رجاله ويوصى أبطاله ثم انها الاخرى بعد ذلك صرخت فى بنى عبس
وبنى فزارة وكان قد التم منهم جماعة كثيرة وساروا من تحت يدها زخمة
الجواد وقالت الخيل يا أرباب الخيل لترفعوا عن أنفسكم ما حل بكم من
الويل *(قال الراوى)* فركبت بنى عبس لوقتها وساعتها وصرخت
أيضا فيمن تحت يدها من الفرسان وقالت لهم خذوا أهبتكم وكذلك قالت
للملك زهير قوم يا ملك وأزل عن قلبك بأخذ ثارك ما قد اعتراك من الهم
والضير فقام الملك زهير قائما على الاقدام لما سمع منها ما أبدته له من ذلك
الكلام وقدموا له الجواد النوبة العبيد والخدام فركب وركبت لركوبه
سائر الفرسان ومن قد أجتمع عليهم من قبائل العربان وكانوا خفيفين
الظهر متأهبين لذلك الشان ولم يأخذهم عن ذلك اهمال ولا توان وساروا
فى عاجل الحال طالبين أرض بنى نبهان وعنيترة وأخيها الغضنفر بين يدى
الفرسان وهو تقول لا أهلا ولا سهلا ببنى نبهان وهى محرقة التلاقة تقول
لابد ما أشتت شملهم فى أقطار الفلا وحرمة العلى الاعلى *(قال الراوى)*
ثم سارت القبائل تتبع بعضها بعض الطلاب وهم بنى عبس وبنى
قضاعة ومن يليهم من الاعراب وتبعهم أيضا بنى فزارة وكان قد أجتمع
عليهم ألف وخمسمائة ممن لهم من الخلان والاصحاب وكذلك المنتصرين
الذى أتوا مع الغضنفر وهو سائر بين أيديهم كأنه الاسد القسور وقد كملت
عدتهم اثنى عشر ألف فارس قد وكلوا بالاموال ألفين فارس أعيان لان

عدة من كان قد اجتمع عليهم من بنى عبس وعدنان ألفين فارس اعيان من كانوا قد اجتمعوا فى الجبال وسكنوا فى الاودية الخوال ﴿قال الراوى﴾ وذكر ان اغلب نفر قد أتى فى أربعة آلاف وعنترة وخالها عمرو وذو الكلب من بنى قضاعة فى أربعة آلاف فارس نجاب واضاف عليهم من بنى فزارة والحلفاء والاصحاب ستة آلاف وأكثرهم من القرائب والاحباب فصاروا فى ذلك اليوم أربعة عشر ألف فارس انجاب وتقدمنا فى هذه الاقوال النفاس ان بنى عبس كان عدتهم فى زمان عنتر أربعة آلاف فارس فهؤلاء قد زاد بهم الامر عن حد القياس وقد زاد فى قلوبهم لهيب النار لاخذ الثار لاجل يخمدوا منهم الانفاس فساروا يقطعون البرارى والقفار والقيعان طالبين ديار بنى نبهان ليحلوا بهم الذل والهوان ويكشفوا عن أنفسهم العار والذل والشنار ﴿قال الاصمعى﴾ لهذه الاخبار فبينما هم سائرين على ذلك العيار وهم يقطعون المناهل الليل والنهار ولا يقر لهم قرار الى أن كان يوم من بعض الايام واذا قد ثار من بين ايديهم غبار وقتام ساعة وقد انكشف ذلك الظلام وبان من تحته ألفين فارس كأنهم الاسود العوابس وبين أيديهم هودج عالى والرهج من كثرة الذهب الذى عليه يتلالا وهو مقبل بين يدى تلك الابطال على عجل طالبين ارض الحجاز من غير مهل وكان اقباله من ناحية ارض الشام وتلك الفرسان محتاطين به فى ذلك البر والآكام ﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام العجيب فلما رأت فرسان بنى عبس الى ذلك الحال والى تلك الفرسان المقبلة وما معهم من المال فقالت الاميرة عنيترة لابن أخيها ياسر ولابن عمها ليث الميدان انظروا ما هؤلاء الفرسان فانى أراهم مقبلين من ارض الشام وتلك الفرسان من بنى غسان فعند ذلك سارا كما أمرتهما الى أن خالطا تلك الفرسان وتبينوهم فعرفوهما واذا هم من منتصرة العربان والراكبة الذى فى تلك الهودج الست حليمة بنت الحارث الوهاب وبين أياديها خدمها ورجالها وجماعة من الاصحاب فلما رأوها فى عاجل الحال ترجلا عن خيولهما وقبلا

بين يديها الارض والمهاد وكان قد تبعهما جماعة من الرجال فلما رأوهما قد
فعلا ذلك الفعال عادوا الرجال الى عنيترة وأخيها الغضنفر وأخبروهما
بذلك الحال فعند ذلك سارت عنيترة والغضنفر في مقدمة الرجال والتقوا
ببعضهم البعض فرأوهم قد أبركوا الجمل الذي عليه الهودج ونزلت
الست حليمة الى وجه الارض فعند ذلك ترجلت اليها عنيترة هي وأخيها
الغضنفر لما رأوا عليها من جلالة والقدر وحسن المنظر وقد اندهل من
رؤيتها كل من حضر وقد تلقتهم بالبكاء والنحيب وقد اكثرت من
الصراخ والتعديد حتى انزعج كل من كان حولها من الفرسان الاماجيد
(قال الروى) فتقدمت الاميرة عنيترة واعتنقتها وجعلت تهديها
عن البكاء والعوال وتسألها عن ما جرى لها من تلك الاحوال التي سبب
ذلك النحيب والاعوال ثم انها أمرت بنزول الجيوش ونصب الخيام حتى
انهم يأخذوا لهم راحة في ذلك المقام ونصبوا أيضا رجال الملكة حليمة لها
سرادق من الحرير مرقوم بفصوص الجواهر ولما نزلوا واستقربهم القرار
فأبدت تحدثهم بما كان لها من الكلام *(قال الراوى)* انه كان
السبب الذي أوجب تلك الاحوال واتى بهذه الملكة حليمة الى هاهنا بحالة
الاذلال بعدما كانت بغاية العز والاجلال وذلك ان الست حليمة وأخوها
عمر ولما ولاهما عنتر وكان قد سار كما ذكرنا الى جانب القراه وفعل ما فعل
معهم من ذلك الامر فأقاما بعده من تحت يد الملك قيصر على هذه الاحكام
مدة هذه الاعوام الى أن كان في بعض تلك الايام فبينما هما في غفلة عما
تحدثه الليالي والايام واذا قد بلغهما الخبران قد ظهر من العجم جيوش بعدد
الرمل وقطر الامطار وانهم قادمين على أرض دمشق وما يليها من الاقاليم
والاحكام ولهم ملك ما رأى أحد امثله في سائر الانام وقد قتل الرجال وأباد
الابطال وأخرب الديار والاطلال ونهب ما أدخرته الملوك من الاموال
وفعل ما فعله قبله احد من الملوك ولا من الابطال وقد نقلوا عنه أنه جبار
عنيد وشيطان مريد لا يهاب الرجال ولا يخشى من الابطال في يوم الحرب

رالجال

والمحال *(قال الراوى)* لهذا الكلام فلما سمع الغضنفر كلامها وما حدثته من مرامها طار من عينيه الشرار وقال لها لأى شئ دين هذا الملك اما يعبد الصليب ويشد الزنار فقالت يا مولاى هو دين المسيح بن مريم ويعرف قدر الانجيل المعظم فقال لها وما السبب الموجب لقتاله فى أهل دينه وأحل بهم المهالك فقالت يا مولاى وحق المسيح ما نعلم بذلك وهذا الذى سمعنا به من أحواله وما وصل الينا أعلمناك به وأطلعناك عليه وقد ذكروا لنا عليه أيضا ان له عند عرب الحجاز ثار يريدان يستوفيه وكذلك عند قيصر ملك الروم ثار يريدان يقضيه *(قال الراوى)* فلما فرغت من كلامها وفهم الغضنفر مرامها أشار الى بنى عمه وجميع مقدمين الجيوش وقال لهم يا بنى العم ما ترون فى هذا الامر المنكر والحال الذى قد ظهر فقالت عنيترة وجميع من حضر يا أمير الرأى عندنا أننا نسير الى هذا العدو ونلتقيه ونكفى الناس شره وما يأتى منه من ضرر فاذا أمنا من شره ودواهيه عدنا الى الامر الذى كنا فيه وعزمنا على أخذ ثارنا وكشف عارنا فقالت عنيترة يا أخى وحق ذمة العرب هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب وان لم نفعل هذا الامر فى الاول والا انقلبت علينا الاعدا ويقصدوا الافرنج ديارنا ويشغلوا خواطرنا وأسرارنا وتسير العرب جميعا مع الاعداء علينا وينفتح باب ما نقدر نسده ولا نعلم بعد ذلك ما نلتقى ولا ما يحدثه الدهر فينا فاستصوبوا جميع الحاضرين هذا الرأى وباتوا تلك الليلة وهم عازمين بالمسير الى دمشق الشام ويلتقوا هذا العدو الذى هو الجوفران بن الملك كوبرت ملك جزيرة الكافور وتلك البلدان ولما فرغوا من ذلك الكلام أنزل الملك الغضنفر للملكة حليمة هى ومن معها غاية الاكرام ورفعها على أعلا مقام وتولى خدمتها تلك الليلة ياسر بن ميسرة وليث الميدان وتذكرا جميلها وما لها عليهما من الاحسان *(قال الراوى)* ولما أصبح الله بالصباح وبان لهم الضوء من الشرق ولاح أمر الغضنفر أن ينادى المنادى بالرحيل وان يعتدوا بآلة الحرب للتعويل

فرحلوا جميع الجيوش طالبين بلاد الشام ونشرت على رؤس الدسا كر الرايات والاعلام وعلى رؤس السادات والفرسان الكرام ونشرت على رأس الملك زهير بن قيس راية ابيه العقاب وكانت الراية أخذتها عنيترة من بني عامر لما وقع لبني عبس ما وقع مع القبائل والاعراب فأوصلها عامر بن الطفيل اليهم في جملة المال كما وصفنا الذي أنفذه مع كوكب وما كان عليه كما قدمنا ورفعوا حليمة الى هودجها بعد ما طيبوا قلبها واوعدوها بانكسار العدو عن بلدها وتسليم غنائمها اليها وسار الجيش وفي المقدمة عنيترة بنت عنتر وخالها عمرو وذو الكلب وياسر بن ميسرة وليث الميدان الآخر وفي القلب الملك زهير وفي الميسرة الملك الغضنفر وسادات بني عبس وفي الميمنة أسد بن غصوب والملك الغضنفر يترنم وينشد ويقول

أعد للحوادث رمح طاعنا * تهدبه الاعداء هدا
وذو حسام قد يقد * البيض والابدان قدا
وعلمت انني من بني عبس * الكرام أبا وجدا
قوما اذا لبسوا الحديد * تراهموا كالنار وقدا
كل امرء يجوى الى * يوم الهياج بما استعدا
لما رأيت الصارخات * يصحن يا ذا العزم شدا
وأتت حليمة كأنها * بدر التمام اذا تبدا
وبدت محاسنها التي * قد جاوزت للحسن حدا
لما رأيت نساءنا * يفحصن بالعزاء شدا
ما ان جزعت ولا هلعت * ولا برد بكاي زندا
أغنى غناء الذاهبين * أعد للاعداء عدا
ذهب الذين أحبهم * وبقيت مثل السيف فردا
ليس الجمال بمئزر * فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن * ومناقب أورثن مجدا

(قال الراوى) المصنف لهذه المقالات وكان الغضنفر وهو ينشد هذه الابيات والخزروف وجرير بين يديه يبكيان بغزير العبرات ويظهران اكثر الحسرات فقال لهما الغضنفر لاى شئ تبكيان لا أبكا الله لكما عينان فقال جرير وذمة العرب يابن الاخ ما بكاءى الا انى تذكرت أيام أبيك عنتر ونحن سائرين قدامه طالبين دمشق وعمك شيبوب فى صحبتنا وأخى عنتر قدامنا وهو ينشد أبيات تتقارب هذه الابيات فوحق عالم الخفيات العالم بما مضى وبما آت فكاننى أسمع أبوك وهو ينشد هذا الكلام وهذا الشعر والنظام وكانك ما خليت من أبوك شئ الا من خلقته وهذا الامر الذى جرى فى خاطرى وأجرى دموعى مما جرى فضجوا الجميع من حولهما بالبكاء والعويل وقد تذكروا ما جرى على بنى عبس من الويل والتنكيل والعذاب الطويل *(قال الراوى)* لهذا الاخبار ولم يزالوا سائرين الليل والنهار وهم على ما هم عليه من قطع الاودية والقفار والسهول والاوعار الى أن أشرفوا على غوطة دمشق وتلك الديار وكان دخولهم فى النهار ولما رؤا الى البلد وهى فى وسط البساتين فقال الغضنفر لجرير هذه البساتين تمنعنا عن المجال وتردنا عن الوصول الى هؤلاء الانذال فقال لهم الخزروف اتبعوا أثرى حتى أقطع بكم هذه البساتين والرمال وأرميكم على الاعداء فى أرض خاليه من الاشجار الطوال فقال له جرير افعل فان هذا الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انه ساروا خلف الخزروف طول الليل فى ذلك المدا فما طلعت الشمس الا وقد صاروا من غربى الاعداء *(قال الراوى)* وطلع الغبار الذى لهم حتى أظلمت منه الاقطار وثارت الافرنج طالبة الغبار والقفار وقد ظنوا ان بعض الملوك الافرنج قد وصل اليهم من بعض جزائر البحار *(قال الراوى)* فلما وقعت العين على العين وصحت الاخبار ونظرت الافرنج الى قلة جيش العرب وهم فى تلك البيداء مقابلتهم قد تفرق فطمعت فيها وحملت عليها حملة الحنق فالتقتها العرب بقلوب جرية من غير فزع ولا قلق وتصادموا بالسيوف والرماح والدرق حتى فاض الدم

من الاجساد وانهرق واطبقت عليهم الافرنج مثل انطباق البحر اذا اندفق وماجت الجيوش فى بعضها البعض حتى صاروا مثل البحار الزواخر وانعقدت على رؤسهم الزوابع والعبائر *(قال الراوى)* ونادى الغضنفر فى عشائره اجعلوا الطعن والضرب من كل جانب فاصطدمت الفرسان والمواكب وخاضت الشجعان فى الكتائب وطارت الرؤس عن المناكب وحميت عنترة فى ذلك اليوم واظهرت العجائب وحمل من خلفها ياسر بن ميسرة وليث الميدان والديال بن الغضبان وسبيع اليمن بن مقرى الوحش شجيع الزمان وعمر وذوا الكلب ودريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان ودثار بن روقة وخفاف بن ندبة فتى الفتيان وكذلك فعل الملك زهير بن قيس فى ذلك اليوم فعل خير الاعيان وصاحت الاقران وصرخت الفرسان وبربرت الشجعان وطلع الغبار الى العنان وتعبت الخيل من كثرة الجولان وحملت على بعضها بعض تلك الطوائف المختلفة والجموع الذى غير مؤتلفة *(قال الراوى)* وكانت بنى عبس قد داخلهم من كثرت الجموع القلق ولمع صارم الموت على رؤسهم وبرق وتقطع الاكباد وتمزقت القلوب من كثرة الجزع وضاق بهم البر المتسع وصاح الصائح فلم يسمع *(قال الراوى)* لهذا الديوان هذا وقد نظر الغضنفر الى كثرة الجيوش وازدحام الكتائب والعشائر فصار يضرب ضربا لا ترده الدروع ولا المغافر ولا تقيه الزرديات والعدد ولا يخاف الموت اذا اورد ويطعن طعن شجاع قادر يخرق به الزرد فتركهم كلهم مطرحين على الارض مثل العمد وصارت الرجال بين يديه مثل الغنم وعمل فى ذلك اليوم عمل حير الالباب والاذهان مع فرسان الحجاز الشجعان *(قال الراوى)* ولولا ان عشائر الافرنج كثيرة والا كانت كسرتها عشائر العرب واحلت بها الدمار والعطب وكان هذا القتال كله والملك الجوفران واقف تحت الاعلام والصلبان كأنه شيطان من شياطين الجان وهو يقول وحق المسيح ان فرسان الحجاز هم ليوث الميدان وابطال الزمان ولابد أن

ابرزغدا اليهم وآخذ فرسانهم واقهر شجعانهم والا ما أبلغ منهم مرادولاتقع هيبتى فى قلوب العباد *(قال الراوى)* وكان جيش بنى عبس ثمانية آلاف وعشائر الملك الجوفران اثنين وستين ألف لانه كان قد فرق عشائره على القلاع والحصون وأيضا سير ثلاثين ألف الى انطاكية فساروا فى أسرع ما يكون وكان مقدم عليهم بطريق من بطارقة الافرنج جسيم وسيم كأنه الفيل العظيم وكان الذى تبقى عند الجوفران على حصار دمشق هؤلاء الاثنين وثلاثين ألف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وذلك لعلمه ان ما فى البلد من يلقاه ولا له عدو يقصده ولا يطلب ملتقاه وانه هو قاصد الاعداء ويريد أن يحل بهم الرداء وما كان يقول ان عرب الحجاز تقدم عليه ولا تسير بهذه العشائر اليه *(قال الراوى)* وتحاربوا الطائفتين فى تلك البطاح الى أن أقبل عليهم الظلام وهم على ماهم عليه من الحرب والكفاح وانفصلوا الطائفتين وتباعدوا عن بعضهم الفريقين ونزلوا الى الميدان للراحة الى ان برق الصباح وبان وأشرق نوره الوضاح ولاح على الكثبان تقدموا عند ذلك الى الميدان يطلبوا الحرب والكفاح راكبين على صهوات الجرد القداح وهم مقلدين بالسيوف ومعتقلين بالرماح *(قال الراوى)* هذا والصياح فى البلد قد علا حتى بلغ الى وسيع الفلا وصار وابدعوا للعرب بالنصر والجماو يطلبون لهم الظفر من رب الارض والسماء فلم تكن الا ساعة ودقت فى عساكر الافرنج النقارات وعلت بينهم الضجات وقد أخذتهم الفرحات والمسرات وركب الملك الجوفران ونشرت على رأسه الرايات والصلبان وتقدمت بين يديه الفرسان *(قال الراوى)* ولما اعتدلت الصفوف وترتبت المائتى والالوف برز من عشائر الافرنج فارس فى الحديد غاطس راكب على جواد أبلق كبير الحدق له بين الخيول زى ورونق متقلد بسيف أبتر نوره يأخذ بالبصر ومعتقل بقنطارية خلنجية ثم انه سار على ذلك الجواد الموصوف حتى انه بقى بين الصفوف وأشار بيده يطلب البراز

ويسأل الانجاز فما استتم كلامه وما أشار به من مرامه الا وقد برز اليه ياسر ابن ميسرة وله همة قوية ومقدرة وهو راكب على جواد أجرد متقلد بسيف مهند ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر ثم انه جال بجواده حتى انه صار مع الافرنج فى الميدان وقاربه حتى صار الحصان محاذى الحصان فعند ذلك وقف ياسر وأنشد يقول هذه الابيات

أسل السيوف واخوض الصفوف * وقرب الحتوف وضرب القال
وسارت العجاجة فى الخافقين * تريك المنايا بروس الاسل
الذ واشهى من الغانيات * وشرب المـــدام فى يوم ظلل

(قال الاصمعى) ثم ان ياسر حمل على الافرنجى حملة جبار لا تبقى ولا تذر وكذلك الافرنجى التقاه بقلب أقوى من تيار البحر اذا زخر وتطاعنا بالرمح حتى تكسرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وأخذا فى الحرب الشديد والقتال العنيد وابعد فى الكر والفر والهزل والجد والاخذ والرد والبعد والقرب والملاصقة والموافقة والمطابقة حتى قل من الافرنجى الحيل وضعف عن خصمه وحل به الويل فعند ذلك أطبق عليه ياسر وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وقد انهد أساسه وخمدت أنفاسه *(قال الراوى)* فعند ذلك برز اليه أخو المقتول فما أمهله ولا تركه يجول حتى انه طعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم انه وقف بالميدان ونادى يا معاشر الافرنج من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فانى خفى أنا أعرفه بنفسى أنا ياسر بن ميسرة الفتى القسور صاحب الهمه والمقدرة فابرزوا الى فرسانكم المذكورة وشجعانكم المشهورة *(قال الراوى)* فلما سمعوا منه ذلك الكلام فلم يمهلوا دون أن برز اليه فارس وهو لابس درع حديد وهو كأنه مشيد فما أمهله ياسر يجول حتى تركه على الارض مجدول وقد ضربه دامه أرمى رأسه قدامه ثم انه طلب البراز وسأل الانجاز فبرز اليه رابع فقتله وخامس فجندله والسادس فأهواه والسابع فأرداه والثامن عجل فناه وألحقه برفقاه وتركهم مطرحين فى الفلاه

ولم

ولم يزل يخرج اليه فارس بعد فارس وهو يقرب دماره ويعجل بواره حتى
قتل من الافرنج ثلاثين فارس وهم فرسان عوابس والى أن قرب المساء
وأعتمت الدنيا وتحندس الظلام ورجعت الطائفتين الى الخيام هذا والملك
الجوفران قد حار وتحققه الانبهار مما شاهد من فرسان العرب وكان كلما هم
أن يبرز للبراز فلم يمكنوه أرباب دولته وخواص مملكته وأما بنى عبس فانهم
فرحوا بيامر الفرح الاكبر وشكروه وأثنى عليه الملك الغضنفر وكذلك
عنيترة بنت عنتر وقام الغضنفر وتولى الحرس بنفسه وقد أراد بذلك أن
يفدى أبناء جنسه وقد أشعلوا النيران وتحارسوا الفريقان (قال الراوى)
لهذا الديوان ولما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبوا
الفرسان الخيول واعتقلوا بالذبول وتقلدوا بالنصول وبعد ذلك اصطفت
واشتهرت السيوف وتعدلت الالوف وتقابلت المواكب وترتبت
الكتائب وصهلت الجنائب وهمت الطوائف أن تحمل بعضها على بعض
وقد ارتجت من ركض خيلهم جنبات تلك الارض واذا بفارس قد برز من
فرسان الافرنج وهو كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو
بالحديد مسربل فجال فى الميدان ولعب بالرمح على ظهر الحصان ساعة
ومسك العنان وأشار الى ناحية بنى عبس بطرف السنان وكانت اشارته
انه يطلب البراز ويسأل الانجاز فهم يامر بن ميسرة أن يبرز اليه فسبقه
ليث الميدان بن مازن وحمل عليه وسار فى وسط الميدان وساوى
الافرنجى فى موقف الطعان وكان عليه درع داودى ومن فوقه زردية
فضية وعلى رأسه طاسة بيضاء عادية ترد مضارب السيوف الهندية
متقلد بصمصامة كسروية بشراب الموت مسقية وهو كما قال فيه وهب بن
عطية هذه الابيات حيث يقول

غداة الروع حتى كأنه * من الله فى قبض النفوس رسول
ان الرسول لسيف يستضىء به * مهند من سيوف الله مسلول
كأن على أفرنجه موج لجة * يقاصر فى صحاحه ويطول

اذا ما انقضى للموت فى جنباته * فلابد من رؤس هناك تميل

(قال الراوى) وهو معتقل برمح يخرق صم الجلاميد وعلى رأسه سنان ممدود وكان راكب على جواد من الخيل الجياد قوى الاعصاب وقوائمه طوال وفى المجال صبور وعلى ملاقات الابطال فى ميدان المجال وهو على صهوته كأنه الاسد الرئبال وحمل على الافرنجى حملة الغضب على ان يسقيه كأس العطب وهو ينشد ويقول

أعاذلى كفى ملامك اننى * مشوق الى نار لها الحرب تشعل
وشرب دما الابطال فى رهج الوغا * ألذ من الصهباء والكاس ينقل
وصوت طنين المشرفى على الطلا * ألذ واشهى من حبيب يعلل

(قال الراوى) فما استتم ليث الميدان كلامه وشعره ونظامه حتى تقرب منه الافرنجى وسار قدامه وقد انقض عليه انقضاض القضاء والقدر وضربه بالقنطارية أسرع من لمح البصر ونظر ليث الميدان الى القنطارية وهى واصلة اليه فعلم انه ان توانى عن نفسه قضت عليه فمال عنها أسرع من البرق اذا اتاها ولحقها بالحسام طيرا علاها وعطف على الافرنجى وضربه بالسيف على رأسه شق البيضة والرفادة والبطانة ونزل السيف الى حد رأسه فمال عن الجواد يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه وبعد ذلك صال وجال وطلب البراز والقتال *(قال الراوى)* فبرز اليه فارس من خواص الجوفران وساق حتى ساواه فى حومة الميدان وقيل انه كان من الفرسان المذكورة والابطال الذى فى الحرب مشهورة وكان قد لقى وقعات كثيرة وله مواقف ومائلات خطيرة فحمل على ليث الميدان واخذا فى الضراب والطعان وتصادما بالابدان وتقاتلا بالسيف والسنان

(قال الراوى) وانهم لم يزالوا فى حرب وكفاح حتى تكسرت فى أيديهما الرماح وتثلمت من الضرب على الدروق الصفاح وانهما لم يزالا على ذلك الرواح الى نصف النهار وكل الافرنجى ومل ولحقه الانبهار فرأى من ليث الميدان التقصير وعرف ذلك منه معرفة خبير فقطا فى كعوب الرمح وطعنه

فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره ثم انه صال وجال وطلب البراز والقتال ونادى وقال هل من مبارز هل من مناجز فلا يبرز الى هذا المقام لاجبان ولاعاجز الامايكون بطل المزاهز فلم يزل يبرز اليه فارس بعد فارس وهو يقتل و يأسر حتى فعل ذلك بخمسة عشر فارس *(قال الراوى)* فعند ذلك حلقت عليه الافرنج وحملت على ليث الميدان باذن الجوفران ولما نظرت بنى عبس الى غدر الافرنج اللئام صرخ فيهم الملك الغضنفر احملة الحملة يابنى الاعمام فهذا يوم الحرب والصدام فعند ذلك اكبت رؤسها فى قرابيص سروجها وطلبت بنفوسها واطلقت أعنة خيولها تؤمل وترتجى بلوغ مأمولها والتقت قنطاريات الافرنج بصدورها وطعنتها برماحها فى صدورها ونحورها *(قال الراوى)* والتقت الاقران بالاقران والشجعان بالشجعان وقد طلع عليهم الغبار حتى حجبهم عن أعين النظار وتقسطل النقع المثار وزاد من القوم الافتكار وحمى على رؤسهم من حرارة شمس النهار وقدحت الارض فى ذلك الوقت شرار النار واختلفت النفوس وزل الفارس العبوس وفر الجبان المنحوس وقاتلت الفرسان الشوس وعظمت الاهوال على الشجعان وقل القيل والقال وتقصفت الرماح الطوال وجاء الجد وذهب المحال والمزاح وتجالدوا بالصفاح وسمحوا بالارواح بعدما كانوا بها شحاح ونادى الشجاع لابراح وتصايحوا أعظم صياح وتناهلوا من شرب المنية أقداح وعدموا فى ذلك ليوم الصلاح وسالت الدماء من الجراح وتقلعت المقل الصحاح ودام القتال وعظم النزال وارتجت الارض بالزلزال ولم يزل السيف يعمل والدم يهزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار بانواره وأقبل الليل باعتكاره ونادى منادى الانفصال فى الفريقين ورجعوا الى المضارب والخيام وهم سكارى من شرب كأس الحمام لاجل الراحة والمنام وتذكرت بنى عبس ماجرى لهم فى يومهم من عظم القتال وما لاقوا فيه من الاهوال الثقال وكثر عدد الابطال فقالت عنترة والغضنفر ان هؤلاء القوم مالهم الا البراز والنزال لعل

فأخذ منهم الابطال وأنا وأخي نفعل هذه الفعال وباتوا على ذلك الحال وقد تناولوا الطعام وأخذوا الراحة والمنام *(قال الراوى)* فهذا ما كان من هؤلاء وما دبروا من المرام وأما ما كان من الملك الجوفران ومن معه من فرسان الحرب والصدام فانهم لما نزلوا من الحرب واستقر بهم المقام أخذوا يتعاندوا في الحديث والكلام وقد فعلوا كما بني عبس في الراحة وأكل الطعام وقال لهم الجوفران لابد من خروجي غداة غد الى الميدان وافعل بهم كما فعلت اليوم بالفرسان وأأخذ منهم الابطال والاقران والشجعان والا ما تنكسر حدتهم ولا يصغر لهم شان ثم ان كل منهم قام الى منامه بعد ما فرغ كل واحد منهم من كلامه ولم يزالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك اصطفت الجيشين وتقابلت الفريقين ووقفوا ينتظروا من يفتح باب الحرب ويعول على الطعن والضرب ولما اعتدلت الصفوف وترتبت الالوف قفز من عشائر بني عبس فارس في الحديد غاطس راكب على جواد أبلق كبير الحدق له بين الخيول زى ورونق ومتقلد بسيف أبتر نوره يأخذ بالبصر ثم انه سار حتى بقي بين الصفوف وأشار بطلب البراز وسال الانجاز فما أستتم كلامه وما أشار به من مرامه حتى ترجل من عشائر الافرنج مقدار الف فارس وبينهم فارس راكب والكل يمشون قدامه فلما سار وسط الميدان عادوا الكل عنه وقد نادى بلسان عربي طليق أنا الملك الجوفران وكان راكب على جواد ما مثله في الخيول الجياد ومعتقل بقنطارية خلنجية من صنعة معلمين الافرنج في ذلك الزمان ثم انه حمل على ذلك الفارس الذى ذكرناه والبطل الذى وصفناه فما هو الا ان قاربه حتى طعنه بعقب تلك القنطارية أرماه على وجه الارض فتبادرت اليه الافرنج فشدوه كتاف وأوثقوا منه الاطراف *(قال الراوى)* ثم انه صال وجال وافتخر على ابناء جنسه وقال يا فرسان الجبار دونكم والبراز ومقام الانجاز لاني أقسمت بالتوراة والانجيل والصليب والزنار اني لا ادع أحدا منكم يعود الى أهله والديار لان

البترك قد بخرني بر جيعه الشائع في الاقطار فاليبرز الي منكم كل فارس
وبطل مغوار ﴿قال الراوي﴾ فما استتم كلامه وما نطق به من مرامه
حتى قفز اليه ليث الميدان وصوب الى ناحيته بالسنان وحمل عليه حملة
منكرة وزعق عليه زعقة لهاهد بر وزجره وصال عليه صولة من له على
الحرب مقدرة فثبت له الجوفران ثبات من له عادة بلقاء الاقران وتمهل
عليه حتى جاوزه بالحصان وأخرج رجله من الركاب ورفص ليث الميدان
أرماه على وجه الحصان فانكبا عليه رجلين فأخذوه في عاجل الحال
أسير وقادوه ذليل حقير ومازال الجوفران على حاله في الميدان ويطلب براز
الفرسان ولقاء الاقران فبرز اليه خفاف بن ندبة فما أمهله يجول معه بل
صبر عليه حتى حاداه وفي الجولان ضايقه وساواه فعلق به وقبض على
أطواقه وجذبه بمقدرته من أزياقه فاقتلعه من على ظهر الحصان وحذفه
من يده على قاع الحصان فشدوه الرجلين الذي خلفه كتاف وقوى منه
السواعد والاطراف وقد أشرف على التلاف وبعد ذلك نادى الجوفران
بلسان عربي يفهمه كل من حضر هل من مبارز هل من مناجز هذا مقام
الخطر فبرز اليه دثار بن رزق كأنه نار محرقة أو صاعقة مبرقة فبادره
الجوفران بضربة صادقة فنزلت عليه كأنها بارقة وكانت الضربة بالسيف
صفحا فلم يلحق يقيم في يده الطارقة فجاءت الضربة على البيضة كأنها
صاعقة فانقلب عن الجواد الى الارض والمهاد فأسرعت اليه الغلمان من
غير خلاف وأوثقوه كتاف وقوى منها لسواعد والاطراف وقادوه الى
الجيش أسير وهو ذليل حقير ﴿قال الراوي﴾ هذا وقد ضجت القسوس
والرهبان ورفعت الانجيل وشالت الروم صلبانها ثم ان الملك الجوفران
جال وصال في حومة الميدان وقد تبرك برجيع البترك وطلب البراز من
الفرسان وسال الانجاز حتى يشتفي من الاقران فتعجبت العرب مما رأت
من ذلك الشيطان من الفروسية وقوة الجنان وحسن قتاله للشجعان
فعند ذلك برز اليه دريد بن الصمة العالية العزيمة والهمة وكان لما رأى فعل

الجوفران بأصحابه قد اعتد للقتال ولبس آلة الحرب والنزال وساق حتى
قارب الملك الجوفران وقد غيره الكبر وأوهنه طول الزمان فناداه أحترز
على نفسك ياشيخ من الطعان ثم انه بعد ذلك الكلام انطبق عليه انطباق
الغمام فالتقاه دريد بقلب أقوى من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر
اذا زخر وأخذا فى الكر والفر والانطلاق والمستقر والمزل والجد والصد
والرد وتطابقا وتضايقا وعاد الافتراق ومدما كان قد التصقا وانفرقا عن
بعضهما فى تلك الساحة ووقفا متقابلين لاجل الراحة *(قال الراوى)*
فقال الجوفران لدريد لما رأى قتاله وما شاهد من حربه ونزاله ياشيخ المسيح
ما طلع ظنى فيك صحيح فقال له دريد وما كان ظنك يافارس الفرسان فقال
وحق دينى وما أعتقد من عبادة الصلبان لما نظرت اليك والى كبرك
ورأيت دموعك جارية على خديك فظننت من شدة خوفك من الحرب
وكثرة فزعك من الطعن والضرب *(قال الراوى)* فناداه دريد
وقال له خاب والله أملك وأخطأ ما أملته من سهمك على اننى وحق البيت
الحرام وزمزم والمقام ما أنا الا غارق فى بحر فكرتك ومتحير فى أمرك
وقضيتك فقال له وكيف ذلك ياشيخ فقال دريد لاننى أراك فصيح اللسان
بكلام العرب وعندك فضل زائد وأدب وقد خالفت صفة الافرنج
وبنى الاصفر فى اللون والزى والخبر فقال له الجوفران اعلم أن الخالق
الرازق قادر يخلق الابيض من الاسود والاسود من الابيض وليس عليه
فى ذلك معترض وأما كلامى فن أمى تعلمته وأتقنته وفهمته وانى أحب
لسان العرب دون الافرنج محبة متكاثرة لان فيه معانى ظاهرة وأشياء
فاخرة فقال له دريد بن الصمة يافارس الخيل وأما سبب بكائى فما هو من
خوف الموت ولا من ارتباك الفوت لانى قد بلغت من العمر خمسمائه عام
وأنا لم أشتهى الا ضرب الحسام والخوض فى الظلام وما بكائى الا على
فارس كان فيما مضى من الزمان قد ساد على الفرسان وعلى بشجاعته على
سائر الاقران وقتل بغيا وعدوان فلما انى برزت الى حومة الميدان تذكرت

فعاله

فعاله ونتاله للاقران ثم ان دريد لما فرغ مما دار بينه وبين الجوفران من الكلام أشار ينعى عنتر بهذه الابيات ويقول

يارا كبا ان الاثيل مظنة * فقلت لهم ودمع منهمل ومندفق
الا تبكيه حتى الارض اوان تسقط الورق
فانى سوف اذكره اذا الرايات تختفق
فليسمعن النضران نادبته * ولا الوى الى فرج مدا الايام تلتصق

(قال الراوى) فلما فرغ دريد من شعره وذلك النظام أطبق عليه الجوفران كأنه الباشق اذا انقض على الحمام وهو مثل الاسد الغضبان وتضاربا بالقضب اليمان ضربات تتعوذ منها مردة الجان وعلى الغبار على رؤسهما الى العنان وصارا تارة يظهران للعينان وتارة يغيبان عن أعين الفرسان وهما فى منازلة ومجاولة ومطاولة ومقاولة وقد أخذا فى الكد والصد والاخذ والرد والانطباق والالتصاق والبعد والاقتراب وقد اتسع عليهما مجالهما بالميدان وضاق ونظر دريد من الجوفران ما حير منه العينان وكذلك نظر الملك الجوفران من دريد ما توقف البنان ويذهل عقول الشجعان وكان فى ظنه انه قد غيره الكبر وما علم انه مثل النسر المعمر الا ان دريد كل وهل فى آخر النهار ووهى عزمه واضمحل فحمل عليه الملك الجوفران حملة جبار قد عارك الاهوال ومارس الاخطار ولاصقه وضايقه وسد عليه طرائقه وقبضه من جلباب درعه واقتلعه من سرجه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وعاد به الى خيامه وسلمه الى غلمانه وخدامه والليل قد أقبل بظلامه (قال الراوى) فعند ذلك انحلت عزائم العربان وخافوه سائر الشجعان والاقران هذا والغضنفر قد لحقته الآلام والاحزان ولم ذاق تلك الليلة شئ من الطعام ولا التذ بمنام حتى طلع الصباح بالابتسام وولت كتائب الظلام وركبت الطائفتين تطلب القتال ومعانات الحرب والنزال وتقدمت تطلب بعضها بعض وقد انتشروا فى جنبات تلك الارض *(قال الاصمعى)* لهذا الكلام ولما اكملت الصفوف وترتبت الالوف

واذا بالملك الجوفران قد خرج للبراز فى الميدان بزيه المعروف وجواد الموصوف ونادى بلسان عربي يسمعه كل انسان ولم يحتاج مع ذلك الى ترجمان فتكلم وقال هل من مبارز هل من مناجز فان هذا يوم المراهز فلا يبرز فيه جبان ولا عاجز الا من يكون فى الحرب بطل وان كان فيكم بقى بطل مقاتل فليبرز ويدع التكاسل وان كان قد عجزتم عن الحرب والقتال وخفتم من الموت وقرب الآجال فسلموا الينا الخيول والاسلاب واطلبوا لانفسكم النجاة والذهاب وان لم تقدروا على البراز وما فيه من الامور النفائس فابرزوا فارس لفارس اومائتى لفارس او الف لفارس والان أبيتم وللبغى أتيتم فاحملوا بجمعكم على فانى بحر بكم وفيا وبقتالكم مليا *قال الراوى* وما تم الملك الجوفران كلامه وما نطق به من مرامه الا وعنيترة بنت عنتر قد صارت قدامه بعد ما تعلق بها أخيها الغضنفر فاقسمت بمن خلق الشمس والقمر وبحق تربة ابيها عنتر لا أدعك تبرز الى هذا الشيطان الان أموت وأقبر أو يكون الامر على مقدر فذلك الوقت أفعل ما عليه تقدر *قال الراوى* فسمع لما بذلك أخيها الغضنفر فعند ذلك خرجت الى الميدان أسرع من لمح البصر وحماة على الملك الجوفران بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر وكانت راكبة على جواد أحمر مليح المنظر عظيم المخبر وهو فى حدة الابجر الذى كان لابيها عنتر ناعم الملمس ان حبسته انحبس واذا ضايقته الخيل تركها واختلس وكان عليها يومئذ درع من دروع الاكاسرة من الذى كان عند ابيها عنتر مدخر وعلى رأسها خودة عادية ترد أسباب المنية وتضرب بها الرجال المسمية وتدفع مضارب السيوف الهندية وبيدها صارم أبتر صقيل المتن مجوهر فى حده الموت الاحمر ومعتقلة برمح أسمر من عمل سمهر وعلى رأسه سنان يلتهب كأنه عقرب أوقبس على مرقب أو نار ذات اللهب *قال الراوى* وحمل كل واحد منهما على صاحبه والتقى طعنه ومضاربه وأبدى كل واحد منهما فى الحرب عجائبه وغرائبه واغتم عليهما مشارق الارض ومغاربه وهدر كل واحد

منهما كأنه الاسد المدار والبحر الزخار وعلمت عنترة ان الجوفران فارس مغوار وبطل كرار ليس فى الحرب عليه غبار وصرخا فى وجوه بعضهما بعض صرخات متواترات فكادت أن تزول من شدتهما الجبال الراسيات ولم يزالا كذلك حتى تتابعت منهما الصرخات مع الصرخات الى ان بقت القلوب مرتاعة وكانا فارسين تبطل عندهما الشجاعة وكان لهما ساعة وأى ساعة كشف الحق فيها قناعة وصرخا على بعضهما صرختين صرت الخيل آذانها وارتعدت أبدانها ﴿قال الراوى﴾ الا ان عنيترة بينما هى فى شدة جولانها واذا قد عثر بها حصانها فانقلبت من عليه كأنها جذع نخل أو شجرة باسقة تكسرت أغصانها فانقض عليها الجوفران قبل ان تثور كانقضاض البازعلى أضعف الطيور فأخذها أسيرة وقادها بعد ان وضع حمائل سيفه فى رقبتها ذليلة حقيرة وسلمها الى غلمانه وقد حلت بها الدهشة والحيرة وأقرنوها الى الاسرى وقد تحير الغضنفر مما جرى ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك الجوفران بعد ذلك عاد الى ساحة الميدان وهو كأنه الاسد الغضبان وقد أعجبته نفسه لما رأى نصرته على تلك الاقران وصولته على تلك الفرسان وبعد ذلك صال وجال وطلب الحرب والقتال ونادى وقال ويلكم أبرزوا يا معاشر الابطال ودعوا من هذا التكاسل فقد طال بنا المطال فانى من أمر على استعجال ﴿قال الراوى﴾ فلم يتم مقاله حتى صار عمرو ذو الكلب قباله بعد ان تعلق به الغضنفر وأقسم عليه بتربة أبيه عنتر أن يدعه ينال من براز هذا الفارس وطر ثم انه حمل على الجوفران بقلب من الحنق ملآن وفؤاد غير فزعان وقد ذكرنا فروسية هذا الامير عمرو ذو الكلب فى غير هذا الديوان فتلقاه الجوفران بقلب لا خائف ولا وجلان وانغمسا فى حومة الميدان وكان ساعة بينهما تقشعر منها الابدان وقد سار الغبار على رؤسهما مثل الدخان وغابا عن الابصار وتعجب مما جرى بينهما النظار ورأوا ان الوصل الى بعضهما بعيد والدنو الى ما بينهما صعب شديد فألقوا عند ذلك من أيديهما رماحهما وجذبا بعد ذلك سيوفهما التى

كانت اعجل لقبض الارواح ووقع الجد بينهما وطال الكفاح وذهب من بينهما اللعب والمزاح وعلا منهما الزعاق والصياح ولم يزالا فى ذلك الامر الا ان تثلمت فى ايديهما الصفاح هذا وقد ارتعدت من قتالهما قلوب الرجال وخرس اللسان واندهل الجبان وقد تعب بما حل بهما الابدان وايقنا بحلول الاجل الاثنان الى ان تقضا عليهم النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار ولحقهما التعب والانبهار وايقنا من بعضهما بالبوار ولم تزالا على ذلك الحال الى ان ولى النهار واستطال واقبل الليل بالانسدال ونادى المنادى له ما بالانفصال فافترقا على سلامة ولم يعلم احدهما على صاحبه بعلامة وعاد كل منهما الى جيشه وقومه وكل منهما يذكر ما التى من خصمه فى يومه وكل واحد تلاقوه رفقته وفرحوا به وهنوه بسلامه ✽ (قال الراوى) ✽ ولما رأى الى ذلك تمغص بالمضض وكيف لم يبلغ عمرو ذو الكلب من خصمه غرض فاقسم بمن خلق الارض والسماء واجرى وعلم ادم الاسماء لا يبرز فى غداء الى هذا الجوفران الا انا لعل ان اظفر به ونستريح من التعب والعناء وان كانت الاخرى ولم تصل يدى فتهيوا كلكم فى امر تعتمدوا عليه ثم انهم تناولوا شيئا من الطعام واخذوا الراحة للمنام الى ان اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على روس الروابى والبطاح وترتبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح فعند ذلك برز الملك الجوفران بزيه المعروف الى ساحة الميدان واشتهر بين الفريقان وجال وصال حتى لين عريكة الحصان ونادى كما سبق له فى الايام الخالية من الزمان وسمعت نداه بالعربى جميع الفرسان من شدة عزمه واهتمامه فلم يتركه الغضنفر يتم كلامه حتى برز اليه وصار قدامه بعد ما تعلق به عمرو ذو الكلب فلم يفعل وكذلك زهير بن قيس فلم يقبل لاجل ما فى قلبه من الاهوال فلم يسمع لاحد منهما مقال ✽ (قال الراوى) ✽ وانه لما صار فى الميدان جال وصال حتى لين عريكة الحصان وكان عليه فى ذلك اليوم درع ابيه المانع ومتقلد بسيفه الضامى القاطع وجال قدام خصمه فى ساحة

الميدان

الميدان ونادى به وقال له ويلك ياقرنان ياابن ألف قرنان يا كثير الفشل والهزيان دونك والحرب والطعان ثم مد اليه لسان السنان وصال وجال وترنم وأنشد وقال هذه الابيات

ألم تعلموا انى همام عشيرتى * شديد القوى والحرب غاية مقصد
فان ماجد فى بنى عبس محدث * فمجدى فيها باسق غير مفقد
وأنا علوة على الغضنفر مجالنا * نحامى عن الاخوان والقوم تشهد
وانى لقتال الرجال برمح وصارم * لا يقاومه فى الحرب ألف مهند
ولست من الحرب الطوال بفازع * ولم أك رعديدا ولا رعش اليد

﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام فلما سمع الجوفران شعر الغضنفر شخر ونخر وتجبر وأخذته الحمية ونخوة الجاهلية والعزمة القوية وقد هاج كأنه الاسد القسور ونطق بالشعر لسانه وما قصر لانه تربية بنى الاصفر وأجابه على شعره يقول

أنا البطل الندب الذى شاع ذكره * ببذل المعالى واكتساب الرغائب
فمالى مبذول لكل مؤمل * وسيفى فى هام العدا والترائب
يعلق هام العالمين ذبابه * وما كنت رعديدا عند التقالب
ففى السلم سلام وفى الحرب قاهر * وللجود مبذال وفى الحرب غالب
أنا الجوفران الندب سيد قومه * أبيد الاعادى بالسيوف القواضب

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ الجوفران من شعره ونظامه سل فى يده حسامه وأبدى ما عنده من وجده وغرامه وحمل على الملك الغضنفر حملة ليث قسور فالتقاه الملك الغضنفر بوجه بشوش قد أزهر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر وتحاربا وتطاعنا بالرمحين وتماشقا فى أيديهما السيفين حتى تحيرت من فعالهما الفائتين وقد قلقت من تحتهما الجوادين ﴿قال الراوى﴾ ودام بينهما القتال واستطالا فى الحرب والنزال وعظمت الاهوال وتضاربا بالنصال وتكسرت فى أيديهما الرماح الطوال وبليوا بالاهوال الثقال واصطدما بالابدان كأنهما الجبال وطلع عليهم الغبار الى الاعنان

تغيرت منهما الوجوه وخاب ما كانوا يؤملوه ويرجوه ونشفت ألسنتهما من العطش وحار كل منهما واندهش ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى حرب وقتال الى أن اذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال ورجعت الطائفتين الى الخيام لاجل الراحة والمنام وقد التقوا بنى عبس بالغضنفر وسألوه عن خصمه وما كان بينهما من ذلك الامر المنكر فقال لهم وذمة العرب العربه ما رأيت مثله فى الحرب أقوى همه وقد تعبت فى هذا اليوم من قتاله وحربه ونزاله ولكن غداة غد يكون نهاية حربه وانفصاله ويكون النصر لواحد منا آمالى وآماله *(قال الراوى)* هذا ما كان من الغضنفر واما ما كان من الجوفران فان أصحابه النقوه وأرباب دولته وسألوه عن خصمه وما رأى شجاعته فقال لهم وحق المسيح ما هو الا فارس مليح وهو جسور القلب فى طعنه وضرابه ولكن لولا المساء أدركنى ما كنت عدت الا به ثم انهم أحضروا اليه الطعام فأكل وبعد ذلك اتكاء لاجل الراحة والمنام بعد ما أوصى أصحابه بالحرس ونام *(قال الراوى)* ولما كان من الغدا عند الصباح ركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وركب فى مقدمهم الملك الجوفران وسار قدام العساكر الى حومة الميدان فرأى الغضنفر قد ركب وسبقه الى الميدان الى مكان الضرب والطعان فعند ذلك برز اليه الجوفران وناداه دونك والمبارزة فانى ما أبقيت عليك بالامس الا حتى تنظر شجاعتى وتخبر ان عندك من الفرسان عند مفارقتى فيشهدوا انى أوحد الزمان فى فروسيتى فزعق فيه الغضنفر بصوت مدعر وقال له تقصر يدك عن هذا يا كلب بنى الاصفر ثم انه أشار اليه يقول هذه الابيات

أنا الفارس القمقام يوم الكتائب * أنا المجد والعلياء كريم المناسب
اكر وأحمى الجار ولا ارى * لنفسى روعة من وقع القواضب
ولا عجبا فيما أقول لاننى * أبيد كماة الحرب عند التضارب
فيه يحيى لقاء ليث يصول مبادرا * بعزم صادقا للعرب غير كاذب

(قال الراوى) فلما سمع الملك الجوفران منه ذلك الكلام والنظام فانطبق عليه كانطباق الغمام واجابه على شعره يقول

لست بالحايد المفيد عن الحرب * لا ولا أنا بالجبان عند الضراب
واذا كانت النفوس جميعا * لم تكلنى الفرسان عند الطلاب
وأنا الفارس المتقدم فى الحرب * وكريم من سادات انجاب
ليس لى فى الحروب كفو وانني * لشجاع لا أتقى عند حراب

(قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك حملوا الفارسين على بعضهما بعض واتسعا فى جنبات تلك الارض واخذوا فى معنات الطعن والضرب حتى عقد عليهما الضباب وبقيا عن أعين الناظرين فى حجاب وحارت مما وقع بينهما أولى الالباب وحكمت فيهما السيوف الرقاق وجرى لهما اما أبهر الاخلاق وحير الاحداق الا ان الغضنفر طعن الجوفران طعنة هائلة قاتلة وكانت الى صدره واصلة وقال له خذها من فارس عبس وعدنان فوقعت فى كتف الملك الجوفران فابذل دمه وارتعد منها وصار فى رجفان ولكن قوى عزمه وهدى روعه وصبر عليه وطاول خصمه الى أن أقبل الليل وعاد كل منهما عن صاحبه وهو يتأسف على خصمه ويتحسر وعاد الملك الجوفران وهو مرتبك مما قد اعتراه فالتفت أرباب دولته وصاروا ينشفوا له دماءه وكانت الجراح قد أوهنته وعن المنام منعته فوضعوا له الرهبان عليها حشائش يعرفونها وشدوها شدا وثيقا وقد زادت به الاشجان وبات وهو يتقلق كأنه النمر الحردان ولم ينم تلك الليلة مما ناله من الهيمان *(قال الراوى)* ومازال على ذلك الشان الى أن أصبح الله بالصباح وما صدق بالصباح أن يصبح حتى ركب وخرج الى الميدان ونادى وطلب البراز وسال الانجاز واذا بالغضنفر مما به من الحنق قد خرج اليه مثل البرق اذا برق أو الغيث اذا اندفق أو السهم اذا انطلق ثم انهما حملا على بعضهما بعض وجالا طولا وعرض حتى تدكدكت من تحت أرجل خيولهما الارض وصالا طويلا واعتركا طويلا واخذا ميمنة وميسرة وسارت الخيل تجرى بهما تاره

نحيبا وتررة قهقرة ونخصت لهم أعين الفريقين لان جرى بينهما حرب تحيرت منه الطائفتين وأندهلت الفرسان مما جرى لهؤلاء البطلين من شدة ماصار بينهما من القتال وما لقيوا فى ذلك اليوم من الاهوال وقد صرخا صرختين تفطرت منهما القلوب وكادت الاكباد منهما أن تذوب وجرى بينهما حرب شديد يحير منه البطل الصنديد ويشيب له الطفل الوليد ولم يزالا على ذلك وهما فى حرب أكيد وقتال شديد وهما على ماهم عليه من ذلك الحال الى أن أقبل الليل بالانسدال وعزم النهار على الارتحال وعادا عن بعضهما بسلامة ولم يبلغ أحدهما من صاحبه غرضه ومرامه ورجع كل واحد الى أصحابه وقد زادت به أوصابه وكل منهما تلقته قومه وأجناده وقد امتلأ بالحنق فؤاده وقال عمرو ذو الكلب للغضنفر كيف رأيت خصمك فى هذا اليوم فقال لعن الله الكذب فانه يزرى بالرجل ولو كان من أكابر القوم ووالله ماهو الا فارس عظيم وبطل جسيم ولقد لاقيت منه فى هذا اليوم ثبات مقيم وهو بذلك الجرح العظيم مثل مالاقيته منه بالامس وهو سليم وفى غداة غد يكون الانفصال بمشيئة الملك المتعال ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من الغضنفر وماتم له من الاقوال مع قومه وأما ما كان من الملك الجوفران فانه التقاه خواصه وقومه بأحسن استقبال وقالوا له كيف رأيت خصمك فقال لهم وحق المسيح ومزمار داود والحوار المليح ماهو الا فارس شديد وبطل صنديد مليح وهو وحيد الحرب والنزال وغدى يكون بينى وبينه الانفصال ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم تناولوا الطعام واخذوا الراحة التى هى صحة الاجسام وباتوا تلك الليلة على ذلك الرواح الى أن اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وترتبت الصفوف وتعدلت الالوف وبرقت فى أيديهم السيوف ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك ركب الملك الجوفران وصار فى عاجل الحال فى وسط الميدان وطلب البراز وسال الانجاز ونادى وقال هيا يافرسان الحجاز ابرزو لى فارسكم المغوار وبطلكم الذى هو عندكم رأس الطرار

فلما تم الجوفران كلامه الا والغضنفر حمل عليه وصار قدامه وكان قد خرج على مهل من غير انزعاج ولا عجل والجوفران يظن ان ذلك من الخوف فعند ذلك قصده الغضنفر وانطبق عليه انطباق الاسد القسور وقام فى رأسه حمية أبوه عنتر فأنشأ يقول

سلوا الخيل عنى حين أعلوا سروجها * وأسرى بها نحو الاعادى سرعا
أليس أنا الموت المفجع للعـدا * اذا اشتبكت زرق الاسنة طلعا
أبى كان الحرب فى حومة الوغى * وأعظمهم فى السلم أفضل موضعا
أقوم بهم لا أعطى الحرب حقها * أجندل منهم كل قرم صميدعا
أدير عليهم كاس حتف من الردا * تمازج سما فى الجوانب ناقعا

(قال الراوى) ولما فرغ الغضنفر من شعره وما أبداه من نظمه ونثره حمل على الملك الجوفران وأطلق لجواده العنان وقوم بين أذانه السنان فالتقاه الجوفران بقلب أقوى من الصوان وأوسع معه فى الميدان وأجابه على عروض شعره بفصاحة لسان وقوة عزم وثبات جنان وأنشد وقال

الا سائلا عبس يوم الوغى * غداة التقينا جميعا معا
نقودهموا فى وسيع الفلا * على كل صافنات أربعا
تعلق بالبيض هاماتهم * وسبق يوم الوغى من سعا

(قال الراوى) ولما فرغ الجوفران من شعره والنظام أنطبق على بعضهما بعض وأخذوا فى المجال طولا وعرض وأخذ الغضنفر من الجوفران الحذر وكاتفه بالحسام الذكر وصار بينهما حرب يذكر ما طلعت الشمس والقمر وكان لهم ساعة تقشعر منها الجلود وظن كل واحد منهما انه ما يعود وحملا على بعضهما بقوة وزمجرة وتصادما مصادمات منكرة ورأت الفرسان منهما فى ذلك الوقت ساعة عسره وجالا جولا طويلا واعتركا عراكا غير قليلا ولم يزالا فى كر وفر وهما قيام ومستقر وأخذ ورد وهزل وجد وقتال ونزال حتى تحطمت من طعناتهما تلك القنطاريات الطوال وتثلمت فى أيديهما من كثرة الضرب السيوف الصقال ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى مجادلة

ومحاربة ومقاتلة حتى قاربت الشمس الى الزوال وقد تيقن كل واحد منهما
انه لا يرجع الى دياره مما أوقد من الحرب عليهما ناره وخاف الغضنفران
ينقضي عليه النهار ولم يبلغ من خصمه ما يختار فلاصق الغضنفر الملك
الجوفران وطابقه وسد عليه طرائقه وقام فى ركابيه وتمطأ فى بداديه وأراد أن
يضربه بالسيف يقضي عليه والجوفران قد احترز من ضربته واستتر بدرقته
فمن قوة حنق الغضنفر قام بركابه وضرب الجوفران فعند ذلك انقطع به
الركاب وقد سقط عن الجواد ووقع على التراب وقد انوهن بعضه فى بعض
فانقض عليه الجوفران أسرع من البرق وأعجل من نزول الودق وأخذه
من على وجه الارض بسرعة وهو متوهن من تلك الوقعة وعاد به وهو فى صفة
الاموات وقد علت من تلك الافرنج الاصوات ودقت الطبول والكاسات
وصرخت الرجال ونعرت البوقات وحملت فرسان بنى عبس على الاثر
وأيضا بنى هوازن وبنى قضاعة يرومو اخلاص الغضنفر فالتقتهم الافرنج
كأنهم السيل اذا انحدر وعمل بينهم الصارم الذكر ولعبت الخيل بجماجم
الرجال كأنها الاكر وعمل الشجاع أعمال تحير البصر وانهزم الجبان
وتقهقر ولم تزل الابصار حائرة ناصرة والسيوف أحكامها فى الابدان جائرة
وأفاعى الرماح الى نهش الارواح متبادرة والوحوش الى جثث القتلاء نافرة
وقلوب بنى عبس لفقد الغضنفر طائرة *(قال الراوى)* هذا وقد عمل
الحسام فى الرؤس والاجسام واختلفت رسل الحمام ولمعت نجوم الاسنة
من تحت سحائب القتام وقامت عروس الحرب على الاقدام وانتثرت
عليها جماجم الكرام وما زال السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار
الحرب تشعل حتى أقبل الليل وانسدل وانفصلت الطوائف عن الحرب
والعمل وعادت فرسان العرب وهى تخوض فى بطون القتلاء وقد حل بهم
من أسر عنيترة والغضنفر البلاء وما أحمى نار الحرب الا عمرو ذو الكلاب
فانه هو الذى دفع عن قومه فى ذلك اليوم البلاء ورجعت عن بعضها بعض
الطوائف وفيهم من هو آمن وخائف وباتوا بنى عبس وما فيهم من استطعم

يزاد ولا تهنى برقاد ولا قرله فؤاد * (قال الراوى) * هذا وعمرو ذو الكلب يقول ما بقى فى الامر الا انى فى غداة غد أبرز الى الميدان وأطلب براز الملك الجوفران وابذل فى قتاله المجهود فاما أن أرجع بنيل المقصود أو أبقى معفر فى الثرى ملحود وافترق الجمعان وباتت الطائفتان وتحارس الفريقان وبات عمرو ذو الكلب على هذه النية وقلبه وقلوب بنى عبس على حر النار مشوية *(قال الراوى)* هذا ما جرى لهؤلاء وما وقع لهم من الاحكام وأما ما كان من الملك الجوفران وما يريد أن يدبر من المرام فانه أقبل الى سرادقه وهو فرحان ومن حوله الابطال والفرسان ودار وابه القسس والرهبان وقد صلوا عليه صلاة الموتى بطيب الالحان وهو مع الاقاه من الحرب سكران *(قال الراوى)* وبات الحرس يدور بين الطائفتين الى أن أصبح الله بالصباح واسفر الفجر بنوره الوضاح فعند ذلك ركبت بنى عبس ومن معها من الطوائف واصطفت الصفوف واهتزت الذوابل واشتهرت السيوف وفى ذلك الوقت أقبل على عمرو ذو الكلب بن شيبوب الخزروف وقال له يا أمير أنا لا بدلى اذا اشتغلتم فى هذا اليوم بالحرب والصدام أن أختلط بالافرنج واذا عادوا أعود معهم الى الخيام وأتسبب فى خلاص أولاد عمى عنيترة والغضنفر ولو أنى الاقى فى خلاصهم الموت الاحمر *(قال الراوى)* فقال له عمرو نخاف عليك ان تعرف فتهلك وتعدموك قومك وأهلك فقال له الخزروف يا أمير ما يكون من الرب العظيم الا كل خير كثير ثم انه خلع عنه أثوابه ولبس أثواب تصلح لهذه الاشغال لانه كان قد أخلف أبوه وفاق عنه وتكامل فى المكر والحال ثم أنه القا ساقيه للريح وطلب البر الفسيح وكان قد عصب رأسه بعصابة حرير ولبس فوقها كنبوش أسود كبير وشد وسطه بسير عريض وأخذ فى يده عكاز كبير غليظ ولفق مع تلك العصاة عصاة الطف منها وشد الاثنين شد وثيق وأخذ فى يده الاخرى قطعة خليج وأبريق وعمل على صدره صليب مزملك بعقيق ولبس برجليه ملابس بطريق وتزيا بزى شماس عتيق وخرج من الجيش كأنه شيطان أو من

بعض عمار الجان وأخذ فى عراض الجيش ودخل من بين البساتين كأنه
الذيب الاغبر وقطع فى الفلا ساعة ملية الى أن علم بحاله وقد سار خلف
جيوش الافرنجية فعند ذلك عرج وأتى من خلفهم حتى انه يتجسس
ويدخل الى جيوشهم *(قال الراوى)* وكان للاتفاق قد ركبت الافرنج
للقتال لمبارات بنى عبس وقد اعتدلت للنزال لانهم طمعوا فيهم بعد أسر
حماتهم عنيترة وأخوها الغضنفر الاسد الريبال هذا وقد أرتجت الاقطار
وأظلم ضوء النهار وتهتكت الاستار وذهلت من هول ما عاينت الابصار وحار
من شدة الحرب نظر النظار وحملت الصفوف على الصفوف وتلاطمت
الالف مع الالوف وتقطعت المناكب والكفوف وحكمت فى الاجسام
الرماح والسيوف وقاتل فى ذلك اليوم عمرو ذو الكلب القتال الموصوف
وجعل يكف الفرسان عن قومه فى البطاح ويلتقى عنهم بصدره
أسنة الرماح وأما أم عنيترة قناصة الرجال فانها حيرت بفعالها الشجعان
واذهلت بقتالها ناظر العينان ونكست عن السروج الاقران من شدة
الطعان وضرب بالسيف اليمان وهى الى جانب أخيها أحمر وكانها الاسد
الغضبان ولله در سبيع اليمن بن مقرى الوحش وما فعل فى ذلك اليوم
العظيم الشان وسابق وأخيه لاحق بما فعلوا فى حومة الميدان وكذلك
الديال بن الغضبان فانه حير بفعاله الفرسان وأقتتلت الجيشان وثبتت
الفرسان وفر الجبان وهو مندهل العقل حيران *(قال الراوى)* ولله
در الملك الجوفران وما عمل فى ذلك اليوم بالاقران والشجعان وكان التقى
بعمر ذو الكلب آخر النهار وجرى بينهما حرب يحير النظار ويذهل الابصار
وافترقوا عند اقبال الظلام لطلب الراحة والمنام وكذلك افترقوا الجيشان
ورجعوا عن القتال الطائفتين وباتوا يتحارسوا الفريقان *(قال الراوى)*
ونزل الملك الجوفران فى سرادقه وقد كاد الغيظ مما قاسى فى ذلك اليوم ان
يخنقه وقد أشعلت الشموع بين يديه والبطارقة والحجاب دائرة من حواليه
وهو يدير فيهم عينيه ويجلس خواصه ومن يعز عليه وينظر الى الاسارى

وبريد يقدمهم اليه بحاث منه التفاته فنظر الى الخزروف وهو واقف بين تلك الصفوف وهو ينظر الى الخيمة التى فيها الاسارى بنظر خفيف فقال لبعض خدامه آتونى بذلك الرجل الضعيف الذى صاحب الجسد النحيف فما كان باسرع ما أحضروه بين يديه ولما حضر الخزروف بين يديه أومأ بالسلام عليه وصلب على وجهه وكشف رأسه وسكع وللتراب قبل وركع (قال الراوى) فقال له الجوفران من أنت ومن أين تكون وماهو دينك من الاديان أصدق بالحق والا وحق المسيح ومارى حنا المعمدان ضربت رقبتك بهذا السيف اليمان وأنزلت بك الهوان فقال له الخزروف يامولاى أنا من بلاد الملك ساسان وقد جار على الزمان ورمانى منه بالحرمان وقد فقدت الاهل والخلان (قال الراوى) فقال له الجوفران ومن فعل بك هذه الفعال من أهل ملة الصلبان فقال له الخزروف يامولاى وحق المسيح ودير مرقته وصومعة الرهبان مافعل بى هذا الفعال الا هؤلاء الاسارى الذى هم أوشم العربان الذى هم فى قبضتك الآن وقد فعلوا بى ذلك على زمن الملك خيطجار وأنت بنى عبس ومجمعة العربان وهم فى عزمة وهمة وتخاصوا الاسارى مع هذا الشيخ الذى يسمى دريد بن الصمة لذى فى قلبى منه ألف رزية وغمة ولو حصل هذا الشيخ فى يدى يامولاى لاأكلت لحمه وشربت دمه لانهم قتلوا لى ثلاثة أخوة وولدى وقد فطروا فؤادى وكبدى وقد هدوا قواى وجسدى وكانوا قد أخذونى معهم أسير بحالة الويل والتنكيل والتعتير وكنت قد بقيت معهم أسوق الاموال والنوق والجمال ووصلت معهم الى أن قربت من هذه البلاد فهربت منهم وبقيت مشتت وحيد على حالة الانفراد وبعد ذلك توصلت الى أن دخلت القسطنطونية وخدمت فى بعض الكنائس لاهل ملة النصرانية الى أن أتت هذه الايام وسمعت أنك أيها الملك الهمام والبطل الدرغام قد استأسرت من بنى عبس أقوام فأتيت الى هاهنا لانظرهم بنظر التام ولان قتلت منهم أحد أيها الملك وأبدت عزمه وشويت لحمه أكلته وأطلبت بدمه *(قال الراوى)* ثم

ان الخزروف أظهر الحسرات وتصاعدت منه الزفرات وأسيل العبرات وأنشأ يقول

لا تعجبا من عبرتي ونحيبي * ياصاحبي فليس بعجيب
وتخوفا يوم الفراق فانه * لاشئ أعظم من فراق حبيب
ترك الفراق العاشقين كانما * أجسامهم خلقت بغير قلوب
من لم يكن عرف الهوى وذاقه * فلقد أخذت من الهوى نصيبي
أرأيت ياهـذا أشد بلية * تبت على بشر فراق حبيبي

﴿قال الراوي﴾ ثم ان الخزروف أظهر البكاء والاحزان وأجرى دموعه من الاجفان حتى رحمه الملك الجوفران وبكى كل من كان حاضر في ذلك المكان وقال له الملك الجوفران ياهذا أقلل من بكائك فنحن نأخذ لك ثارك ونبلغك مناك ونأمرك أن تضرب منهم الرقاب وترمي لحومهم الى الكلاب فقم وادخل الى الخيمة واصنع بهم ما شئت من العذاب ولكن لا تقتل منهم أحدا حتى الى أوقعهم وأعاتبهم فقد وكلتك بهم حتى انك تعذبهم ﴿قال الراوي﴾ فنهض الخزروف الى خيمة الاسارى التي جعلت لهم في ذلك المكان وكانت الى جانب صرادق الملك الجوفران فرفع سجاف الخيمة ونظر اليهم من خلف ظهورهم واذا بالكل مقيدين وحيارى في أمورهم لما حل بهم من ذلك الامر الذي قد ضاق منه صدورهم فعند ذلك تقدم اليهم الخزروف حتى انه قاربهم بعزمه وهمته فوقعت عينه على دريد بن الصمة فصرخ عند نظره اليه صرخة عظيمة وقد زاد له في السب والشتيمة وقال له وحق المسيح ومامسح وحق البيعة الكبيرة والمذبح ان هذا هو الشيخ الذي قتل ولدي وأحرق عليه كبدي وأمني بفراقي له جسدي ثم انه في عاجل الحال تقدم اليه ولطمه بين كتفيه وصار يعض أذنيه ويضربه بتلك العصاتين الذي في يده على يديه ورجليه هذا والملك الجوفران يضحك عليه ودريد يصرخ فيه ويقول يا ابن الملعونة أوضحي معرفتك فلعن الله مرضعتك وأهلك وقومك وعشيرتك ﴿قال الراوي﴾ فتبسم

الخرزروف لما سمع من دريد ذلك الكلام فعرفه الغضنفر معرفة تمام وقال لدريد يا ابا النظر لا تشتمه فانه بن عمي الخرزروف وما أتى الا ليسعى في خلاصنا من هذا الامر المنكر ويتسبب في اطلاقنا مما نحن فيه من العز *(قال الراوى)* فقال له دريد يا هذا ومن أين للخرزروف أن يقدر يأتي الى هذا المكان واغماه ذا قد أفقره الزمان وهو من فقراء مدينة ساسان الا انه قد أحرق ظهري بالضرب هذا الالف قرنان ثم تحقق فيه بنظاره فعرفه فقال له يا ابن الملعونة قد قطعت لحمي بأسنانك ومتى قتلت أنا ولدك او نهبت مالك وبددت شأنك فتبسم الجوفران وغمز دريد بن الصمة زاد في شتم الخرزروف وفي سبه والملك الجوفران يضحك عليهم هو ومن حوله من الرجال فبينما هم على ذلك الحال واذا بضجة قد أقبلت وعشرة جوار قد ارتحلت وعلى الملك الجوفران سلمت وبينهن جارية صاحبة حلل وافتخار ولماهية ووقار وعليها حلة سابلة معقودة بالجواهر الكبار (قال الراوى) ولما قربت من الجوفران قام لها قائما على الاقدام وكذلك كل من كان حاضر فجلست الى جانبه وهي كانت من خيار قومه وأقاربه وليس هذا عند الافرنج بقبيح وانهم يجلسون بين الرجال بالزي المليح فلما جلست واستقر بها المقام بادته بالكلام وقالت له مالي أراك أيها الملك ضحكك عال بزيادة وما عهدت منك ان لك بهذا عادة فقال لها يا أماه أضحكني هذا الرجل الساساني فانه ليس له في خدمة الملوك ثاني *(قال الراوى)* ثم انه قص عليها بجيء الخرزروف وقصته وما سمعه من كلامه وحيلته (قال الراوى) وكانت نازلة بعيدا عنه في غير ذلك المكان واتفق انها جاءت اليه في ذلك الوقت والاوان فقالت له وأين هذا الرجل الساساني الذي ذكرته فقال لها انه عند هذه الاسارى الذي قد أسرتهم فقالت علي به وأمرت أن يحمل فأتوا به وأحضروه الى بين يديها فرمقت له وميزت اليه بالنظر وحققت فيه العيان ثم انها التفتت الى الملك وكلمته بالاسان فلما سمع كلامها فعند ذلك التفت الى الخرزروف وأمر بالقبض عليه *(قال الراوى)* وكانت

قد قالت له يا ولدى اعلم أن هذا سلال محال قد أتى يطلب خلاص ملك
الاسارى بالمحال فوحق المسيح لولا وصولى فى هذا الساعة لكان قد تم
عليك محاله وخداعه فعند ذلك أمر الملك الجوفران بأن يوثقوه كتاف
بالحبال وهو بذلك الزى الموصوف ولما رأى روحه على ذلك الحال لحقته
الحيرة والاندهال وكذلك دريد وعنترة والغضنفر وما منهم الامن اندهل
وتحير مما رؤا فى أمورهم وضاقت من تلك الفعلة صدورهم وكذلك من
معهم من الفرسان وهم دنار وخفاق وياسر وليث الميدان لانهم كانوا قد
أملوا به الخلاص من الذل والهوان و بعد ذلك قدمه الى بين يديه الملك
الجوفران وقال له يا ملعون اصدقنى فيما جئت فيه من الامر والشان ولا
وحق المسيح ومزمار داود والدين الصحيح لضربت رقبتك وتركت دمك
فى هذه الساعة على الارض يسيح (قال الراوى) فقال له الخزروف يا ملك
النصرانية لا تفعل فانى ما تكلمت بين يديك الا بالصحيح وما أنا الا رجل من
بنى ساسان وحالى وضيع وقد رمانى الزمان بالذل والحرمان وهذا من تمام
الذل والهوان *(قال الراوى)* فبقى الملك الجوفران من كلام الخزروف
محيران ثم انه نادى ببعض حجابه وأمرهم باحضار الغضنفر اليه ففى عاجل
الحال اتى به واحضروه الى بين يديه فقال له الجوفران يا هذا قد صح عندى
انك شجاع والكذب لا يليق بالشجاع والصدق أحسن ما تزين به الرجال
فبحق ما تعتقده من رب زمزم والمقام وبحق البيت الحرام والمشاعر العظام
هل تعرف هذا الولد الزنا وابن اللئام *(قال الراوى)* فعند ذلك قال الملك
الغضنفر وقد تعجب مما حلفه به من تلك الايمان وتحير وقال له يا ملك لا تسبه
فان الكذب قبيح وما أقول والله الا الصحيح وانه ابن عمى ولحمى ودمى
ومفرج همى وغمى وقد أتى ليخلصنا بالحيلة فوقع فى يدك بهذه الوسيلة (قال
الراوى)* فلما سمع الخزروف كلام الغضنفر قال الذئب ما هو لكم ولكن
الذئب لمن أتى خلفكم يتعثر ويروم خلاصكم من هذا الامر المنكر فقال له
الغضنفر ويلك يا خزروف والا كنت أكذب وأنا قد صرت بين العرب

معروف وهو قد حلفني برب زمزم ومنى والمستحق الحمد والثنا فقال له
الخزروف لا تكذب يا ولد الزنا بل أنت سلكت طريقة أبيك عنتر العبد
الزنيم وأوقعتني بصدقك في هذا الهول العظيم فقاسوا الذل والهوان
والعذاب الاليم ولعن الله كما كم اجمعين ﴿قال الراوى﴾ هذا والملك
الجوفران قد تعجب من فصاحة الخزروف وجسارته وصدق الغضنفر
وهم في مقام الخطر وقوف ثم انه قال للخزروف يا ولد الزنا وتربية الامة
للخنا لابد أن أعذبك العذاب الاليم الشديد وأربطك مع الكلاب
في القيود الحديد بتهجمك على مقامات الملوك وأنت فقير صعلوك ثم أمر
ان يقيدوه بقيد ثقيل وثيق ووكل به وبالاسارى عشرين بطريق كل
واحد منهم مثل الحجر المنجنيق وأوصاهم عليهم بالاحتراز لكون عليه انه
ثبت عندهم انهم فرسان الحجاز ﴿قال الراوى﴾ وبعد ذلك أمرهم
بالانصراف من بين يديه وقام بعد ذلك الى منامه لاجل الراحة الى بدنه
ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الطوائف وتقابلت
بعضهم البعض وانتشرت الفرسان في جنبات تلك الارض وحملت
الشجعان واتسعوا بالجولان في الميدان وتضاربوا بالبتار وطلع عليهما
الغبار حتى غابوا عن الابصار وسطى السيف في حكمه وجار وتتر الرأس
من على الابدان وثبت الفارس الكرار وولى الجبان الادبار وركن
الى الفرار وجرى بين الجيشين العجائب وشابت الذوائب واهتزت من
تحت أرجلهم الارض من ركض الجنائب وعدم الحبيب الحبائب ودارت
عليهم الدوائر وقد اصطدمت عليهم الدساكر وقد اختلطت العشائر
حتى صار الاول منهم ما يلحق الآخر ولم يزالوا على ذلك الحال وهم في قتال
ونزال ومدافعة وجدال حتى حطت الحرب أوزارها وأوقدت الحرب
نارها وطلبت كل طائفة الاخرى بثارها ونادت بنى عبس يكناه وافتخارها
وكذلك بنى قضاعة وفارسها الامير عمر وذو الكلاب واخته قناصة
الرجال ثاروا في الحرب غبارها وخاضوا قساطلها وقتارها وعملت منهم

الرماح فى الاشباح ولبست الاجساد من الدماء وشاح ونادى المنادى بلى
جناح وصاح وتمنى الفارس أن يطير بلا جناح وانباعت الانفس ببيع
السماح وصارى فى أعين الفريقين المساء والصباح وبان فى وجوههم
شخص الموت ولاح وعبست الوجوه الصباح وضجت الفرسان من ألم الجراح
ضجيج النوق عند الرحيل والرواح وزعق غراب البين وناح وفر الجبان
وطلب الرواح وضاقت على الهارب الاماكن الفساح ولم يزل السيف
يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار وارتحل
وأقبل الليل وانسدل وقد تحير الملك الجوفران وذهل من قتال بنى عبس
وما عملت فى ذلك اليوم من العمل لانه ماظن انهم يثبتوا بين يديه لضرب
السيوف ولا علم ان كل واحد منهم يعد بألوف لاسيما ويقدمهم الامير
عمرو ذو الكلاب البطل الموصوف وأخته قناصة الرجال وهى كانها اللبوة
اذا فقدت أشبالها وعادت الطائفتين عن الحرب والطعان وكل منهم
ما يصدق بالخلاص من الميدان ﴿قال الراوى﴾ وأعجب ماجرى فى هذه
القصة المجازية من أحاديث العربان ان الملك الجوفران لما نزل فى سرادقه
وأحاطت به البطارقة والرهبان من كل جانب ومكان فأقبلت أمه على
جرى عادتها ومن حولها أكابر دولتها وأرباب خبرتها وكان قد انحرف
عنها لاجل الكلام ومالاقى فى ذلك اليوم من الحرب والصدام فدخلت
الى الاسارى فوجدتهم ممحلين من الاسر حيارى فتعجبت من أمرهم
وأما لما عدم صبرهم فقالت لهم من أى البلاد أنتم ومن أى القبائل ومن
أى العرب قد تجمعتم ﴿قال الراوى﴾ فقال لها دريد بن الصمة ياملكة
اما نحن من قبيلة واحدة وان قبائلنا من بعضها البعض متباعدة ونحن من
ثلاث قبائل ولكننا من قوم كرام أصائل أنا من هوازن وجشم وهذا الفتى
ورفيقه ينتسبون الى بأولاد عمى واشار الى دثار بن روق وخفاف بن ندبة
وكانت رحمتهم الملكة مما حل بهم من تلك الامور الصعبة وهؤلاء الاربعة
من بنى عبس وعدنان وأشار الى الغضنفر وعنترة وياسر وليث

الميدان وكذلك هذا الولد الزغاوا اشار الى الحزوف وابه من دونهما بالمكر
والخداع موصوف *(قال الراوى)* فعندذلك تقدمت الملكة أم الملك
الجوفران ووقفت على رأس الغضنفر وكذلك أم الزعازع عنيترة بنت
عنتر وقالت له يافتى أنت من بنى عبس كما تقرر فقالت له مايكون منك بن
شداد عنتر فقال لها ياسيدتى هو أبى كان فقالت ما أصابه من غدرات الزمان
فقال لها الغضنفر قتل ظلما وعدوان فقالت له وابنة عمه عبلة مافعل بها
الزمان فقال لها قد قتلها شخص من بنى عامر وأحل بها الهوان وكان يقال له
عامر بن الطفيل ولكن كان شجاع الزمان وكان قد تزوجها بعد أبى لما
قتل وحانت منيته *(قال الراوى)* ثم حدثها بالحديث على جليته
فقالت له وأنت أمك تزوج بها أبوك بعد عودته من عند الملك قيصر قال
بل ان أمى أقرب مايكون الى الملك من دون البشر وهى بنت أخوه وتسمى
الملكة مريم وكان قد تزوجها من الملك قيصر بحضور أخيها بالمقام وكان
ذلك منه اكرام لما أتى اليه الى مدينة رومة الكبرى وله فى حمايتها اخدم
لما سطى عليه الملك بهمند أخو الملك خيلجان الذى قتله أبى عنتر فى بلاد
العجم وكان ذلك منه فيما تقدم فقالت له ومانكون منك هذه الفارسة
السمرة اللون المليحة المنظر والسكون فقال لها ياملكة هذه اختى من أبى
وقد حل بها من قتل والدى ماحل بى وهى تسمى أم الزعازع وابوة الوقائع
وجامعت شملنا وحامية كلنا فقالت له وأمها تزوج بها أبوك بعد
رجوعه من بلاد الروم فقال فهو كذلك أنه عاد الى الحجاز وتلك الرسوم وأمها
تسمى الميفة قناصة الرجال أخت الامير عمرو ذو الكلب الفتى الريبال
فقالت وهؤلاء الفارسين الاخر مايكونا يافتى منك فأخبرنى بالصدق وأبشر
بزوال الضيق عنهما وعنك وكانت قد أعنت باشارتها على يامر وليث
الميدان وكانت قد ظنت فى نفسها انهما اخوان *(قال الراوى)* فقال لها
الغضنفر ياملكة اما هذا فهو بن أخى ميسرة بن عنتر واما هذا فهو ابن
عمى مازن أخو أبى وكان الاصغر واننا ما اجتمعنا عليهما الابعدان قتل

أبي وأنذر لانهما ربيا عند الملكة حليمة بنت صاحب الشام وكان أبوهما قتلا قبل أبي وربتهما الايتام ولكن عندها وعند أخيها الملك عمرو في خيرات وانعام *(قال الراوي)* فقالت له الملكة وهذا السلال هو ابن عمك شيبوب فقال نعم هو ذلك ياقوت القلوب فقالت له وعمك شيبوب ما كان منه فقال قتل وانقبر قبل أبونا بثمانية سنين أو أكثر فقال لها الغضنفر ما أراكي يا ملكة الا عارفة ونا غاية المعرفة وتصفي أنسابنا بهذه الصفة فمن أين لكي علم ومعرفة بهذه الأخبار فقالت له أمور كم كانت تصل اليّ من السفار ولكن طيبوا قلوبكم فأنا ان شاء الله أكون السبب في خلاصكم من ازالة كروبكم وأسيركم الى بلادكم بما بقي من جيوشكم وأجنادكم وأجتهد في خلاصكم *(قال الراوي)* ففرحوا الجماعة بمقالها وشكروها على ما أبدته من جميل فعالها ثم انها مضت من عندهم بعد ما أوعدتهم بخلاصهم من ضيق سجنهم وأرسلت لهم مأكول ومشروب من الطعام ثم انها أقامت الى أن انفصل القتال في اليوم الثالث وقد خافت من ولدها لا يحدث في حقهم شيء من الحوادث (قال الراوي) وبينما هم على هذا الحال وقد انفصلت الطوائف عن القتال ورجع كل جيش الى مقامه وأقبل الجوفران الى سرادقه ومحل منامه وغلمانه وخدامه وهم يمشون قدامه وكان قد أتى وهو ممتلي غيظا وحنقا كيف لم ينال من كسر جيش بني عبس مرامه فما أكل طعام ولا غفلت عينيه الا شيء قليل من المنام فرأى في منامه ما أزعجه وأبهره فضاق كذلك صدره وزادت كدره وما رجع من تلك الساعة أخذه منام ولا التذ بأكل طعام ولم يزل على ذلك الحال حتى طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح وبطل في ذلك اليوم القتال حتى ينظر ما يكون له من الاحوال ويفسر ما رآه في المنام على أحد يكون يعرف في تأويل الأحلام وكان من أمره ومنامه عجب فان كلما يأتي على الانسان له سبب وذلك انه لما أصبح الله بالصباح وجلس في مقامه وطلب أن يفسر ما رآه في منامه وقد انزعج لذلك وضاق صدره وزاد آلامه فأمر باحضار

القسس والرهبان حتى انهم يعبر والهم رؤياه فحضر كل قسيس ومطران وأحضر أيضا البترك الكبير والمعمدان فقالوا له أيها الملك أبدى لنا ما رأيته فى منامك ولابد أحلامك وأعلمنا ما هو الذى أزعجك من أحلامك ﴿قال الراوى﴾ فأقبل عليهم يحدثهم بما رآه ويبدى لهم ما نظره فى رؤياه وقال لهم انى رأيت كأنى أقبلت الى سرداق هذا وجلست على سريرى كذا واذا أنا بكتفى اليمين قد اختلج اختلاج عظيم وقد طلع منه يد مثل يدى هذه ولها ساعد مستقيم وامتدت من أصل كتفى حتى انها لحقت بأصابعى وكفى فقلت فى نفسى وحق المسيح لقد بطلت همتى عن القتال وقد عجزت عن مكافحة الحرب والنزال وانى خائف من هذه الاهوال واذا بها قد التمت وصارت يدا واحدة وعادت الى ما كانت عليه وبقيت فى أمورها متساعدة وانتبهت بعد ذلك من منامى واستيقظت من أحلامى وأنا خائف مرعوب متكدر الخاطر وفى أمرى مكروب من عاقبة ما رأيته من أحلامى فبينوا لى شرح ما أنا اليكم قائل ان كان فيكم أحدا عارف بتفسيره عاجل فبينوا الى هذا المنام وفسروه قوام ﴿قال الراوى﴾ فتعجبوا الجميع من ذلك المنام وعجزوا الكل عن تفسيره وبلوغ المرام فقالوا له بأجمعهم يا ملك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية اعلم اننا ما لنا علم بتفسير المنامات ولا نعلم بهذه الكائنات وحق المسيح والسبع كلمات وتربة الراهب ساحات الذى قعد أربعين سنة فى دير الزرزور ولم يغسل وجهه الا من المعموديات ما عندنا علم بتفسير هذه المنامات قال فاغتاظ الملك الجوفران غيظا شديدا ما عليه من مزيد من خطابهم وما أبدوا الرهبان من جوابهم فبينما هو على ذلك الحال الذى قد حصل اليه واذا براهب من بعض الرهبان قد قام قائما على قدميه وتقدم الى عنده وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك الزمان ان أردت أن تعلم تأويل هذا المنام وما فيه من البرهان فأحضر الاسارى الذى عندك من هؤلاء العربان واستخبرهم فانهم عارفين بمثل هذا ويبدوا لك ما يكون من التأويل

وما كان *(قال الراوى)* فاستصوب الملك كلام ذلك الراهب من دون
الرهبان ثم انه أمر باحضار الغضنفر وأصحابه اليه فمضى الحاجب واحضر
جميع الاسارى الى بين يديه *(قال الراوى)* وكان من القضاء والقدر
ومن جملة الامر الذى فى علم الله مدبران الغضنفر أيضا رأى منام فى تلك
الليلة وهو منه فى همه وقعد فى ذلك الوقت يفسره على شيخ العرب دريد بن
الصمة وليس عنده فى ذلك الامر حيلة و يقول له يا أبا النظر لقد رأيت الليلة
فى منامى أمر عجيب وأرجو من الرب القديم أن يكون عاقبته الى خير قريب
فقال له دريد يا حامية عبس ما الذى رأيت ابديه ولا تخفيه لعل أن أعرفه
وأبين لك معانيه فقال له اعلم انى رأيت كانى فى حفيرة على صفة القبر وهى
خربة مدثورة وكان أقواما يهددونى بالقتل وقد ألقونى فى تلك الحفيرة
ومضوا عنى وتركونى فيها فقمت وقفت على أقدامى أريد الخروج منها
فرأيت فى تلك الحفيرة منطقة من ذهب أحمر مرصعة بأنواع الدر والجوهر
فمددت يدى اليها وقد مسكتها ومن الارض على ساعدى رفعتها وتأملت
فيها وتبينتها واذا بها قد صارت منطقتين فشديت وسطى بهما الاثنين
ثم تميزتهم واذا بهم قد صاروا منطقة واحدة وهذا منامى فبينه لى عسى أن
يكون فيه الفائدة يا أبا النظر لانه عبرة لمن يعتبر *(قال الراوى)* فقال له
دريد وحق الاله السميع المجيب ان تفسير منامك هذا يدل على أن يظهر لك
أخ عن قريب فقال الغضنفر يا أبا النظر ان هذا لا يصير ولا يتم ومن
أين يتفق هذا وأبى قد عدم فقال له دريد على طريق الملاعبة والجنون أنا
أخبرك عن هذا الامر بما يكون وما فى الامر الان امك الملكة مريم تتزوج
ببعض وترزق منه ولد فيصير أخاك *(قال الراوى)* فقال له الغضنفر أى
شئ هذا القول المنكر يا أبا النظر فقال لهم الخزروف وقد زاد به الغضب
وامتلأ غيظا وقال وربما أن يكون هذا الملك الجوفران أخوك وقد حملت
به بعض النساء من أبوك فعلل نفسك بهذه العلل لانه يشابهك فى الزى
واللون والقد والهيكل *(قال الراوى)* فعند ذلك أجابهم دريد بكلام

مدعو وقال وحق البيت والحجر والركن اليمانى المطهر ان هذا الملك الجوفران أشبه الخلق بالملك الغضنفر وقد ضحك الخزروف من هذا الكلام فقال لازلتم تعللوا أنفسكم بالمحال والخلاص من القيود والاغلال ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى المشاجر والكلام الذى هم عليه واذا بحاجب الملك الجوفران قد دخلوا عليهم وامرهم بالحضور الى بين يدى الملك فامتثلوا أمره وقاموا الى الملك الجوفران ودخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه ووقفوا مع جملة الحجاب القيام فأمرهم بالجلوس ليقص عليهم مارآه فى المنام وسألهم عن تفسير تلك الاحلام وذكر لهم الرؤيا كما وصفناها على جليتها ﴿قال الراوى﴾ فقال له دريد أيها الملك ان الذى قد ظهر لى من تعبير أحلامك وتفسير مارأيته ان يظهر لك أخ ويكون له جيش مثل جيشك وأجناد مثل أجنادك أو يتقلب عليك بعض الملوك ويأخذوا منك بلادك ويقهر واجميع أجنادك فقال له الملك الجوفران ياشيخ ان أبى قدمات وأمى مابقيت تتزوج أبدا على مدى الاوقات وماهو الا كما ذكرت أن يتقلب على بعض الملوك الذى هم لى من جملة الاعداء فقال له دريد هذا ماعندى من شرح ذلك المنام ﴿قال الراوى﴾ وانه لما سمع من دريد ذلك الكلام وسمع تفسير المنام فأخذه هما كثيرا ووسواس حتى ضاقت منه الانفاس وقال فى نفسه ما فى الامر الا انى الذى أسرتهم أرمى رؤسهم الى أصحابهم حتى تحل عزائمهم وأحل بعد ذلك على عشائرهم وأبيد دساكرهم وأعود الى بلادى عن قريب قبل أن يظهر على عدو غريب ﴿قال الراوى﴾ ولما قويت همته على ذلك عول أن يضرب رقابهم ويسقيهم كأس المهالك ثم انه فى عاجل الحال أدعى بسيافه وأمره أن يضرب رقاب الاسارى ويسقى كل منهم كأس تلافه فقال له الخزروف لاستر الله عليك وأحل بك الارتباك هذا يكون جزاؤنا منك على تعبير رؤياك ثم انه التفت الى دريد وقال له وحق البيت الحرام ماجلب لنا هذا البلاء والانتقام الا أنت بتفسيرك له هذا المنام وقد خاف على بلاده لما سمع

تفسير منامه وحسب فى نفسه اذا نحن قتلنا انكسرت عشائرنا قدامه فقالت لهم عنترة سلمنا أمرنا الى رب العباد ومنشئ السحاب الذى اذا دعى أجاب هذا والملك الجوفران قد صرخ فى سيافه بصوت مريع وأمره بضرب رقاب الاسارى الجميع فأقبل عليهم السياف وأول ما وقف على رأس الغضنفر وأشهر فوق رأسه حسام أبتر وشال يده لينزل بالضربة عليه واذا بأم الملك الجوفران قد وصلت وفى عاجل الحال حصلت بين يديه لان الخبر وصل اليها بما قد عول عليه ففى ساعة الوقت أتت والى نحوه سعت وأسرعت فنهض قائما اليها وأجلسها الى جانبه وسألها عن سبب مجيئها فقالت له أيها الملك على ماذا عولت فانى رأيتك فى همة فأخبرنى على ما عزمت عليه من تلك الملمة فقال لها قد عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذى فى قبضتى وارمى برؤسهم الى أصحابهم وأشفى بذلك غلتى حتى تنحل عزائمهم وأحمل عليهم وأفرق جمعهم وأطرحهم على الصعيد وأطحنهم طحن الحصيد وأبلغ منهم ما أريد وأرجع الى بلادى عن قريب غير بعيد فقالت له أمه ياولدى ما هذا صواب وربما يفتح من هذا أبواب لانك تعلم ان وراء هؤلاء من لا يغفل عنهم وان قبلت الرأى فلا تقتلهم الا اذا وصلت بهم الى بلادك وجزائرك ومعك جيوشك وأجنادك حتى يعلموا سائر الطوائف الذى كانوا يترقبوا عارك انك قتلت الذى يعاربوك بهم وانك قد أخذت بثارك ﴿قال الراوى﴾ فما هو الا ان سمع الملك الجوفران من أمه ذلك الكلام حتى قال لها وحق المسيح ما بقيت أستطعم فى ليلتى هذه بطعام ولا أذوق طعم منام حتى أبرى رؤسهم عن الاجسام فقالت له يابنى لا تفعل فربما تندم ويحل بك الندم فغضب لما سمع منها ذلك الكلام الذى يوجب الخلاف وغضب من ذلك ولج على السياف وأمره أن يضرب رقابهم ويحل بهم التلاف والسياف يقدم فى ذلك ويؤخر ويرتقب كلامهما لما رأها قد أكثرت فى ذلك اهتمامها وان أمه لما رأته مصمم على قتلهم تقدمت اليه وقد علمت انها ان توانت عليه قتلهم وفعل ما عزم عليه فعند ذلك تذكرت

جميل عنتر واحسانه اليهم وما صنع معهم من المكرمات وتفضلاته عليهم وكيف قتل عدوهم الملك صافات وكيف سلموا اليهم جزائر الواحات فعند ذلك اقبلت باللسان الافرنج على الملك الجوفران ولطفت له فى الكلام حتى انه لان وقالت له ياولدى كيف تطيب نفسك وتقتل اخوتك وأولاد عمك *(قال الراوى)* فلما سمع ولدها كلامها صارت عيناه مثل لظاء الجمر وصار كانه قد شرب كثيرا من الخمر وقال لها ومن هم أخوتى وأولاد عمى وما هذا الكلام وما أظنك الا فى أضغاث أحلام فقالت ياولدى وحق الانجيل المكرم والمسيح المعظم وحق السيدة أم النور مريم ان هؤلاء الاثنين اخوتك ونسبتهم لاحقة نسبتك وأبوهما عنتر أبوك وهذه عنيترة أختك وهذا الغضنفر أخوك *(قال الراوى)* فلما سمع الجوفران كلامها وما أبدته له من مرامها قامت عيناه فى أم رأسه وخافت من سطوته جميع جلاسه وقال لها من شدة ما ضاقت أنفاسه ويلك ياملعونة أليس أبى الملك كوبرت فقالت ياولدى اسمع ما به اليك أشرت فانى حديثى عجيب وأمرى مع أبوك غريب لانه لو كتب بالذهب على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر ثم انها انعطفت عليه وتقربت بنفسها اليه وابتدت تحدثه بحديثها وكان الكلام بينهما بلسانهما وأحكت له من أول الامر الى آخره وأعرضت عليه باطنه وظاهره وما جرى لها من أول الزمان وما سبق حديثه فى هذا الديوان من أمر عنتر بن شداد وما جرى له مع الملك قيصر لما حضر عنده الى القسطنطونية وتلك البلاد وكيف أهداها الملك قيصر لابو الفوارس عنتر وكيف باتت عنده ليالى كثيرة وكيف كان قد لحقها من رؤيته الانبهار والحيرة وكيف أراد شيبوب قتلها والامر الذى كان بين كوبرت وبينها وكانت قد علقت من عنتر لما أهداها له الملك قيصر وأيضا أخبرته بسيرة أبوه عنتر مع هرقل بن الملك قيصر وقتلة الملك الليلمان وابنه سرجوان وزواج الملك هرقل بالملكة مريمان ابنة الملك الليلمان وأيضا حدثته بحديث المرج والقصر وما جرى لها مع شيبوب وما كان

وأظهرن له سرها وبان الكتمان وقالت له ياولدي والآن قد صح الخبر وبان الامر واشتهر وانت بعد هذا ورأيت أخبر وقد أطلعتك على ما كان من الامور المخفية ولم أكتم عنك شيء من هذه القضية *(قال الراوي)* ولما سمع الجوفران من أمه هذه الاخبار أخذته الحيرة والانبهار وقال لها يا أماه أما كان من هؤلاء القوم أحد معكم في هذا الزمان حاضر حتى أسأله عن حديثكم أول وآخر ويكون التي قلتيه عندي له تأكيد وبيان وتقوم لك بذلك الحجة والبرهان فقالت له أمه ياولدي وحق المسيح لقد قلت قولا صحيح اعلم ياولدي ان من صحة الخبران أبوك الامير عنتر لما دخل الجزائر ما كان معه الاهرقل بن الملك قيصر وأخوه شيبوب وكذلك هذا ابنه الخزروف الآخر فقال لها ومن هو بين هؤلاء الجماعة الخزروف فأشارت اليه وقالت له هو هذا السلال الذي هو باللصوصة والخداع موصوف وهو الذي أتى بتلك الحيلة ليخلص منك الرجال من الشد والاعتقال *(قال الراوي)* فعند ذلك أمر الجوفران باحضار الخزروف اليه فقدم في ساعة الحال الى بين يديه وجميع جوارحه تخفق من الخوف اليه فقال له الجوفران أنت الخزروف فقال له نعم أنا ابن شيبوب الذي اخوه عنتر بن شداد معروف فقال له الجوفران ويلك ياخزروف أبوك شيبوب كان قد دخل الى جزيرة الكافور وحضر مع عمك عنتر في فتح قلعه البلور فان كان كذلك فاشتهي منك ان تخبرني كيف كانت هذه الامور *(قال الراوي)* فلما سمع الخزروف من الملك الجوفران هذا الخطاب خاف من عاقبة هذه الاسباب وقال في نفسه ربما يكون عمي قد قتل للملك الجوفران من يقرب اليه فيريد يأخذ بثاره منه ويقضي عليه فبقي مرتبك في أمره وقصته ولكن قد علم ان لابد له من اجابته فقال له نعم يامولاي كان ذلك من عمي عنتر قبل موته *(قال الراوي)* ثم ان الخزروف تذكر ايام أبوه شيبوب وعمه عنتر فجرت دموعه على خديه كأنها المطر وتنهد وتحسر وكذلك بكوا أولاد عمه عنيترة والغضنفر *(قال

الراوي)*

الراوى هذا والملك الجوفران قد أخذه عند بكائهم الدمع والرجفان وقال للخزروف هل تعرف أحدا اذا رأيته من أهل هذا المكان من الرجال أو من النسوان فقال له والله يا مولاى ما أعرف غير الملكة مريم والملك كوبرت وكان من نحو خمسة وعشرين سنة من عندهم سافرت فقال له الملك الجوفران فأنت اذا رأيت الملكة مريم فى غير جزيرة الكافور تعرفها فقال له الخزروف نعم يا مولاى وحلاتها وأوصافها فقال له الملك الجوفران فهل اجتمعت عليها فى جزيرة الكافور فقال له نعم يا مولاى وفى مدينة القسطنطونية ومضى لنا فيها أيام ذوات بهجة رضية (قال الراوى) ثم انه ابتدأ يحدثه بالقصة من أولها الى آخرها وشرح له جميع باطنها وظاهرها وما جرى لعنتر والملك كوبرت وقال له هذه حكايتى فلما سمع كلامه وافق كلام أمه الملكة مريم وما أحكت له عليه فصح عند الملك الجوفران انه ابن عنتر وانه من بنى عبس وعدنان لما بانت له تلك العلائم والبرهان فعند ذلك قال له يا خزروف والجارية مريم فى ذلك الزمان كانت قد حملت من عنتر قال أى وحق خالق البشر ولاجل هذا كان مريدقتلها عمى عنتر حتى لا يخلفه منها فى بلاد الافرنج ولد (قال الراوى) فعند ذلك أمر الملك الجوفران باحضار عشرة جوار وقال لامه اذهبى واخفى نفسك عن هؤلاء الرجال الحضار فاذا طلبتك آتى الى ويكون صحبتك هؤلاء العشرة جوار ويكون ملبوسكم ملبوس واحد حتى يكون ذلك أقوى برهان وأعظم شاهد فأجابته بالسمع والطاعة وقامت من حضرته فى تلك الساعة ثم ان الملك الجوفران من وقته وساعته أمر باحضار الجوار الى حضرته وكانوا كما أمرهم لبس واحد وزى واحد وصفة واحدة فأتين اليه ووقفن صف واحد بين يديه وصاح عند ذلك على الخزروف وقال له يا هذا اهدى روعك وارفع عنك الفزع والخوف وأخبرنى أيما هى الملكة مريم فى هؤلاء الجوار (قال الراوى) فرمقهم الخزروف وحققهم بالنظر وناداه يا مولاى وحق العزيز الغفار ان الملكة مريم ما هى

بين هؤلاء الجوار وحاشا تلك الملكة أن تمثل الا بنساء الملوك الكبار وهى ملكة وزوجة ملك صاحب قلاع وأمصار فتبسم من كلامه الملك الجوفران وطاب قلب الخرزوف عند تبسمه وأيقن بالامان *(قال الراوى)* هذا كله يجرى والغضنفر وأخته عنيترة بنت عنتر ودريد بن الصمة وبقية الفرسان الاخر قد حاروا فى أمورهم وتقطعت من شدة الخوف من القتل ظهورهم بعدما كانوا قد صبروا أنفسهم على مرارة القتل والهوان هذا والسياف واقف على رؤسهم ينتظر أمر الملك الجوفران *(قال الراوى)* وانه أستدعى بأمه فى تلك الساعة فحضرت كما أمر فى جملة عشر جوار أخر وقد لبست الجميع حلل الافتخار ووقفوا بين يدى الملك الجوفران بذلك الزى والملبوس بعدما سلموا وخدموا فأمرهن بالجلوس ثم التفت الى الخرزوف وقال له بعد ان قعدت الجوار من الوقوف أيهم الملكة مريم بين هؤلاء الجوار فقال له آمرهن أن يكشفن لى وجوههن لاتحقق الاخبار *(قال الراوى)* فأمرهن الملك بذلك فكشفن عن وجوه مثل الاقمار فأطال الخرزوف فى وجوههن الانتظار الى أن أتى تسعة من الجوار وآخر ما كشفت وجهها الملكة مريم فكان وجهها شمس النهار (قال الراوى) فلما نظر اليها صرخ مل ء رأسه وقد زال عنه الخوف والفزع وكاد من شدة الفرح أن يغشى عليه ويقع وقال له يا ملك وحق البيت الحرام وبير زمزم والمقام هذه هى الملكة مريم زوجة عمى عنتر البطل الهمام *(قال الراوى) فعند ذلك أمر الملك لبعض البطارقة الوقوف أن يتقدموا ويحلوا وثاق الخرزوف فعند ذلك قام قائما على قدميه وتقدم الى قدام الملك الجوفران ووقف بين يديه فنظرت اليه الملكة مريم بعيون أحد من السيف فانكب على يديها وهو بقلب ملهوف وصار يقبلهم وقد استقر منه فؤاده المرجوف *(قال الراوى)* فعند ذلك دمعت عين الملك الجوفران وأخذته حنة الاخوة ولحقته الرعدة والرجفان وطار قلبه الى أخوته عنيترة والغضنفر فقام فى عاجل الحال بنفسه وهو مثل الاسد القسور وقد أخذ السيف من

يد

يد السياف فعند ذلك أيقنوا الاسارى بالتلاف لانهم لم يعرفوا ما وقع بين الملك وبين والدته من الاختلاف والى ما ذكرناه من تلك الاوصاف ثم انه تقدم الى أخوه الغضنفر وحل كتافه من يديه وفك قيده من رجليه وكذلك فعل بعنيترة وأمرهما بالقيام فقاما على أقدامهما وهما كأنهما أقاما من مقبرة وقد قبض على يد الملك الغضنفر بيده اليمنى وقبض على يد عنيترة بيده اليسرى وأجلسهما معه على السرير وقد نال بذلك الفرح والاستبشار ثم انه قدم بقية الاسارى الى بين يديه وقد أزال من عليهم الوثاق والقيود وهم لا يعلمون الى ذلك سبب محدود وكل منهم قد أقرت بذلك عينيه ولا يعرف من اين الفرج أتى اليه ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك الجوفران قال لامه يا أمى اشرحى حديثك لهؤلاء الفرسان كما حدثتيني فى الاول بهذا الشان فاخبريهم كما أخبرتيني ليزدادوا بذلك يقين وبرهان ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك شرعت الملكة مريم تحدث دريد والجماعة المأسورين بلسان العربى الفصيح وأخبرتهم بحديثها من اوله الى آخره وما كان من ذلك القول الصحيح والخرزوف يصادقها على ذلك بالتصريح وفى آخر الحديث قالت ان هذه الاميرة عنيترة وأخوها الغضنفر اخوات ولدى هذا من أبوهم عنتر ﴿قال الراوى﴾ وأعجب ما فى هذا الديوان ان الخرزة الذى كنا ذكرناها فى كتابنا من قديم الزمان الذى كانت أعطتها مريم لعنتر عند دخوله القصر من أجل الطعام المسموم لما جرى بينه وبين الخرزروف ما جرى من ذلك الكلام المعلوم وكانوا ثلاثة فأعطت لعنتر واحدة وللخرزروف واحدة وادخرت الثالثة عندها الامور تكون عائدة وكان عنتر لما تزوج بالقناصة وجرى له ما جرى أعطاها تلك الخرزة وأوصاها بحفظها وأعلمها بما يكون من منافعها فلما وضعت بنتها عنيترة بنت عنتر وظهر منها ما ظهر خافت عليها من مكايدة العرب وعواقبها فوضعت تلك الخرزة فى عنقها وأوصتها عليها وأعلمتها بمنافعها ﴿قال الراوى﴾ وفى تلك الساعة نظرت الملكة مريم بعين الخبرة فرأت الخرزة

فى رقبت عنيترة فصاحت صيحة عالية وقالت قدبان لى فى هذا الوقت الامر الصحيح فقال لها وما هوهذا التلويح فقالت ان الخرزة الذى أعطيتك اياها وامرتك ان تجعلها فى عنقك لتقيك من كل أمر حذر كنت أعطيت لأبوك عنتر خرزة مثلها وها هى فى عنق أختك عنيترة وقد بان الحق وظهر ثم انها قالت لعنيترة يا ابنتى أرينى هذه الخرزة التى فى عنقك لعل ان يكون كمال اظهار الحق ببركتك ✽(قال الراوى)✽ فنزعتها عنيترة وناولتها للملكة مريم وسألت من الخزروف على الخرزة التى ذكرها تقدم وما صنع بها من الامر المحكم فحدثها بحديث زواجه بامه الضمريه وكيف أعطاها لها ليلة دخوله عليها وما جرى لها من تلك الامور المقضيه وكيف كبت حالتها وما حل بها من السبى وما أصابها من الرزيه ✽(قال الراوى)✽ وما جرى من هذه الامور وفى تلك الساعة أيقن الجوفران وتحقق انه ابن عنتر فقام قائما على قدميه وقبل وجوه اخوته عنيترة والغضنفر وبان الامر له ولكل من فى ذلك المقام حضر ثم انه عانق دريد وبنى عمه وكذلك بنى عبس السادات وفى دون ساعة دقت الكوسات ونعرت البوقات وزادت الضجات وعظمت المسرات فسمعوا بنى عبس أصوات الزمور وحس النقارات وصهيل الخيول الصافنات فركبت الرجال والفرسان وركب عمرو ذو الكلاب واخته الهيفة وجميع الشجعان وركب زيد بن عروة والديال بن الغضبان وقالوا ما هذه الفرحة التى فى جيوش أهل ملة الصلبان الا قد قتلوا أصحابنا وسقوهم كأس الهوان ✽(قال الراوى)✽ ونظرت لافرنج الى خيل العرب وقد ركبت والرجال على القتال قد عولت فأخبروا الملك الجوفران بما قد جرى فأمر بن عمه الخزروف أن يسير الى بنى عبس ويعلمهم بما جرى وان الملك الجوفران قد طلع بن عنتر وهو أخو عنيترة والغضنفر فما كانت الا ساعة كلمح البصر حتى صار الخزروف بين يدى عمرو ذو الكلاب وهو كأنه النار ذات الشرر فوجده طائر العقل وهو على غاية الخوف والحذر فناداه يا أمير يزول عنك ويطمئن قلبك

فاشكر اله السماء على ما أوصلك من الفضل والنعمة فقال له عمرو أكشف لنا صحت الخبر وازل عن قلبي هذا الفكر هل خلصا من الاسر عنيترة والغضنفر فقال له نعم يا أمير الامراء وأبشرك ببشارة أخرى تسرك وتزيل عن قلبك الضرر وتبقى في الكتب تورخ وتذكر وقد صح الخبر بأن الملك الجوفران قد ظهر ابن عمى عنتر وهو أخو عنيترة والغضنفر فلما سمع عمرو ذو الكلب هذا الخبر قد لحقه العجب والفكر فقال أخبرنى عاجلا وأوضح لى عن هذا القول المشتهر فقال له الخزروف هو صحيح ما قلت لك وحق البيت العتيق المطهر وحق زمزم والمقام والركن اليمانى والحجر قد صح أن الملك الجوفران أخو أولاد عمى عنيترة والغضنفر وقد بان هذا الامر واشتهر ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الخزروف ابتدا وشرح لعمرو ذو الكلب القصة بما جرى وكان وأوضح له عن طريق الهدى والبرهان فزادت لسماع تلك القصه أفرحه وكثرت مسرته وزاد انشراحه واشتاق الى رؤية أم الزعازع عنيترة وأخوها الغضنفر والجوفران ومن معهم من الفرسان فركب مع الملك زهير وزيد بن عروة وسبيع اليمن والديال بن الغضبان وسادات بنى عبس ومن معهم من بنى قضاعة الشجعان وركبت الهيفة قناصة الرجال وقد اشتاق قلبها الى رؤية ابنتها أم الزعازع قتالة الابطال وساروا الى ملتقاء بعضهم بعض بالسرور والاقبال بعدما كانوا عازمين على الحرب والقتال ولم يزالوا سائرين والخزروف امامهم حتى وصلوا الى سرادق الملك الجوفران ورأى الغضنفر الى الملك زهير والى عمرو ذو الكلب وسادات بنى عبس وعدنان وقد أقبلوا ووجوههم متباشرة بالقبول والرضوان فقال للجوفران يا أخى هذا الملك زهير سيد بنى عبس وغطفان وهذا الذى بجانبه الامير عمرو ذو الكلب سيد بنى قضاعة الى حد بلاد السودان فعند ذلك قام لهم الملك الجوفران وتلقاهم بالفرح والهناء والاطمان وخدم الملك زهير وتلقاهم أحسن الملتقاء وقد زال عن الطائفتين تعب الحرب والبؤس والشقاء وكذلك عنيترة والغضنفر

التقوا بعمرو ذو الكلاب ومن معه من الفرسان واخته قناصة الرجال وظهر الحق وبان الكتمان وزال الشك واتضح البرهان وجلس الملك زهير الى جانب الملك الجوفران بعد ما سلمت الفرسان على الفرسان ثم انهم اجتمعوا فى السرادق وحققت لهم الحقائق وبلغوا من بعضهم البعض المراد وزالت من قلوب الطائفتين الادغال والاحقاد *(قال الراوى)* هذا والملك عمرو بن الحارث الوهاب واخته حليمة على أسوار دمشق وقد أخذهم الخوف وهم يظنوا ان بنى عبس قد اصطلحوا مع الافرنج على تخليص الاسارى وضاقت صدورهم وبقوا متبكين فى امورهم حيارى وما خفى حالهم على الغضنفر فأرسل اليهم من يبشرهم ويعلمهم بصحة الخبر *(قال الراوى)* فسار الخزروف أبو الافراح الى تحت السور ونادى وأعلن بالفرح والسرور وصاح بأعلا صوته أنا الخزروف بن شيبوب وقد أتيتكم بما يسر القلوب ويزيل الكروب فعند ذلك فتحوا له الباب وفى عاجل الحال أحضروه الى بين يدى الملك عمرو بن الحارث الوهاب واخته حليمة قد أخذها من ذلك الامر الذى حصل الخوف والارتياب وكذلك أخوها عمرو ومن له من الحجاب وقد أوقدت فى قلوبهم نار الالتهاب فقال لهم الخزروف يا ملوك نحن نهنيكم بالفرح والسرور وزوال المحذور ثم انه ابتدأ وحدثهم بجميع الامور فهنالك دقت الكوسات ونعرت البوقات وزادت الفرحات وعظمت المسرات وأمر الملك عمرو بفتح أبواب البلد وأظهروا الزينة والسلاح والعدد وفرقوا الصدقات على الايتام والارامل وإزال عنهم المخاف وفى عاجل الحال ركب الملك عمرو فى خواص قومه وحجابه وقرائبه وأصحابه وساروا الى خدمة الملك الجوفران وأخيه الغضنفر وأختهم أم الزعازع الاميرة عنيترة بنت عنتر وقد لبسوا ألوان المنسوجات من الثياب والتقوا الاوث فى أطراف الخيام والاطناب وسلموا على بعضهم البعض بعد ما حققت الحقائق واستقر بينهم الحال وانقطع القيل والقال *(قال الراوى)* وكان السبب فى طلوع الجوفران وفى هذه الاحوال

وأصل هـذا القتال سبب عجيب وأمر مطرب لانه هو واخوته أصل هذه السيرة وأخبارهـا وفروعها وفى سبب أبيهم كان توقيعها حتى تكمل لذة المكال بوقائعها وبعد ذلك أن عنتر لما كان أتى الى عند الملك قيصر وفعل مافعل من ذلك الامر الذى تحرر وكيف أهدى له الجارية مريم وبات معها ليالى عديدة كما تقدم وكانت قد حملت من عنتر وما أراد أن يظهر له منها فى بلاد الروم ولد ذكر وكانت مشيئة الله وارادته أقوى وأقدر وأذن الله تعالى أن يظهر له ولد ين ذكور ويكون لهـما أمر مشهور ويحدث من بعد الامور أمور وأرسل شيبوب الى خلفها حتى انه يقتلها وكان الله تعالى قد أراد بسلامتها وضربها شيبوب بالخنجر ولم تعلم ضربته فيها بالخنجر وأخذها كوبرت ونزل بهـا فى المراكب وسافر بها الى جزيرة الكافور ونواحيها واتفق ان عنتر سافر هو وهرقل بن الملك قيصر الى جزيرة الكافور وقلعة البلور وقتل الملك المليمان وكذلك ابنه سرجوان وملكوا ابنته الملكة مرعان وجرى له فى تلك الديار ماقد شرحناه من الكلام وأعطى لهـذه الجارية مريم الزمام وسار بعد ذلك الى جزيرة الوحات وملكها بعد ماقتل الملك صافات وكانت غيبة عنتر عشر سنين معدودة وأشهر معلومة مفهومة فوضعت مريم هذا الولد بعد مضيه الى جزيرة الواحات وكان الملك كوبرت قد تخلف عن المسير معه ليستعد لهم العلوفات ويلحقهم بها الى مدائن الواحات فولدت مريم هذا الولد وهو أسمر زائد السمار وكان يضرب لونه الى حار (قال الراوى) فلما نظر الملك كوبرت الى صورته نفر قلبه من رؤيته وقال لهـا يامريم أنا أبيض أشقر وأنت كذلك بهذا الذى وأ كثر فمن اين هذا الاسود وصل لك وحق المسيح ان لم تخبرينى والا قتلتك فقالت له ياملك اعلم ان هذا الولد من عنتر بن شداد الذى أنعم على وعليك بهذه البلاد فقال لها كوبرت صدقتى فى قولك وأنا أعلم انهم عليه غصبوك ولكن هـذا الولد ان خليناه عندنا نصير به معيرة بين الملوك فقالت له كيف يكون التدبير فقال لهـا نقتله ونستريح قلوبنا من معيرته عند الكبير والصغير فقالت له ان كان

ولابد فامهل علي حتى أرضعه وبعد ذلك افعل ماتريد فان قلبي ليس راضي أن يرميه ولا يضيعه فلعل قلبي بعد الرضاع أن يسلوه وعنه يرجع ﴿قال الراوي﴾ هذا يجري وصاحب الامر يدبر الامر بحسن الارادة وهو الذي يكفل الولد في بطن أمه الى حين الولادة فأخذت الطفل الى حجرها وألقمته ثديها وارضع وقع لها عينيه فوقعت الحنة في قلبها عليه وكثر عليه تأسفها وزاد لاجل قتله تلهفها وتناثرت دموعها على وجنتها وبكت بوجدها وحرقتها نظر اليها الملك كوبرت وكان يحبها فتقدم اليها ولاعبها وزاد في قربها وقال لها ما أبكاك يا ملكة وقاك الله تعالى كل بؤس وهلكه فقالت له اعلم ان بكائي على هذا الطفل الصغير وما عنده علم من التدبير وهو على كل حال ولدي وقطعة من كبدي وانا يا ملك ما يهون على قتله من أجل أمرين أحدهما انه كما تعلم ولدي وقلبي قد تعلق به والثاني ان عنتر بن شداد أمير بني عبس وقرادان رجع من جزيرة الواحات وعبر علينا فما يخفى هذا الامر عنه وربما أخبره بذلك بعض الجوار والخدام ليتقذ به عنده وجها وأنت أعرف الناس به من دون العباد فان قتل ولدي فهو كان يخرب هذه البلاد ويسبي النساء ويقتل الاولاد وان كان ولابد من قتله فاقتلني أنا الاخرى قبله ولا توريني قتله ﴿قال الراوي﴾ ثم انها بعد ذلك أكثرت من البكاء والانين والاشتكاء وكان الملك كوبرت يحبها كما ذكرنا في الاول فرحمها لما رأى دموعها تجري غزار وخاف من عنتر ومعرفته به انه بطل كرار فأبقى على الطفل الآثار فأخذته مريم وسلمته الى الدادات وأقامت له السراري والجوار المرضعات ولم يعلم بقصته أحد لا أبيض ولا أسود ولا يقولوا الا انه ابن الملك كوبرت ولم يزل عندها حتى مضى عنتر الى ما كان فيه وقضى الاشغال وعاد من الحرب والقتال وكانت غيبته ثلاث سنين كوامل لانه كان قد مضى وتركها حامل ولم يعلم بشيء من تلك الامور ولم يدري بما في الكتاب مسطور ولما رجع من سفرته كان الولد عندها وفي خباها مدخور ﴿قال الراوي﴾ ولم يزل هذا الولد يكبر ويمشي ويد القدرة تكنفه

كلما قام ومشى وهو يربى حتى ركب الخيل والجنائب وبقى حوله المماليك والبطارقة والحبائب وكل من يخدمه ويتقرب له ويسير فى خدمته له راغب ولم يزل على ذلك الحال حتى مات الملك كوبرت وشرب كأس الوبال وشاعت أخبار موته فى تلك الديار والجزائر العربيات فعصت عليهم أهل جزائر الواحات وتجهز ملكها فى عالم عظيم وسار يطلب جزيرة الكافور وقلعة البلور وما حواليها من الاقاليم ووصلت الاخبار الى الملكة مريم فخافت من الحصار فأحضرت من أصحاب الملك كوبرت المقدمين الكبار واعلمتهم بما كان من أهل جزيرة الواحات وما بلغها من المقال ثم انها أخذت رأيهم فى أمر القتال فرأتهم كالحطب وترى وهم لها طائعين ولقولها سامعين فأمرتهم ان يأخذوا اهبتهم الى السفر وخرجت فى جيشها وعساكرها وهى على غاية من الحذر وأخرجت الاموال وأنفقت على الرجال واستخدمت الابطال وكان ولدها الجوفران معها صغير ولكن همته كانت عظيمة ونفسه نفس ملك كبير ﴿قال الراوى﴾ ولم تزل الجيوش سائرة وهى مع بعضها بعض متبادرة وهى طالبة فسيح الارض وهى سائرة طولا وعرض الى أن وقعت العين على العين وهمت بالحملة على بعضها بعض الطائفتين وأرادوا أن يلتقوا الجيشين فمنعتهم من ذلك الرهبان والقسس ودخلوا بينهم بالصلح وطيبوا منهم النفوس واستقر الامر بينهما بأن الملكة مريم تحمل الاموال فى كل عام وأن يبطلوا الحرب والصدام ويكون حمل المال الى الملك شمروط ابن دامات الذى هو فى ذلك الزمان صاحب جزيرة الواحات فلما تقرر الامر واستقر عاد الملك شمروط طالب بلاده وقد كثرت عشائره وأجناده وقد ضيق على الملكة مريم البلاد وقد دانت له العباد ﴿قال الراوى﴾ وقد نشأ الجوفران نشاء الفرسان وتفرس على ظهور الصافنات فى الميدان وعلم على الشجعان وجندل الاقران وارتفع ذكره فى بلاد الافرنج الخاص منهم والعام والدان وخافت منه جميع عبدة الصلبان وأهابوه الملوك السادات وحملوا اليه العقارات حتى لم يبق عليه الا جزيرة الواحات ﴿قال الراوى﴾

وان الملك الجوفران كان جالس فى بعض الاوقات واذا قد جرى بين يديه ذكر مدينة الملك صافات وانه كان يحكم على مدينة الواحات ولما قتل دومات تولاها من بعده أبو الملك كوبرت وقعدت تحت حكمه سنين معدات ولما مات تقلب عليهم الملك شيروط بن دامان وملكها منهم غصبا بعدما كان فيه سابا نبا فأخذها بغير استحقاقا قال فلما سمع الملك الجوفران هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وأمر فى الحال بتجهيز العشائر واخراج الدساكر وسار يفرق عليهم الاموال وفرق عليهم آلة الحرب والقتال بعدما جمع الفرسان والابطال وسار طالب جزيرة الواحات ومن حوله الحجاب والسادات وهو فى عزمة قوية وهمة زائدة فوصلت أخباره الى الملك شيروط بان الملك الجوفران واصل اليه وقادم عليه فلم يعتنى به ولا عنه سأل وأمر الآخر فى عاجل الحال بتبريز العشائر واخراج الدساكر وكان ذلك فى أقل من سبعة أيام وذلك من كثرة ماعنده من الخيرات والانعام وسار وابين يديه الابطال والاقران ليلتقى بهم الملك الجوفران (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى التقت العشائر بالعشائر والدساكر بالدساكر وقد ملؤا الارض طولا وعرض وتوسعوا فى تلك الارض فعند ذلك قد قاتلوا قتالا شديدا ماعليه من مزيد وتقابلت الشجعان وأوسعوا فى الميدان وسالت دماء الاقران وصارت الارض وردة كالدهان مما سال عليها من أدمية الفرسان وتقتلوا حتى جرى الدم وسال وساح وتكسرت العدد والسلاح وتطاعنوا بالقنطاريات وتضاربوا بالصفاح وامتدت الجثث فى البطاح وسمحت الفرسان بالارواح بعدما كانوا بها شحاح وعدموا أيام السماح وتقدم الشجاع وطاح وجال الفارس الجحجاح وتأخر الجبان وطلب الهرب والرواح وتمنى أن يكون له جناح ولم يزالوا فى حرب أكيد وطعن شديد يفر منه البطل الصنديد الى ان أفرق بينهم الليل ورجعت الرجال والخيل وانفصلت الطائفتين وتحارسوا الفريقين الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك ركبوا الجرد القداح وعولوا على الحرب

والكفاح

والكفاح وقد جرد والبيض الصفاح هذا والملك الجوفران قد سطى على أعداه وبلغ منهم مناه والتقى بالملك شهروط فى وسط المعمعة وهو ينكس الابطال ويطعن فى صدور الرجال طعناية قصر الاعمار الطوال فحمل عليه حملة بطل قد لا فى الابطال وقاسى الاهوال ولاصقه وضايقه وسد عليه طرائقه وضيق عليه الربا والبطاح وصاح فى وجهه أعظم صياح وضربه بسيفه وادار اسه عن جسده قد طاح وجرى دمه على الارض وساح وحمل بعد ذلك على صاحب العلم الاخضر والصليب الجوهر وضربه بالسيف على صدره خرج يلمع من خرزة ظهره فوقع الى الارض وقد مال العلم فاخذه الجوفران قبل أن يقع على الصحصحان وبعد ذلك سار يطعن به فى صدور الفرسان ويرمى رؤسهم من على الابدان وحملت من خلفه بطارقته والشجعان وعاونوه على الحرب والطعان وكان لهم ساعة تقشعر منها الابدان وتعد من ساعات الزمان مما قد سال فيها من أدمية الفرسان هذا والعشائر لما نظرت الى قتلة ملكهم شهروط وقد صار مرمى فى الميدان علموا ان ليس لهم بالجوفران ولا بجيشه طاقة ولا بحربهم استطاقة فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ومنهم من ترجل الى الملك الجوفران وطلب منه الامان فأمر برفع السيف عنهم ولم يقتل أحدا منهم وقد ملكوا أموال الملك شهروط وانقاله ودخلت تحت طاعته جميع رجاله فعند ذلك فرق الملك الجوفران الخلع على الابطال وقسم عليهم تلك الاموال وأوهبهم النوق والجمال وألف قلوب الرجال ورحل طالب جزيرة الواحات وقد رفعت على رأسه الاعلام والرايات ودقت بين يديه النواقيس باصوات مرتفعات ولم يزل كذلك حتى وصل الى جزيرة الواحات ودخلها فى يوم مشهود وقد زاد به الفرح والسرور بما ناله من تلك الامور وترجلت بين يديه عشائره وأرباب دولته ودخل القصر وجلس على كرسى مملكته وقد زادت فرحته وقعد بعد ذلك يدور فى تلك الاماكن والقصور واخذه الفرح والسرور وطابت له تلك البلاد ودانت له العباد فعند ذلك أرسل خلف والدته الملكة مريم

فلما وصلت الى بين يديه فرحت له بما وصل اليه من تلك النعم وكان الملك
الجوفران يتفرج فى تلك الايام فى قصر الملك الاسكندر وهو يدور
فى جوانبه وينظر مافى المكان من عجائبه ومعه وجوه قومه وأصحابه
وأمرائه وحجابه ونوابه وكان الجوفران اتخذ له من جزيرة الواحات وزيرا عاقلا
وكان رئيسا فاضلا فانتهى الملك الجوفران وذلك الوزير معه وهو يتفرج
ويتأمل فى حيطانه ونواحيه وأركانه ولا يمر بمكان ولا بباب ولا بجدران الا
ويسئل الوزير عنه وهو يخبره بأموره وما كان منه وماز الوايتنقلون حتى
وصلوا الى قبة الاقفال الذى قدمنا ذكره فيما سبق لما حضر اليه عنتر الى
ذلك المكان ولم يقدر على فتحها من دون الجماعة الاعنتر كما اتفق لما وجد
الفرس الذى هو ملك الجن وفكه مما كان فيه من القيود والاغلال واعانه
على أخذ ثار ولده الغضبان لما وقع له ما وقع مع الجن من الحرب والقتال
كما تقدم ﴿قال الراوى﴾ فلما وصل الجوفران الى هذا المكان فأمر بفتحه
فى عاجل الحال فازالوا ما عليه من الاقفال وفتحوه ودخل الملك الجوفران
لينظر من بعد فتحه ما قد تجدد فنظر الى صورة راكبة على ظهر فرس أسود
فحار الجوفران من امرها وسأل الوزير عن تلك الصورة وسبب وضعها
فأخبره الوزير بخبرها ثم انه دخل مخدع من جملة المخادع فوجد فيه صندوق
كبير ففتحه فوجدا فيه ثوب حرير روفى وسط ذلك الثوب لوح ذهب وعليه
نقوش وكتابة يكاد نورها يلهب فقرأها الوزير فرأى فيه لمن هذه المدينة وانها
تقع على يد فارس أشبه الخلق بهذه الصورة وهذا أحاديث عن الاقدمين
منقولة ومخبورة (قال الراوى) ثم ان الوزير جعل يشرح للملك الجوفران
ما كان من قديم الزمان وما جرى فى هذا المكان لعنتر وحديث هرقل بن
الملك قيصر وأخبره عن أصل مسيره الى تلك الجزائر وكيف كان حديث
كوبرت وقتل عنتر لعمه الخلنجان وايضا أعمامه سوبرت ونوبرت والملك
الليلمان وكيف قتل بعده ابنه سرجوان وكيف تزوج هرقل بعد ذلك
فى ابنته الملكة مريمان لما دخل الى هذا المكان وكيف شد مع الملك قيصر

وفعل تلك الفعلات وقتل الملك صافات وملك جزيرة الواحات وكيف سار
بعد ذلك الى الجزائر الاندلس وحدثه بكل ماجرى من تلك الحكايات
الماضيات قال فلما سمع الجوفران ذلك القول من الوزير قال له أيها الاب
الكبير وهذا عنتر بن شداد أين يكون من البلاد حتى انني أسير اليه وأقتله
وأخذ منه بالثار وأ كشف بقتله عن ملة النصرانية العار فقال الوزير أيها
الملك هذا فى بر أغبر ومسلك وعر أقفر يقال له بر الحجاز وهو كثير الخطر صعب
المفاز فقال له الجوفران والطريق من أين الى تلك البلدان فقال له الوزير من
بلد يقال لها دمشق الشام فقال الجوفران دمشق لمن تكون من الاحكام
فقال له الوزير هى من تحت حكم قيصر ملك الروم *(قال الراوى)* فعند
ذلك حلف الجوفران وشدد فى الاقسام وقال وحق الانجيل والصلبان
ومارى حنا المعمدان لاعدت أشرب مدام ولا أتلذذ بمنام حتى انى أخرب
القسطنطونية وأقتل الملك قيصر وأملك الشام وأرحل بجيوشى بعدها
الى الحجاز وأقطع أهله بحد الحسام الصمصام وأقتل هذا الذى ذكرتولى
اسمه عنتر بن شداد وأأخذ بثارعمى ومن قتل له من الاولاد وأهلك من لنا
من الاعداء والحساد *(قال الراوى)* ثم الملك الجوفران لما فرغ هو
والوزير من ذلك المقال أمر جيشه بالرحيل ودق كوس التصويل وأخذوا
أهبتهم وامتثلوا مقاله ومامضى على ذلك الامر الامقدار عشرين يوم حتى
فرغ من جميع أشغاله وسار فى دساكره وأبطاله وسافرت والدته الملكة
مريم فى صحبته وذلك خوفا عليه وشفقة منها له ولكن لم تعلمه بشئ من
قصته حتى تعرف آخر فعلته قال ولم يزل الجوفران سائرالى أن وصل الى
شاطئ البحر وأطراف الجزائر ونزل فى المراكب بجميع ماحازمن تلك
الدساكر وقد طاب لهم الريح باذن العزيز القادر حتى وصلوا الى ساحل
طرابلس وطلعوا الى تلك البرارى كما قدمنا ووصلوا الى مدينة الشام
كما ذكرنا وملكوا البلاد على حسب ماشرحنا وسارت الملكة حليمة الى
بنى عبس واستجارت بهم فأجاروها كما وصفنا وساروا فى صحبتها وجرى

منه الامر والقصة ما قد قدمنا وعرف الجوفران أخته عنيترة والغضنفر وانهم الثلاثة أولاد عنتر وعدنا الى سياقة الحديث والخبر (قال الراوى) ولما اجتمعوا الملوك فى السرادق عند الملك الجوفران وخلع عليهم الخلع الغالية الاثمان وأركبهم الخيل البحرية التى لم يوجد مثلها عند الملك كسرى أنوشروان وعرفه أخيه الغضنفر بموتة أبيهم عنتر ثم انه شرح له ما كانوا عليه عازمين وعلى أخذ ثاره قادمين فأتت اليهم حليمة واستجارت بهم فاجاروها وأحكت الى الملك الجوفران كيف أنواعها وفى صحبتها بنى عبس لاجل ينصروها وأخبرته بالقصة التى جرت وأيضا سأل المقدمين عن ابيه عنتر فأحكوا له ما وقع به من الامر المنكر فعند ذلك حلف الجوفران وشدد بالاقسام وقال لا آخذ عظام أبى وأتركها فى نطع قديم وخيط عليها وحلف انه ما يدفنه دون ما يأخذ بثاره من سائر العرب الذى قتلوه ويأخذ بثار بنى عبس من القبائل الذى أجتمعت عليهم لما فقدوه قال فلما سمع الملك الغضنفر كلام الجوفران أخيه أمر باحضار الثوب الذى عليه دماه عنتر أبيه وكان دماه عنتر من يوم ان قتل لا يفارقهم لا فى السفر ولا فى حضر فعند ذلك احضروه فى الحال بين يديه وهو فى ثوب أديم مخيط عليه فبكى الجوفران وتباكت الرجال من حواليه وتصارخت الرجال تقربا اليه هذا وشيخ العرب دريد قد ناله أعظم منال وكذلك عمرو ذو الكلب فعل مثل ذلك الفعال فعند ذلك نهض الجوفران قائما على رؤس الملوك والفرسان ونادى ياملوك الزمان أشهدوا على انى وحق مكون الاكوان وخالق الانس والجان لا بقيت أذوق شراب ولا ألبس من الحرير أثواب حتى أخذ بثار أبى من جميع العربان وأول ما أبدوا بهؤلاء الذى يقالوا بنى نبهان ثم انه أشار الى شيخ العرب دريد بن الصمة دون من كان حاضر فى ذلك المكان لما ظهر عليه من الكبر وعلو الشأن وقال له ياشيخ أكتب لى أسماء القبائل الذى اجتمعت بعد قتل أبى على هلاك بنى عبس حتى أسير اليها وآخذ منها بالثار ولو وصلت الى مطالع الشمس قال فعند ذلك ابتدا الامير دريد وجعل

يذكرله

يذ كرله قبيلة بعد قبيلة ويخبره عنهم الفارس والراجل وأول ما كتب بنى جشم وهوازن ولم يكن فى ذلك الامر متهاون لانهما كانت شاركت العرب فيما فعلت وكان دريد نهاها عن ذالك فما انتهت قال ولما فرغ الجوفران ودريد من كتابة القبائل ولم يفوته منهم لا فارس ولا راجل فعند ذلك استدعى الجوفران بخازن السلاح فحضر الى بين يديه فامره ان يعرض خزائن السلاح عليه وقال له آتينى بالدروع الخص الذى هى برسمى فاحضرت اليه وكانت مغموسة بالذهب الاحمر وقال لهم آتونى بالدروعه التى بخزانتى فى عاجل الحال أحضرت فصار يأخذ منها درعا بعد درع ووجهه لذلك الفعل عابس وصار يتركها فى الخل فتصير سود مثل الليل الدامس وكذلك فعل بالخود وسائر الملبوس ولاردهذا كله يفعله والملوك شاخصة بأبصارها اليه ولم يقدر أحد ممن ينظر هذا الفعال ان يسأله عليه ثم انه بعد ذلك أدعى بالثياب الكتان المصبوغة أسود وفصل منها أثواب وعما ثم تكفى عرب البر والقفا فقد ثم انه بدئ بنفسه وخلع ما كان عليه من الملبوس النفيس ولبس عوضا عنه ثوب خام أسود وعمامة سوده وغير حالته حتى بقى فى حال مهول وحلف برب مكة والحجر الاسود انه مابقى يخلع لباس السواد حتى يأخذ بثار أبيه عنتر بن شداد قال فأول من وافقه على ذلك الغضنفر وأخته أم الزعازع عنيترة بنت عنتر ولبسا كما لبس من السواد وتظاهروا كلهم بلبس الزرد ومن فوقه أثواب السواد وكذلك فعل ياسر بن ميسر وبن مازن ليث الميدان وزيد بن عروة والديال بن الغضبان وكذلك فعل مثلهم عمرو ذو الكلب ابن مقرى الوحش سبيع اليمن وكذلك وافقهم الملك زهير ومن معه من بنى عبس الشجعان وتقدم دريد بن الصمة ليوافق القوم على ماهم فيه من تلك العلة فأقسم عليه الجوفران انه لا يفعل لا هو ولا بنى عمه شئ من تلك الملة وقال يابو النظر أهل الميت أولا بالبكاء ولا بهذا الفعل نريد منك جزاء ثم ان سائر الملوك لبست وسائر الصغار والكبار حتى لبسوا السواد وقد تظاهر ثم ان الملك الجوفران نصب له بيتا من الشعر الاسود الحايل وبنى

عبس وبنى قضاعة جعلوا مضاربهم كذلك وفعلت الافرنج جيوش الملك الجوفران مثل ذلك وبعدها أقاموا على دمشق عشرة أيام وبعد ذلك عزموا على الارتحال فبيناهم على ذلك الحال واذا بغبار رومية قد طلعت واعلام قيصرية قد بدرت وكانت هذه الغبار غبار الملك هرقل بن الملك قيصر وكان السبب فى مجيئه الى هذا المكان عمرو بن الحارث سيد بنى غسان وذلك انه لما صح عنده ان الملك الجوفران بن عنتر فارس بنى عبس وعدنان وقد اصطلحوا وطابت قلوبهم بذلك الشان فانفذ على اجنحة الطير وأعلم الملك قيصر فخار قيصر هو وأولاده من ذلك الخبر وأخذه الوسواس والفكر لانه كان حمل على قلبه هما عظيما بسبب الجوفران وظهوره من تلك الاقاليم فأنفذ ولده هرقل بهدية حسنة للجوفران وأخيه الغضنفر لما سمع انهما أولاد الامير عنتر وأنفذ اليهما يأمرهما بالمسير الى القسطنطونية ليكمل عهدايهما ويزيدهما من العطية قال فعند ذلك ركبت الملوك والامراء والفرسان الى ملتقى الملك هرقل من أبعد مكان وترجلوا له وعظموه ومشت بنى عبس وبنى قضاعة بين يديه واحترموه وهم كأنهم الغربان السود فسألهم الملك هرقل عن حالهم وما هم فيه من ذلك الحال فعند ذلك أخبره الملك عمرو ابن الحارث بحالهم والايمان الذى حلفها الجوفران فتعجب من فعالهم وبعد ذلك نصب لهم الملك عمرو سرادق عظيم من الحرير المختلف الالوان وأنزلهم بعد ذلك فى الميدان الى الصباح ولما كان من الغد استأذن الملك هرقل فى الدخول الى البلد وكذلك الجوفران وأخيه الغضنفر فأجابوه الى ذلك ودخلوا دمشق وادخلهم الى القصر وهو لم تسعه الدنيا مما حصل له من الفرح والنصر وبقى معهم الملك هرقل عشرة أيام وهم يرتعون فى حلل الافتخار والانعام وبعد ذلك أمرهم الملك هرقل بالمسير معه الى مدينة القسطنطونية فأجابوه بالموافقة الى تلك النية ورحلوا معه من الشام أولاد أبو الفوارس عنتر وهم الجوفران وعنيترة والغضنفر قال هذا والملك هرقل قد سير قدامه بشير يعلم أبيه الملك قيصر فلما بلغ قيصر ذلك الخبر فرح

واستبشر وأمر بتزين البلد وقد نادى المنادى فى المدينة أنه لا يبقى أحد من النساء ولا من الرجال الا ويطلع الى لقاء الملك هرقل وفرسان الحجاز وركب أيضا الملك قيصر فى عشائره وحجابه وسائر خواصه ونوابه وسار من البلد مسافة يوم كامل وهو بتلك العشائر والجحافل حتى لاح لهم غبار الملك هرقل ومن معه من الفرسان وانكشف عنهم الغبار وبانوا للعيان ونظروا بنى عبس الى رايات الملك قيصر والصلبان فأسرعوا الى أن تقربوا من الملك ودنوا من بعضهم بعضا الطائفتان فعند ذلك ترجل الملك قيصر وكذلك فعلت فرسان بنى عبس مثل ما فعل وترجلت أمر الفرسان والعربان وترجل الغضنفر وأخيه الجوفران وكذلك أم الزعازع وليث الميدان وياسر ابن ميسرة والديال بن الغضبان وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة وخفاف بن ندبة ودنار بن روق ومن معهم من الشجعان واقبلوا أكابر الجميع الى بين أيادى الملك قيصر ملك عبدت الصلبان وقبلوا رجله فى الركاب وأبدوه بالسلام والخطاب الا الملك الجوفران وأخيه الغضنفر فانهم لم يفعلوا ذلك الحال لان أنفسهم أنفس الجبابرة من الملوك العوال غير انهما أبداه فى أيديهما بالسلام فعند ذلك التقاهم أحسن ملتقى وتبسم فى وجوههم وقد أخذه العجب من زيهم وملبوسهم وسأل ولده هرقل عن ما هم فيه من ذلك السبب فأعلمه بما جرى منهم وما اتفقوا عليه فتعجب غاية العجب قال ولما فرغوا من السلام على بعضهم عادوا راجعين الى القسطنطونية وقد انتشروا فى فسيح تلك الارض حتى أشرفوا على المدينة وأمرهم الملك بالدخول الى البلد ليشرفوها وهم بتلك التجمل وتلك الزينة فابوا عن ذلك الشان وقالوا له يا ملك الزمان نحن علينا عهود وأيمان اننا لا نأوى الى الجدران ولا نستظل بسقف ولا حيطان ولا نحضر شرب مدام ولا نفارق لبس الحسام ولا نلتذ بمنام حتى اننا نأخذ من جميع العدا ثارنا بحد الحسام ونفنى جميع أعدائنا اللئام فقبل الملك قيصر عذرهم بذلك الشان وأنزلهم فى مرج على باب القسطنطونية وأخرج لهم الزاد والعلوفات

وأقاموا هذا والملك كل يوم بنفسه يخرج ويزورهم وينزل عندهم فى ذلك المرج ويسألهم عن أمورهم ويذكر لهم الامور التى تنشرح بها الصدور الى أن كان آخر يوم حضر الملك قيصر وباسطهم بالحديث وقد زاد لهم فى علو الشان فعند ذلك نهض الملك الجوفران قائما على قدميه دون كل الناس وقال للملك قيصر يا ملك الزمان ان أردت أنك تنفذ من نوابك من تختاره الى جزيرة الكافور وقلعة البلور وجزائر الواحات وأعالى المسامن تلك المقامات فأنا ما بقى لى حاجة بتلك البلاد ولا بقى لى رغبة فى سلطنة ولا حكم على أحد من العباد ولا بقيت أقدر على فراق اخوتى وبنى عمى الذى ينفرج بهم غمى وهمى قال ففرح الملك قيصر بذلك الكلام وأجابه الى ذلك المرام وفى عاجل الحال أحضر لهم الاموال العظام والثياب الفاخرة الذى يلبسوها حين يفرغون من ذلك الاهتمام والخيول المسومة والرايات والاعلام وقد أنعم عليهم غاية الانعام ثم ان الملك قيصر قال للملك الجوفران اعلم ان جميع خزائنك وأموالك التى فى البلاد فهى لك واذا طلبتها أرسلها اليك وأنا وأولادى وسائر بلادى بين يديك ولا نبخل بشئ منها عليك قال فشكره على ذلك الجوفران وعنترة والغضنفر وسائر العربان ثم انهم طلبوا الاذن فى الرحيل فعند ذلك قال له الملك قيصر اعلم يا فارس الزمان دع كل شئ على حاله الى أن تأخذ ثار أبيك وتواريه الى ترابه وارجع الى أهلك وبلادك لانك ملكتها بعد أبيك بقائم حسامك وما لنا الا رضاك رحم الله أباك *(قال الراوى)* فشكره على ذلك الجوفران وقبل يده وأثنى عليه ثم انهم طلبوا الاذن فى الرحيل فأذن لهم وأمرهم بسرعة التعويل فباتوا تلك الليلة الى الصباح فاهتموا وعزموا على الرواح وساروا طالبين بلاد الشام وقد سار معهم هرقل بن الملك قيصر لاجل وداعهم ثلاثة أيام وبعد ذلك حلفوا عليه وردوه بالعنف والارغام ولم يزالوا سائرين ليلا ونهار يقطعون تلك البرارى والقفار الى أن وصلوا الى دمشق الشام ونزلوا فى تلك المروج الفياحة واستقر بهم المقام وأخرجت لهم المملكة حلية الاقامات

والعلوفات

والعلوفات وأنواع الطعام وقد أكرمتهم هى وأخيها غاية الاكرام وبعد ذلك أحضر الملك الجوفران ماتحت يده من العشائر وجهز أحوالهم وأمرهم بالسفر والى ناحية بلادهم وأماكنهم وذلك المستقر ثم ان الملك الجوفران قال لوالدته الملكة مريم ياأماه هل تختارى معى السفر مع أخوتى عنيترة والغضنفر وان لم ترجعى الى جزيرة الكافور وتستقيمى على ملكك وما تحت يدك من الجيش حتى آخذ ثار والدى من العدا أقر بعد ذلك أهدى فقالت ياولدى وحق المسيح ليس لى على فراقك مصطبر لانك أنت والسمع والبصر ثم انهم مابعد ذلك عزما على المسير وسرعة التشمير الى ناحية بلاد الحجاز ليتجهزوا وأماهما عازمين من أخذ الثار غاية الانجاز فعند ذلك تقدم الغضنفر بين يدى أخيه الجوفران قبل أن يركب وقدم له مركوب أبيه كوكب والمهر غيهب وقدم له الدرع الداودى والدرع المذهب وقال له ياأخى هذا مركوب أبيك وهذا سيفه الضامى وسلاحه وأنت أحق به منى لانك أنت ولده الكبير وأنا الاصغر لان أختى عنيترة كانت قدمت لى ذلك وأنت أحق به منى فقال له الجوفران وحق من خلق الشمس والقمر وأنبع الماء من الحجر انى ماأركب جواداً أنت علوته ولا ألبس ثياب أنت لبستها ولا سلاح قد تقلدت بهافهاأنت والله أخى بن الامير عنتر أبى ومشاركى فى حسبى ونسبى ثم ان الجوفران تقدم ومسك ركاب أخيه الغضنفر وأقسم عليه برب الركن والحجر انه يركب ماأمر وبعد ذلك ركب الجوفران الآخر وركبت سائر العربان وبقيت العشائر وساروا طالبين البر الاقفر وقد نشرت الراية العقاب على رأس الملك زهير وقد حفت به السعادة والخير وقد عاد عز ملك بنى عبس كما كان وأقوم وأعظم صولة وأثبت وأعلى شان وساروا طالبين أرض الحجاز وذلك البر والمفاز لاجل أخذ الثار وكشف العار وعنيترة والغضنفر أفرح الخلق بأخيهم الجوفران الذى ظهر انه بن أبيهم عنتر وساروا والثلاثة كل واحد منهم مقدم جيشه * (قال الراوى) * ولما تمادى بهم المسير افتكر عمرو ذو الكلاب فى تقلبات الزمان ومايفعل

بالانسان وقد تذكر أيضا مصاحبته لعنتر وما كان فيه من ذلك الشان وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة تذكر ما كان لعنتر عليه من الايادى والاحسان فتجددت عليهم الاحزان ولكن زادت أفراحهم بأولاد عنتر هؤلاء الثلاثة قد سلاهم على ما هم فيه من الاشجان فعند ذلك حلف الملك الجوفران على شيخ العرب دريد بن الصمة انه لا يتعب نفسه معهم لاخذ الثار بل يسير من هنا الى دياره والاوطان فعند ذلك أجابه دريد الى ما أمر وترك عنده خفاف بن ندبة ودثار بن دوق والعباس بن مرداس ومن معهم من الناس وسار الى دياره الان أولاد عنتر جدوا المسير ليلا ونهارا يقطعون البرارى والقفار والسهول والاوعار وقد اتفق بينهم الحال اذا عزموا على الحرب والقتال يجعلوا غزوهم الى ديار بنى نبهان حتى يأخذوا منهم بثارهم ويقلعوهم غاية القلعان *(قال الراوى)* فبينما هم سائرين وفى سيرهم مجدين واذ قد ظهر من بين أيديهم غبار حتى أسود منه الاقطار وتكدرت ذلك البرارى والقفار من عظم ذلك الغبار الذى أذهل النظار وحير الافكار وأشغل الاسرار قال فتوقفت بنى عبس عن المسير فى ذلك البر والفدافد وقد اشتغلوا بذلك الغبار الذى نحوهم وبعد ساعة انكشف تلك الغبائر وتمزقت والى السماء تعلقت وبان من تحتها أسنة رماح تلمع وبيض تتشعشع وصهيل خيولهم قد ارتفع فعند ذلك أشار الملك الغضنفر الى عمه جرير وبن عمه الخزروف قال لهما اكشفا عن خبر هذا الغبار الطائر وذلك الجيش العابر وانظرا الى أين هم قاصدين فى هذا القفار وهم واردين من أى ديار وعودا الينا بيقين الاخبار قال فلم تكن الاساعة من النهار حتى وصل اليهما الخزروف وعمه جرير وقد حققا ذلك الجيش الكثير فوجدوهم كلهم سودان وكلهم من أولاد حام وهم دهم الالوان كأنهم الغربان فعند ذلك تبادروا منهم جماعة كأنهم العقبان وأحتاطوا بجرير والخزروف وأحضروهما بين يدى مقدم السودان والزنج والحبشان فناداهم حاجب الملك من تحت الرايات والاعلام وقال لهم ان الملك يقول

لكم لاتضافوا ولكم الامان والزمام ان أصدقتما فى الكلام باأولاد الاعمام وأخبرتموه عن هذا الجيش القادم من أرض الشام وهم الى أين قصدهم والمرام ومن يكن الحاكم عليهم فى النقض والابرام فعند ذلك قال لهم جرير باأولاد الخالة الكرام والله أننى أخبركم بالصدق فى الكلام وأعلمكم بأن هذا الجيش السائر من أكرم القبائل والعشائر وهم بنى عبس أصحاب العز والثناء والمفاخر والمقدمين عليهم الفارس القسور والبطل الغضنفر ابن أبو الفوارس عنتر وأيضا قاتل الفرسان ومبيد الشجعان أخيه الملك الجوفران وأختهم أم الزعازع ولبوة الوقائع الضاربة بالحسام الذكر عنيترة بنت عنتر وكذلك مجندل الاقران وحاوى قصب الرهان الامير باسر وليث الميدان وأسد الفوارس والديال بن الغضبان وأما سبب مجيئهم من أرض الشام وتلك البلدان فانهم طالبين ثارهم من سائر العربان وقد جعلوا أول قصدهم الى بنى نبهان * (قال الراوى) * فوالله ما أتى جرير على آخر ما أبداه من الكلام الا وصرخة عظيمة قد بدت من تحت الاعلام وفارس قد ترجل عن جواده من بين تلك الصفوف وسار على عجل حتى صار قدام جرير والخزروف ونادى وقال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهران هذا جرير أخو عنتر فعند ذلك حار جرير من معرفته وتعجب من أمره وقصته قال ثم أن المتكلم قال له يافتى ما أنت جرير بحق اللطيف الخبير قال نعم وحق الرب القدير *(قال الراوى)* وكانت هؤلاء السودان جميعها قد ترجلت وكلا منهم عن جواده قد نزل كرامة لهذا الفارس الذى نزل فى الاول ثم انه ناداه ياجرير ما أظنك حققت معرفتى فقال جرير لا والله يامولاى وانى قد اشكلت على قصتك فقال له أنا الملك صفوان بن معدان صاحب بلاد السودان وأنا خالك وخال أخيك عنتر بن شداد وسبب وصولنا الى هذه البلاد وقد وصل خبر أخيك عنتر الينا وأخبار اجتماع العرب عليكم فصعب ذلك الامر علينا ووصل بعد ذلك الينا خبر عنيترة أم الزعازع وما فعلت من الوقائع وما تجمع عليها من العشائر وكم أبادت

من الدساكر وظهور أخيها الملك الغضنفر وكيف انه طلع بن عنتر فلما
سمعنا ذلك فانفينا الامن فرح واستبشر وأملنا بوجود هؤلاء النصر
والظفر وايضا قد وصلت الينا الاخبار انهم قد اجتمعوا وقصدوا أخذ الثار
وكشف العار فسرني ذلك فأتيت الى معونتهم في هذا الجيش الجرار وقد
جمعت عشائري وأجنادي وملوك أرضي وبلادي وقد أتيت بهم لاخذ ثار
ابن اختي زبيبة وأمحي عني ما نزل بي من المصيبة قال فعند ذلك فرح جرير
الفرح التام لما سمع من خاله ذلك الكلام فقال له والله يا خال انني أعلمك
بشيء يزيد فرحتك وعلو شانك وتزداد به يقينا وبرهان وذلك ان قد ظهر لاخي
عنتر ولد يسمى الجوفران وقد صار ملكا من ملوك الزمان وقد ترك ملكه
وما هو فيه من تلك الايسار وقد أتى معنا يساعدنا على أخذ الثار وكشف
العار قال فلما سمع الملك صفوان من جرير والخزروف تلك الاخبار أخذه
الفرح والاستبشار وعاد جرير والخزروف على الاثار وهما كأنهما شعل
النار حتى وصلا الى يزيد بن الملك واخيه الملك الجوفران واخبروهما بخبر
اخوالهم السودان وقالوا لهما لقد عظمت أحوالكم وزادت أفراحكم وقد نلتم
آمالكم بقدوم صفوان ملك السودان خالكم فها هو قد أتى اليكم يساعدكم
على اخذ ثاركم فقال له الجوفران اوضح لنا ما معك من البرهان وبين لنا
صحة هذا الكلام واخبرنا بما جئت فيه والسلام فقال جرير اعلم يا ابن اخي
ان هذا الجيش القادم أخوال أبوك عنتر والمقدم عليهم أخو ستك زبيبة
انه الملك الاكبر وهذا الملك صفوان بن الملك معدان وقد أتى في عشائر
السودان ليعينكم على اخذ ثاركم من العربان ثم انه اخبرهم بالخبر
واطلعهم على ما خفي وما ظهر فنالهم الامن فرح واستبشروا وزادت
بني عبس في الفرح والسرور وتجاورت الفرسان الى بعضها بعض مثل
الطيور ووصلت عشائر السودان وترجلت الملوك للملك صفوان بن
معدان وترجلت أيضا فرسان بني عبس وعدنان واعتنقت بعضها بعض
الطائفتان وانتشروا في فسيح تلك الارض والمكان ﴿قال الراوي﴾ هذا

والملك

والملك زهير قد أقبل مثل الاسد الوثاب وعلى رأسه راية أبيه وجده العقاب
وطلب أن يترجل فلم تمكنه عنيترة من النزول الى صفوان ليكون ذلك أعلى
لمقدره وارفع شأن وكذلك الملك الجوفران لم يترجل لانه جبار من جبابرة
الزمان ونفسه نفس ملك مرتفع القدر وكذلك أخيه الملك الغضنفر بل
أقبلوا على بعضهم بعض وهم ركاب وسلموا على بعضهم سلام الاحباب
للاحباب وضربت السرادقات ولاطناب ونزلوا فيها وقد تذكروا من قتل
لهم من الاصحاب وعظم البكاء والانتحاب (قال الراوى) ولما قربهم
المقام أخذوا فى الراحة ثلاثة أيام وقد أجمعوا أمرهم ورأيهم على المسير
لأخذ الثار فقال الملك الرأى الا اننا نسير الى الديار حتى ننزل فيها ويقر
بنا القرار وتستأنس الديار بالسكان وتجتمع فيها الخلان وينظرها ابن عمنا
الملك الجوفران وكذلك خالنا الملك صفوان بن معدان ويجتمع علينا أيضا
من يحبنا من العربان فقالوا له يا سائر الملوك ان هذا هو الرأى الصواب والامر
الذى لا يعاب ووافقوا كلهم على ذلك ورحلوا فى اليوم الرابع يقطعون
ذلك البر والسباسب (قال الراوى) ولم يزالون يقطعون الاودية والقفار
ويجدوا فى المسير ليلا ونهار حتى انهم وصلوا الى الديار ونزلوا فيها واستقربهم
القرار ونصبوا بنى عبس وعدنان البيوت الشعر الذى اصطنعها لهم
الجوفران وأنست تلك الديار بالسكان والاوطان بالقطان وسارت الديار
أعمر مما كانت وأكثر رجال وفرسان لان قبيلة بنى عبس كانت عدتها
فى سالف الازمان أربعة آلاف عنان وكلما فقد منها أحد ينتشى عوضه
من الشباب فلما انتهى بها الامر الى هذا الاوان اجتمعت فرسان بنى عبس
الذى كانوا تفرقوا فى الجبال والوديان لما كانت اجتمعت عليهم قبائل
العربان وفعلوا فى حقهم ما فعلوا من ذلك التشتت والهوان وقتل فى ذلك
المرة حصن بن حذيفة وابن أبا حارثة سنان لما كان أشار الملك قيس
على بنى عبس بعرقبة الجمال وذبح الفصلان وخرجت بنى عبس وهجمت
فى الصحارى والوديان ولم يزالوا الى أن أتى عليهم هذا الاوان وجاءت اليهم

تلك الملوك والفرسان وقد اجتمعوا من كل جانب ومكان وأقاموا تحت ظل
الاميرة عنيترة والغضنفر والجوفران فكان عدتهم ثلاثة آلاف عنان
وبني قضاعة اربعة آلاف من الشجعان والملك صفوان بن معدان في
خمسة آلاف من السودان واجتمع عليهم من أصدقائهم وحلفائهم أربعة
آلاف عنان فصار عدائهم ستة عشر ألف حتى ضاقت بهم تلك الصحارى
والوديان ونصبوا للملك الغضنفر وأخيه الجوفران على العلم السعدى
راياتهم وصار لهم عزوشان وقول وامكان وأقامت بني عبس تصنع الولائم
وترقع فيها القاعد والقائم وقد أخلف عليهم الزمان عوضها عنتر بن شداد
وقد صارت أحسن ما كانت أبيات بني قراد وانضاف الى عنيترة الخزروف
وجربروزخة الجواد وزيد بن عمرو وسبيع اليمن بن مقرى الوحش وياسر
وليث الميدان والدبال بن الغضبان وكان قد نشأ لغصوب ولد في بني قضاعة
يقال له أسد الفرسان وكان بطل مداعس وانضاف الى عنيترة مع جملة
الفرسان لانه كان يعد بجماعة من الاقران وكان كل واحد من هؤلاء
الفرسان بخيام ومضارب وخيل وجنائب وأموال ونعم وأصحاب وأحباب
وكانوا بنوا زهير قد انقرضوا ولم يبق منهم الازهير بن قيس وكانت عنيترة
وقرنته هي وأخوتها ولم يردون في فه كلمة واحدة ولم يعدوه الا من الملوك
الكبار مثل ما يفعل عنتر مع أبيه قيس ويوقره غاية الوقار وأما بني زياد فانهم
انقطعوا عن آخرهم ولم يبق منهم ديار ولا نافخ نار ولم يبق منهم الا الشمر بن
زياد قتل الحسين بن على بن أبي طالب في أرض كربلى ومات بدعوة كانت
قد سبقت عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو العطش فصار
يشرب كل يوم قدر عشر راويات ولا يروى حتى انقطعت أمعاءه
وانفقعت بطنه ومات وشرب كأس الممات *(قال الراوى)* وبقت هذا
الثلاثة أولاد حماة لبني عبس وبني قضاعة ومن معهم من العرب الامجاد
كما كان أبيهم على بني عبس عنتر بن شداد وقد دار بينهم الكلام والامير
الجوفران يسمع ماجرى على أبيه وعلى قيس واخوته في بني نبهان والاعادة

ليس لها أفاد. وكان الذي يقص عليهم هذا الاخبار الامير ورقة بن الملك زهير ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع زهير بن قيس كلام عمه ورقة بكى بكاء شديد فقالت عنيترة مالك أيها الملك تبك لا أبكى الله عيناك ولا شمت بك أعداك ولا الحساد وكيف تبكي ونحن حولك مثل الاساد وكانا لك من جملة الغلمان وكل فارس منا يقاوم جماعة من الفرسان فدع عنك البكاء والانين والاشتكاء وسر بنا الى بني نبهان حتى نأخذ منهم بثار أبيك وأبي سيد الفرسان وأخلي ديارهم مثل أمس كان ثم ان عنيترة التفتت الى خالها عمرو ذو الكلب وقالت له يا خال خذ أهبتك الى الطعن والضرب فعند ذلك قال الجوفران لعمه جرير اريدك أن تريني قبر أبي عنتر حتى أنظره وأشاهد مضجعه ومقبره فقال له جرير أتبعني وأنا أوريك ذلك ثم انه سار قدامه والجوفران وأخوته من وراءه الى ان وصل قبر أبي الفوارس عنتر فعند ذلك نزل الجوفران عن ظهر جواده وقد أكثر من بكائه وتعداده وقال وأحزناه عليك يا ولدي الذي ما أنت بالحياة وتنظر الى أخذ ثارك وتبصر ما يجري في حق العرب ولكن وذمة العرب وشهر رجب والرب الذي اذا طلب غلب لآخذ ثارك الا وأنت تشاهد وتبصر حتى تنظر من ينصر منا ومن يخسر ثم انهم ركبوا وعادوا الى خيامهم فعند ذلك أقبلت عنيترة على أخوها الجوفران وقالت له ما الذي عولت لانك اقسمت لا تأخذ لابيك بالثار الا وهو في جملة النظار فبين هذا الكلام وكيف أقسمت بتلك الاقسام فقال سوف ترون ما أفعل ثم صبر ثاني يوم وركب وسار وأخوته معه الى أن وصل الى قبر أبيه وأخوته يتعجبون من فعاله فعند ذلك أمر عمه جرير ان يحفر قبر أبيه فحفره واذا بها عظام بالية ناخرة فأمر بنطع من الاديم وان يدرج فيه عظام أبيه عنتر فسألوه أخوته عن الخبر فقال لهم أنا اريد أجعل أبي قدامنا على جمل وكلما قتل أحد من الاعداء أعرضهم عليه وهو يشاهد ذلك بعينه فقالت عنيترة يا أخي هذا عظام بالية لا تدري ما الخبر فقال وحق ذمة العرب ان لم تطاوعوني على ذلك قتلتكم وقتلت روحي بعدكم فعند ذلك

سكتوا عن جوابه *(قال الراوى)* ثم ان عنيترة صرخت فى بنى قضاعة وقالت الخيل يا أرباب الخيل وأيضا الجوفران صرخ بالعبيد فقدموا له جواد النوبة فركب وركبت لركوبه جميع الفرسان وسار وا طالبين ديار بنى نبهان فقال والله لابد ما أشتت شملهم فى جنبات الفلا ثم سار وابنى عبس وبنى قضاعه من ورائه وجدوا فى المسير من تلك الساعة ومازالوا سائرين الليل والنهار وهم يقطعون البرارى والقفار الى أن وصلوا الى أرض بنى نبهان وأخذوا أهبة الضرب والطعان وباتوا تلك الليلة على رمل عالج ونيرانهم فى الرهايج الى أن أصبح الصباح فعند ذلك لبسوا آلة الحرب والكفاح ولما تضاحى النهار وقاربون المراعى والديار فأخذت عنيترة معها ألف فارس وغارت على أموال بنى نبهان وساقت كلما هناك من الخيل والجمال وجميع ما نظرته امامها ولم يبق الا الحجارة والحصى وكانت فى بنى نبهان خيول لاتوجد عند سائر العربان وألقت عنيترة الضرب فى أقفية العبيد وقتلت كل بطل صنديد فعندها وقع الصياح فى بنى نبهان وقد ركبت سائر الفرسان وفى أوائلهم المهلهل أبو زيد الخيل ومعه كل فارس قبيل وكان أبو زيد الخيل ضعف ضعفا شديدا وهو فى حال عنيد وكانوا بنى نبهان فى سبعة آلاف فارس وقتلت كل بطل مداعس وضربت عنيترة فيهم يمين وشمال وقد أفنت الابطال والرجال وأحمت تلك الالف فارس كما تحمى اللبوة الاشبال ومازالت كذلك الى أن أدركتها فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وكانت لهم ساعة يا لها من ساعة كشف الموت فيها قناعة فعند ذلك عمل الغبار وعلى البتار وقل الانتصار هذا وعنيترة تضرب فيهم ذات اليمين وذات الشمال وحار وا الابطال من قتالها ونزالها وقاتلت الفرسان وصبرت الاقران وقل الكلام وثقل اللسان ورأت فرسان بنى نبهان من فرسان بنى عبس وقضاعة قتال ما نظر وا مثله من فرسان ذلك الزمان وقد ملوا من قتالهم الميدان وحارى من خمرة القتال من كان سكران وقضى عليهم بالفناء من لا يشغله شان عن شان الذى اذا قال لشئ كن فكان وتقهقرت بنو نبهان

وقد

وقد لزوهم بنى عبس الى ديارهم والاوطان وفعلوا فيهم كما تفعل النسور بالعقبان وقد أذاقوهم كأس الهوان ولم يزالوا الى أن أظلم الظلام ومنعهم عن ضرب الحسام وقد افترقوا الجمعان وتحارسا الفريقان وجمع المهلهل سادات قومه وأكابر عشيرته وقال لهم اعلموا هؤلاء بنى عبس كان اسمهم بين العربان فرسان المنايا والموت الزؤام وقد مات حاميتهم عنتر وذاقوا بعد موته البلاء المنكر وهجوا فى البلاد وشمتت فيهم الحساد والآن فقد انتشت فيهم هذه المقطوعة الخاع عنيترة الذى قهرت كل بطل شجاع وقتلت كل قرم مناع وأسرت ذو الخمار وعمته الزرقة ليمامة وقتلت سبع الفلاة وردت بنى عبس الى أرض الشربة وما كان تعرضنا لهم صواب وكانوا فى أيام عنتر أربعة آلاف وهم الآن فى سبعة آلاف وفيهم عنيترة وعمرو ذراع الكتائب وقناصة الرجال وزيد بن عروة وزهير بن قيس والخزروف ابن شيبوب وجرير الذى ماله فى الارض نظير ومالنا أوفق من البراز لعلنا ننقطع فرسان الجبابرة فلما سمعوا أكابر العشيرة ما قاله المهلهل سيد القبيلة بقى كل واحد منهم فى حيرة فقالوا له أيها الملك من فى عشائرنا يقاتل عنيترة أو خالها عمرو وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن وزهير بن قيس وهؤلاء فرسان البيداء وشجعان الفلاة ولولا أن يكونوا كذلك ما رجعوا الى أرض الشربة والعلم السعدى وخافتهم جميع العرب ولا قدر أحد منهم أن يعتدى فعند ذلك نهض من بين القوم شاب مليح الشباب اسمه جابر بن وزر الذى قتل عنتر وقال الى المهلهل يا سيد بنى نبهان وحق ذمة العرب غدا أبرز الى بنى عبس وأقتل حاميتهم عنيترة كما فعل أبى بأبوها واسكنه المقبرة وأقتل بن عمها الخزروف وعمها جرير ولا بد من قتل أخيها الغضنفر وأفعل به فعل منكر ولا أخلى من ذرية عنتر لا كبير ولا صغير فلما سمع ذلك الكلام المهلهل فرح واستبشر وقال من تشبه بأبيه ما أظلم ثم ان القوم تفرقوا للمنام الى أن أصبح الصباح وركبت الفرسان واصطفوا فى الميدان فأول من برز وطلب القتال وتقدم للحرب والنزال كان جابر بن وزر ونادى

برفيع صوته من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فانى خفى أنا جابر بن وزر
ابن الاسد الرهيص فلا يبرز لى الا عنيترة بنت عنتر حتى أذيقها الموت
الاحمر فما استتم جابر من كلامه حتى برزت عنيترة وسارت قدامه وقالت
ويلك يا كلب أجرب وأخس من مدفى البيدا طنب أنت ممن يطلب
فرسان العرب ثم ان عنيترة حملت على جابر وكان من الفرسان المذكورة
والابطال المشهورة ﴿قال الراوى﴾ فما وقف جابر بين يدى عنيترة غير
ساعة حتى صدمته صدمة الاسد وضربته بحسامها المهند فوقعت الضربة
على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه وسقط من على جواده الى وجه
الارض وسار يختبط طولا وعرض الى أن فارقت روحه جسده وعنيترة
واقفة عنده ولما مات طلبت عنيترة البراز وسالت الانجار فلم يبرز اليها
أحد لا أبيض ولا أسود فعند ذلك أشارت الى بنى عبس وبنى قضاعة
بالحملة فحملت على بنى نبهان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الاقران
بالاقران والفرسان بالفرسان وما كانت الا ساعة من الزمان حتى انهزمت
بنى نبهان وطابت البرارى والقيعان وعمل فيهم الطعن بالسنان وما
زالوا بنى نبهان هاربين وبنى عبس لهم طالبين الى أن ولا النهار وأقبل الليل
بالاعتكار وردت بنى عبس وبنى قضاعة ورقدوا فى خيام بنى نبهان وقد
ملكوا المال والنوال والنوق والجمال والنساء والعيال وكان قد قتل من بنى
نبهان اربعة آلاف من الشجعان وكلهم أبطال وفتيان وجرح المهلهل جرح
وثيق وقد عدم السعادة والتوفيق ولما أصبح الصباح نهبت بنى عبس وبنى
قضاعة جميع ما كان فى ديار بنى نبهان فى أقل من ساعة وما تبقى غير بيت
مقطوع ووتد مكسور وبقيت منازل بنى نبهان خراب ومساكن للبوم
والعقاب ﴿قال الراوى﴾ ثم رحلت بنى عبس طالبين ديارهم وقد
أشفوا غليلهم من أعداهم وبردت عليهم نارهم وفضاله بن قيس راكب
على جواده من خيل بنى نبهان ما يوجد مثله فى ذلك الزمان والى جانبه عنيترة
بنت عنتر والى جانبه الاسمر عمرو وذو الكلب وزيد بن عروة وعتيبة بن

حصن

حصن والخزروف بن شيبوب وجريرهم راكبين على الخيول العربية وهم سائرين ومعهم من الاموال والغنائم ماسد الفضاء وهم فرحين بما أعطاهم الرب القديم من النصرة والظفر وما منهم الا من فرح واستبشر وقد هانت العرب فى عين بنى عبس وبنى قضاعة وخافت من عنيترة جميع العربان واذعنوا لها بالطاعة فعند ذلك دار بينهم المشورة والكلام الى أى عرب يقصد فى الاول حتى يأخذوا منهم بالثار ويفنوهم بالصارم البتار ويفعلوا بهم كما فعلوا ببنى نبهان فاتفق رأيهم أن يجعلوا قصدهم الى بنى نبهان ثم انهم لم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى انهم وصلوا اليهم وغاروا عليهم وساقوا أموالهم من المراعى ولم يتركوا من رجالهم ساعى ولا راعى فنفرت اليهم بنى نبهان وقد حققوا ذلك عيان وعرفوا انهم من بنى عبس وعدنان فتقدمت بنى نبهان وفى مقدمتها زياده بن عامر الجبهانى الذى ماله فى زمانه ثانى فلما علموا انهم بنى عبس والمقدمين عليهم اولاد عنتر يقدمهم أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وأخوتها الجرفران والغضنفر لانهم قد شاع ذكرهم فى القبائل واشتهر فتلقوهم بنى نبهان بحد السيف ورأس السنان والغضنفر قد أخرج يده من جلباب درعه وهو يزعق يالعبس يالعدنان الثار الثار هذا يوم كشف العار والطعن بالاسمر الخطار ﴿قال الراوى﴾ ولما وقعت العين على العين وتقابلت الطائفتين انطبقت بنى عبس على بنى نبهان من غير كلام والا أوزان فالتقوهم القوم بقلوب صلاب وأخذوا فى الطعان والضراب وصار الغضنفر يهبر الرجال هبرا ويجزرهم جزرا ويرميهم الى الارض خمسا خمسا وعشرا عشرا حتى فاضت الارض بالدماء وامتلأت بالقتلاء وكلما قتل قتيل ينادى يالثارات بنى عبس فاتى أقدمهم بالروح وبالنفس والدماء تسيل من حسامه والابطال ينهزموا من قدامه وكذلك فعل اخوه الجرفران وقد سطى على الفرسان وأهلك الاقران واما أختهم عنيترة فكان لها هد بروز مجرة وكانت على القوم ساعة عسرة وزاغ فيها من الشجاع بصره هذا وفرسان بنى عبس أحلوا ببنى نبهان التعس والنكس ولم

يزال الامر كذلك حتى مضى النهار بابتسامه الضاحك وأقبل الليل بظلامه الحالك فعند ذلك افترقوا الطائفتين وابعدوا عن بعضهما بعض وكان قد قتل من بني نبهان ألف ومائتين فارس من الفرسان وعزموا هم بني عبس الى الخيام ولولا قدوم الظلام ما بقى منهم شيخ ولا غلام فعند ذلك تحارسوا الجمعان وأوقدوا النيران ولم يزالوا الى أن أصبح الصباح وركبت بني نبهان وقد افترشت في الصحصحان من خوفهما من الهلاك والقلقان وركبت بني عبس وبني قضاعة ومن يقدمهم من الابطال وقد استعدوا الحرب والقتال واذا بزائد فارس بني نبهان قد برز الى وسط الميدان واشتهر بين الفريقان وطلب البراز وسال الانجاز وما تم كلامه الا والغضنفر قد صار قدامه وحمل عليه حملة منكرة وصدمه صدمة مدعرة فتلقاه زائد فارس بني نبهان واقتتلا الاثنين في الميدان وثار الغبار الى العنان واخذوا في أسباب الضرب والطعان ولم يزالا كذلك ساعة من النهار وقام بده الغضنفر وطعنه بالاسم الخطار فخرج من ظهره سبعة أشبار فوقع عن ظهر جواده وقد عدم صلاحه ورشاده وانمحت منه الآثار وبعد قتل مقدمهم لم يكن لهم اصطبار ولا ثبات ولا قرار بل حملت عليهم بني عبس وحمل الملك الجوفران كأنه الاسد الهدار وكذلك أخته عنيترة قد اقتحمت الغبار وأما ياسر فانه مزق الدروع والمغافر وضرب في القوم ضربا وافرا وابن مقرى الوحش سبيع اليمن فانه أنزل بهم المحن وقثر الرأس عن البدن وأما ليث الميدان فانه خبل الفرسان وأباد الشجعان وسقاهم كأس الموت ألوان وأما عمر ذو الكلب فانه قد تجرد للطعن والضرب وأدمى الصارم العضب وأما دنار بن روق فانه ساق الفرسان بين يديه سوق وأي سوق وأما خفاف ابن ندبة فانه احل بالفرسان كل بلية ونكبة وأما دريد بن الصمة فانه قد سل عليهم سيف النقمة وأما ملوك السودان فانهم أحلوا بهم الذل والهوان فهنالك طارت الرؤس وزهقت النفوس وتكاثرت الابطال اليبوس من كل بطل عبوس وليث شروس وكان وقتهم وقت منحوس

وتقاتلوا

وقاتلوا بالسيف والرمح والدبوس ولم يكن ذلك غير ساعة حتى قتلوا من
الاعداء ألف وأربعمائة قتيل والذي نجوا من الحرب والقتال تفرقوا من
بين أيديهم في بطون الاودية والجبال وبعد ذلك تقرر حالهم واتفقوا
في القتال على غز وبني هلال فساروا اليهم وهجموا عليهم وأوصلوا الاذية
اليهم وحمل الغضنفر في أوائل القوم وهو ينادي اليوم ولا كل يوم ففي مثل
هذا اليوم يزول العتب واللوم والملك الجوفران صاح وأبذل فيهم الطعن
بالرماح وحمل زخمة الجواد وحملت معه فرسان بني قراد فلله درهم كم ابروا
كفوف ومعاصم وفلقوا من أكتف وجماجم وكم أثاروا من غبار وقتلوا
كل فارس كرار وكشف الغضنفر ذلك اليوم العار وأخذ الجوفران لابيه
عنتر بالثار وفعلت عنيترة فعل الجبابرة الكبار وقتلوا من بني غير ألفين
وستمائة فارس كرار فلم يكن لهم على قتالهم اصطبار فولوا الادبار وركنوا الى
الفرار وأخلوا منازلهم والديار وساروا بني عبس من ديار بني غمير بعد
ما أحلوا بهم البلاء والتدمير ولم يزالوا سائرين في ذلك السير الطويل حتى
وصلوا الى بني هزيل فحمل عليهم الغضنفر الاسد الريبال ونادى على بني
عبس دونكم وهؤلاء الانذال ابذلوا فيهم السيوف الصقال فلما سمعوا من
بني عبس ذلك المقال أجابتهم الشجعان والابطال وحمل الملك الجوفران
وأخته عنيترة قاتلت الفرسان وحمل ياسر بن ميسرة وليث الميدان وسبيع
اليمن والديال بن الغضبان وحمل زخمة الجواد وحمل العباس بن مرداس
وخفاف بن ندبة ودثار بن روق وقد ساقوا الاعداء سوق وأي سوق وأما
دريد بن الصمة فانه في هذه الوقعة ما كان حاضر بل ان الغضنفر كان قد
حلف عليه وأصرفه وطيب خاطره وقال له يا أبا النظار عد من هنا الى ديارك
وأوطانك لانك قد لقيت من أمرنا ما كفاك فسار الى دياره وترك عندهم
خفاف بن ندبة ودثار بن روق والعباس بن مرداس وهؤلاء الثلاث كما ذكرنا
انهم من أقوى الناس فهنالك اختلط الجمعان وعلى السيف والسنان
وحمل الملك الجوفران حملة الاسد الغضبان وضيق على الاعداء الميدان

وابلوا الاعداء بالذل والهوان فعند ذلك أشتد الحذر وصاح كل ليث قسور وعمل الحسام الابتر والرمح الاسمر وطارت الروس مثل الاكر هذا وقد تصادمت الخيل وجرى الدم مثل السيل ولم يزالوا بنو عبس يقتلوا في بنو هزيل حتى قتلوا منهم ثلاثة آلاف قتيل ولما رأوا ليس لهم ببني عبس طاقة ولا على حربهم استطاقة فولوا من بين أيديهم الادبار وأركنوا الى الفرار فعند ذلك رجعوا بني عبس عنهم وساروا طالبين ديار بنو زبيد فارتكبوا في أمرهم وتجمعوا من كل قفر وبيد والتمت عليهم بنو طي وبنو مراد وقد ركب في أوائلهم عمرو بن معدي كرب البطل الجواد وهو في أوائل الفرسان وعزموا على ملاقات بنو عبس وعدنان لانها كانت فرقة من بني زبيد مقدار ثمان مائة فارس قصدوا الى بنو عبس وقد تشاركوا في دماهم فلما أقبلت التقتهم بنو عبس في ذلك اليوم بذلك الجمع من العرب والسودان وفي مقدمتهم أم الرعاز عنترة قتالة الشجعان وأخواتها الغضنفر والملك الجوفران فعند ذلك احتاج عمرو أن يدافع عن نفسه وعن بني عمه فعند ذلك برز الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وقد طلب البراز وسأل الانجاز فبرز اليه الجوفران وقد انقض عليه بقلب من الحنق ملآن وتلاحما وتكافحا وتحربا وتبعدا وتطعنا وتضاربا وأخذوا في الكر والفر والصد والرد والهزل والجد والمطاولة والمحاولة وأوسعا في الميدان وساقوا الجوادان حتى غابوا عن الاعيان واختلف منهم طعنتان واصلتان فكان السابق بالطعنة الملك الجوفران فطعن عمرو في جانبه أقلبه وقد أبذل بتلك الطعنة دمه وكاد ان يعدمه روحه *(قال الراوي)* ولما رأت بنو زبيد الى فارسهم وحاميتهم قد تمدد في ذلك المهاد فأطلقت الاعنة وقومت الاسنة وقد داروا بالجوفران من كل جانب ومكان واشتغلوا عن أسر عمرو وخلصوه من بين يديه وقد نصحوا تلك الساعة في الحرب والجلاد وركبوا عمرو على ظهر الجواد فأخذ رمح ثانيا وحمل على بنو عبس وعدنان فحملت أيضا بنو عبس وبني قضاعة وكان قدام الفرسان الملك الجوفران وحملت

أيضا السودان وحمل الغضنفر قدام الاقران خوفا على أخيه من نكبات الزمان وحملت عنيترة مع جملة الفرسان وحمل عمرو ذو الكلاب وزيد بن عروة وسبيع اليمن وياسر وليث الميدان والديال بن الغضبان وكان لهم ساعة من ساعات الزمان فأبادوا من بني زبيد الرجال وأفنوا الابطال وعظم الزلزال وسطت بني عبس على بني زبيد وأحلوا بهم البلاء والتنكيل وسارت القتلاء بين أطناب الخيم وقد سقوهم كاسات الموت ألوان وخرجت المخدرات وقد تشتتت في الفلوات وعلا منهم الانتحاب على من قتل لهم من الاصحاب وكان لهم ساعة يا لها من ساعه وكانوا بنو زبيد قد بليوا بما لم يطيقوا له طاقة ولم يجدوا لهم على ملاقات فرسان بني عبس استطاعة فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وخلفوا اغنامهم وأموالهم ونوقهم وجمالهم فعند ذلك أمر الجوفران برد النسوان والاطفال وأمر بسوق الاموال والجمال *(قال الروى)* وكان الجوفران سيف بني عبس والمشار اليه فيهم في ذلك الزمان وعنيترة هي فارسة الفرسان والغضنفر حامتهم من طوارق الحدثان وهو المقدم على كل من لهم من الفرسان فهذا كله يجرى من هذا الامر الذى تحرد وجرير والخزروف واقفين بالجبل الذى عليه عظام عنتر ويقولوا له اسمع يا أبونا ما نقول اليه وأبصر ان كان ما يرضيك ما فعل الناقص نفعل مثله وأكثر فكان عنتر عظام بالية لا يرد جواب ولا سؤال فعند ذلك يقولوا أبونا ما رضي بهذه الفعال ولا يقنع بمن قتل من الفرسان وهو الى الآن لم يزل غضبان ثم يسيرون الى غزاة لعربان *(قال الراوى)* وانهم بعد ما فعلوا بني بنو زبيد ذلك الفعال ساروا طالبين البرارى والجبال وقد تقدم الجوفران قدام الفرسان وهو بما فعله فرحان فأشار ينشد ويقول هذا الابيات

الا بلغ زيد وعمرو عنا * بانا كيف نفعل بالرجال

تركناهم على البيدا صرعا * ونسوتهم ترددن العوال

وأردفنا الفوارس من زبيد * بجميعهم على ظهر الجمال

وعمرو قد تركناه جريح * يمج نجيعه تحت العوالى
ولولا الليل ماردت زبيد * الى أبياتها يوم النزال

(قال الراوى) فلما فرغ الجوفران من ثلاث العظام ساروا يقطعون البرارى والآكام حتى وصلوا الى ديار بنى همدان وغاروا عليهم وأنزلوا بهم الذل والهوان ولم يزل الغضنفر وعنيترة والجوفران يقتلون منهم الشجعان ويدمرون الاقران وكان لهم ساعة من ساعات الزمان فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقد قتلوا منهم ألفين فارس كرار وغاروا من بعدهم على بنى جديلة وأحلوا بهم نوبة وبيلة وقاتلوا فيهم وأظهروا الحتوف حتى تثلمت فى أياديهم السيوف وتجددت المطامع وصمت المسامع هذا وفرسان بنو عبس صارت تضرب الاعداء الضرب الوجيع وأسالوا من الفرسان الدماء النجيع وجندلوهم على الصعيد حتى أفنوا كل بطل صنديد وغاروا على فرقة من بنى شيبان وأنزلوا بهم الذل والهوان وطرحوهم على الصحصحان وقاتل فيهم الغضنفر وأخوه الملاك الجوفران وعنيترة بمن معهم من الرجال والاقران وعملوا فيهم عمل النار فى الحطب وافتخروا بفعلهم على سائر العرب وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفعلوا فى حقهم فعال ذميمه وغاروا من بعدهم على بنو تميم وأنزلوا عليهم العذاب الاليم ولم يتركوا فى ديارهم الا كل رميم وأحلوا بهم الوساوس وقتلوا منهم ألف وستمائة فارس ثم انهم غاروا على بنو هاقل وأحلوا بهم البلاء النازل ونثروا منهم العظائم حتى لطمت عليهم اللواطم وقد مددوا الرجال على التراب وقتلوا منهم ألف وتسعمائة من الاصحاب وغاروا بعد ذلك على بنى غيلان وأنزلوا بهم الذل والهوان وسقوهم من كاسات العذاب ألوان وقتلوا منهم ألف فارس من الشجعان ثم انهم غاروا على بنى ضبية وأحلوا بهم الرزية وسقوهم من الموت شربة غير هنيئة وقتلوا منهم ألف وثلثمائة وغاروا بعد ذلك على بنى ضبيان وشتتوهم فى البرارى والقيعان وقتلوا منهم الشيوخ والفتيان *(قال الراوى)* هذا كله يجرى والجمل الذى عليه عظام عنتر واقف فى الميدان وكلما قتلوا قبيلة تأتى اليه

عنيترة واخوتها الغضنفر والجوفران وينادوا له يا ابيناها قد ابدينا العربان وابدنا الفرسان يكفي ما ترى باذين الشجعان والان ودع على ما كنا عليه فلم ينطق بلسان لانه عظام بالية من سنين وازمان فيه ولون ان اباناالم يزل غضبان وانه ما اشتفا قلبه من العربان الى هذا الآن سير واباحتى تفنى بقية الفرسان فهذا كله من جهل جاهلية العرب في ذلك الزمان وما زالوا في ضلال وعدم رشاد وطغيان ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم غاروا على بني قريع واحلوا بهم الهم والفزع وفعلوا فيهم فعل وبيل وقتلوا منهم الف وخمسمائة قتيل وبعدهم غاروا على بني يربوع واخلوا منهم لاطلال والربوع لان عتبة بن شهاب تخلى عنهم وقال لهم انتم حضرتم وقعة بني عبس بجهلكم فخضروا ثار واحكم بحربهم ولاقوا البلاء الذى نزل بكم ثم انعزل عنهم فملت عليهم بني عبس واحلوا بهم التعس والنكس وحمل في اوائلهم الغضنفر وعنيترة والجوفران وحمل عمرو ذو الكلب وبقية الفرسان وانزلوا بهم الذل والهوان هذا وقد ضافت على الاعداء المواضع وترك والطيور في لحمهم رواتع ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم الفين من الفرسان الاكابر ثم انهم غاروا على من تبقى من بني عامر وادار واعليهم الدوائر ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم الف واربعمائة ثم انهم غاروا على بني بارق ومسكوا عليهم المضايق ومكنوا منهم الرماح الخوارق وبان الكاذب من الصادق ودارت عليهم الدوائر ولم يدعوا منهم لا بادى ولا حاضر وقتلوا منهم الف قتيل مشاهر ثم انهم غاروا على بني ضرار واخلوا منهم الديار فتلقتهم بني سليم وبني ضرار في الف فارس من الابطال فلله درهم من رجال اقيال اجادوا معهم في القتال واشتد النزال وعظمت الاهوال فعند ذلك سالت الدماء من المناكب وحلت بهم المصائب ودارت على بني سليم وضرار الدوائر والنوائب وتمكنت منهم المضارب ولم يبق منهم لا ماشي ولا راكب فلله در الامير الغضنفر وعنيترة والجوفران وعمرو ذو الكلب واسد وليث الميدان

وزيد بن عروة وسبيع اليمن واسد الفوارس والدبال بن الغضبان وقد فعلوا بالفرسان الاخيار من بني سليم وبني ضرار وقتلوا منهم ثلاث آلاف قتيل من الرجال الاخيار وظفروا وبعد ذلك على بني القين وأنزلوا عليهم العذاب المبين وقتلوا منهم الف ومائتين ﴿قال الاصمعي وأبو عبيده الروايتين﴾ لهذا الكلام ولولا الاطالة لذكرت كل قبيلة بوقعتها وحربها وماجرى عليها من قصتها لان كان عدد القبائل الذين غاروا عليهم وأفنوا رجالهم وقتلوا أبطالهم وكان عدتهم مائة وسبعين قبيلة مامنهم الا كل بطل مفارس قال ولما تسامعت بهم بقية القبائل وانهم فعلوا بالعرب هذه الفعائل تعلقوا في رؤس الجبال ومنهم من اختفى في بطون الاودية الخوال ولما انهم أشفوا العليل وفعلوا بالعرب ذلك الفعل الوبيل عادوا راجعين الى ناحية العلم السعدي وأرض الشربة ليجتمعوا بمن هناك من الاحبة والملك زهير بن قيس بين أيديهم كانه الاسد الوثاب وقد نشرت على رأسه راية العقاب والى جانبه الاميرة عنيترة وأخواتها الغضنفر والجوفران ومامنهم الا كل ليث قسوره وهم فرحانين بالنصر والظفر وبين أيديهم جرير والخزروف وبقية الفرسان ومن خلفهم الملك صفوان ولم يزالوا سائرين والخيل بينهم تجري حتى وصلوا الى أرض الشربة والعلم السعدي ولما وصلوا الى أرض الشربة واجتمعوا الاحباب بالاحباب فعند ذلك نزلوا فيها واستقر بهم القرار وأنست بهم الديار فعند ذلك بسطوا البسط والمفارش وجلسوا بالمضارب والاخيام وأقاموا هناك خمسة أيام الى ان خلا بالهم من الضرب والصدام فعند ذلك أمر الغضنفر والجوفران بحضور جماعة من العبيد الاعيان العارفين بمنازل العربان فحضروا في عاجل الحال الى بين يديه فامر زيد بن عروة أن يكتب الكتب ويسلمهم اليهم وأمرهم أن يسيروا بها الى قبائل العرب وحماتها الذين اشتركوا في دماء بني عبس يوم اقبالها وقد داروا عليهم وأخذوا منهم بالثار وكشفوا ماكان عليهم من العار ﴿قال الراوي﴾ وكانت نسخة الكتب ومانقربان أمر الملك الجوفران

واخيه الغضنفر واختهم أم الرعازع عنيترة بنت عنتر وكذلك الملك زهير ابن قيس ملك عبس المفتخر بان يأتون المقدمين منكم والابطال وكبار القبائل و يأتوا معهم بالنوق والجمال لاجل النصور على قبر أبو الفوارس عنتر بن شداد وان تسرعوا فى المجئ لاجل الفداء حتى تحضرون العزاء مع جملة من له من الاولاد ولا تعطوا تهاون ولا احتجاج ولا ابعاد وكل من تكبر عن المجئ أو تعذر نقص نعود بالغزو عليه ونوصل الاذية اليه ونأخذ روحه من بين جنبيه وقد أنذرناكم ومن لا يصدق لا يسأل عما يجرى عليه لهذا المقال الذى ما يفعله الا كل جاهل من الجهال ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم سيروا الكتب مع العبيد الى سائر الحلل والقبائل وكل ما وصل كتاب الى قبيلة تجيب بالسمع والطاعة وترحل فى عاجل الوقت والساعة ويرحل أميرها فى كبراء عشيرته ومقدمين قبيلته ووصلت الكتب الى سائر القبائل ورجعت العبيد فى أيام قلائل فعند ذلك رحلت القبائل وهى طالبة أرض الشربة وتلك الاطلال وقد أكثرت فى صحبتها من النوق والجمال وقد اجمعت من الهدايا والتحف خوفا من اولاد عنتر بن شداد ومنهم من اتى محبة ووداد فكان أول من قدم عليهم دريد بن الصمة وفى صحبته جماعة من كل ليث محتشم وأتى سبيع بن الحارث فى سادات بنى حمير وكل منهم يتقرب بالمجئ الى اولاد عنتر وأقبلت بنى عامر وبنى كلاب مع عامر بن الطفيل وأقبلت بنى نبهان يقدمها المهلهل وزيد الخيل وأقبل بعدهم الامير عمرو بن معدى كرب الزبيدى وأقبلت بنى شيبان يقدمها الامير هانى بن مسعود الكريم الاباء والجدود وأقبلت بنى يربوع يقدمها عتبة بن شهاب وأقبلت بنى زهل وبنى مشاجع وبنى مرج وبنى عاملة وبنى باهلة وبنى نمير وبنى قشير وبنى ضهية وبنى رياح وبنى وشاح وبنى الطماخ وبنى القمراخ وصارت العرب تتلاحق بعضها البعض وتقصد أرض الشربة والعلم السعدى وقد ضاقت بهم تلك الارض وانفرشوا فيها طول وعرض وصارت كل قبيلة ان قدمت وتوطنت تأخذ بنى

عبس عددها وسيوفها وسائر رماحها وجميع سلاحها (قال الراوى) وكان هذا من جملة تدبير جرير والخزروف لانهم خشيوا عليهم من الاعداء اذا اجتمعوا بكثرتهم أن ينزلوا بهم الحتوف وعلى غفلة منهم يفعلوا فعلى ليقعوا به فى كاس المهالك وصاروا يأخذون سلاحهم ففرح الغضنفر والجوفران بذلك قال ثم انهم أقاموا الفين فارس بالسلاح كل يوم بالنوبة تكون راكبة خيولها مشتهرة فى أيديهم السيوف والرماح قائمة فى الخدمة برسم حفظ القبيلة خوفا من المذمة والافتضاح كيلا يبيد وامن العرب أمر من الامور فتتعب من أجله القلوب والصدور وكانت فرسان بنى عبس الذى عليها المعتمد لابسة سلاحها والزرد وسيوفها مشتهرة على دكبها والميدان مثل الغضنفر وعنترة والجوفران وياسر وليث الميدان وأسد الفوارس والدبال بن الغضبان وزيد بن عروة وسبيع اليمن شجيع الزمان وعمرو ذو الكلب فارس الزمان والملك زهير ملك بنى عبس وعدنان ومن يجرى مجراهم من الابطال والشجعان وذلك كله لاجل احتقار العربان *(قال الراوى)* ولم تزل قبائل العرب تتواصل مدة عشرين يوم انقطع المدد وقد علموا انه لم يقدم عليهم أحد فعند ذلك شرعوا فى حفر قبر عنتر ودفنوا عظامه وواروه الحفر هذا وقد تقدم قدام القوم الملك زهير ابن قيس ونحر مائتين ناقة ولم يقل لائم ولا وبكى بكاء عظيم بدمع مهطول وانشد وجعل يقول

أمن الحوادث والمنون الاروع * وأبات ليلى كله ما أهجع
ولا زلت حزنا وأبكى عنترا * ولمثله تبكى العيون وتجزع
ولقد علمت بان كل مؤخر * يوما سبيل الاولين سيتبع
جاد بن شداد الكمى بنفسه * ولقد ترا ان العزاء لاينفع
يابن المكرام أولى النهائم العلا * قد كنت فى الفرسان سيفا يقطع
يا آل عبس اجمعوا ثم اندبوا * من كان يحمينا بأرض بلقع
يا آل عبس قد شفوا بكم العدا * من بعد عنترة الكمى الاروع

يا آل عبس احزنوا طول المدا * من أجل فارسنا الشديد الأشجع

(قال الراوى) ولما فرغ الملك زهير من أشعاره تأخر وقد بلغ من العداء أوطاره وتقدم من بعده دريد بن الصمة وقد مزق ثيابه وحث التراب على راسه وتصاعدت أنفاسه وكسر سيفه وقناته ونحر على قبر عنتر مائتين ناقة وخمسين ولم يلحقه فى ذلك تهاون ولا عاقة وتقدم عند القبر وبكى وأن واشتكى وجعل يقول

وهاجلدي من نزحة ي نزحتي * لفقد همام ضيغم ذراحيق

لفقد همام عبسى صميدع * يصول على الأعداء بعزم وهمتي

فيا مقلتي جودي عليه بحرقة * ولا تبخلى بل ساعديني بدمعتي

بكته ملوك الخافقين بأسرها * وبالحزن من أمران بزود خلتي

ويبكى الضيا والهند والزرد الذى * تدرعه فى كل يوم كريهتي

فمن مات مات الفخر والجود والعلا * لفقد الذي قد كان يسمو النهى

أيا بحو فران القيل صبر الفقده * فحكم قضاء الله فيه المشيئتي

يعز علينا أن نغيز بسيفه * وسيد قوم كان عزى وقبلتي

فلا زلت فى عز يدوم ونعمة * على حالة تعلوا على كل حالتى

(قال الراوى) ولما فرغ دريد بن الصمة من شعره حتى نهض له زهير بن قيس وشكره وأجلسه فى مرتبته وقام من بعده ذو الخمار وقد باح بالاسرار ونحر من النياق مائتين وعشرة أبكر بعد ما فرق ما عليه من الاطمار وكسر سيفه البتار وأجرى دموعه الغزار وتقدم الى قبر عنتر وجعل يرثيه بهذه الابيات

ياعين ابكى لعنتر بن شداد * بكاء وفى عبر النهو وهنابادي

ويامن راى بارق قد بدت أرمقه * جاروا على الاسد المعروف بالصادى

أبا الفوارس المعروف أفقده * قد كان حصنى وركنى عند أضدادى

جميع كل خصال الخيل قد علموا * زين القرين وخصم الظالم العادى

يازبيبة لاتخشى فكل فتى * يصير رهينا لاسياف واسوادى

فلا وعينك ما أسلاك بالأملي * حتى يعود من الرمس ابن شداد
أبا الفوارس لو عاينت بالنظر * يبدك شجوا ولا يسمعك من نادى
والله لا زلت أبكي عنترا أبدا * ما سارت الضياء ويجري به الحادي

(قال الراوي) ومافرغ ذو الخمار من تلك الاشعار حتى تباكت الحضار وقام اليه الجوفران واجلسه في أعز مكان ونهض من بعده عامر بن الطفيل وكان قد قل جلده والحيل وأجرى دموعه كأنها السيل ونحر ثلثمائة ناقة وجمل وقد أراد التقرب الى قلب أولاد عنتر بهذا العمل ومزق اثوابه وعلى بكاؤه وانتحابه وكسر سيفه وقناته وقد تغيرت من البكاء حالاته وتقرب الى القبر وجعل يقول

دمع كأحكم الغرب في مهتون * ومغرم قلبه بالبين محزون
أبا الفوارس هل مع الذي زعموا * مات الشجاع وأضحى بالثرى مرهون
ويلاه وآه يا مولاي لو نظرت * عيناك عبدك لا دنيا ولا دين
مات الامير ومات الجود واندسر * عين الشجاع وعين الصدق مغبون
مات الذي لم تزل راياته أبدا * وسعده بلقاء العز مقرون
مات الذي كان من جود ومن كرم * كمثل من سلفوا والقلب محزون
أعز ابلج محمود علائقه * وعزمه المتقي والوجه ميمون

(قال الراوي) فلما تم عامر انشاده حتى تقطعت القلوب والاكباد من كثرة البكاء والنواح والتعداد وقام اليه الغضنفر واجلسه في مكانه المعروف وشكره واثنى عليه واذا بصوت قد اقرح الكبود في بكاء له دمدمة ورعود وهو مسربل بأثواب سود فتبينوه القيام والقعود واذا به هاني بن مسعود الكريم الاباء والجدود وكان قد قدم ومعه مال ممدود حتى نصره على قبر عنتر الفارس المفقود وشمر عن ساعده والزنود ونحر ثلثمائة ناقة وخمسين قعود ومزق ثيابه وحث التراب على رأسه وكسر قناته وسيفه وأشار يقول

عم المصائب وطاشت الاحكام * وتنكست لوفاتك الاعلام

قد كنت أرجوا منك يا عنتر نظرة * فاغتال نحوك حادث الايام
يا من اذا حردت الملوك الى العلا * منحوه بالتقديم والاعظام
يا واهب آلاف مثلك لم يجد * ابدا وهل يجرى لذاك كرام
من للعشائر والجيوش اذا انقضت * يوم الكريهة للكفاح حسام
من الكتائب والمواكب ناصرا * ومقدم العلياء وهو همام

﴿قال الراوى﴾ ثم قام من بعده الامير عمرو بن معدى كرب وقد أنشد أبيات تقتضى الحزن والحسرات ومابقى أحدا فى ذلك اليوم من الفرسان الاجواد لاورثى الامير عنتر بن شداد تقربا القلب من له من الاولاد ولولا خوفنا من الاطالة وملال السامع من المقالة لشرحنا جميع ما أنشدت العرب ومارثته به السادات من ذوى الرتب وكان منهم من أنشد ورثى حزنا وهيبة ومنهم من رثاه خوفا وفزعا مما سار لاولاده من الهيبة (قال الراوى) وبعدما سار لهم من الاشجان قعدوا على بساط العزاء والاحزان والعرب تقدم عليهم من كل جانب ومكان وغضبنفر والجوفران لا يقطعون من التفجيع والبكاء لاصبر ولا سلوان قال فبينما هم فى ذلك الشأن واذا بغبار قد ثار وبعد ساعة انكشف للنظار وبان عن فرسان كأنهم العقبان قاصدين الى بنى عبس وعدنان وتلك العربان ترجلت فى عاجل الحال الفرسان وأسرعت نحو الغضنفر والجوفران وقبلوا الارض بين أيديهم وسلموا عليهم وقالوا لهم يا ملوك الزمان قد ورد عليكم هرقل بن قيصر حتى يحضر عزاء والدكم عنتر سيد الفرسان قال وكان السبب فى قدومه الى أرض بنى عبس وعدنان كان عمرو بن الحارث ملك بنى غسان فانه كان كل قليل يأخذ اخبارهم ويكشف آثارهم فسمع انهم قد أفنوا العرب وقهروا الفرسان وأطاعهم القريب والبعيد مما عاينوا منهم من ذلك الهول الشديد فعند ذلك أرسل أعلم الملك بجلية ما سمعه من الخبر قال فلما سمع الملك قيصر بما سمع له من أخبارهم فأرسل ولده هرقل يعزيهم فى أبيهم عنتر ويهنيهم بأخذ ثارهم وأمره بعد العزاء أن يخلع عليهم جميعهم على قدر

أعوانهم وكل واحد منهم على قدره الكبير منهم بكبره والصغير بصغره فأجابه ولده بالسمع والطاعة وخرج بالخزائن والأموال من تلك الساعة واصطحب معه الرجال والهدايات والجوار الروميات والخيول العوال وكان ذلك شئ كثير يحاير البصر ويحير الفكر وسار ليل نهار الى أن وصل الى دمشق الشام وأقام بها أياما حتى استراح ورحل منها فرحل معه عمرو بن الحارث وتبطنا فى تلك البرارى والبطاح وسار الى أن قربا من الديار وبانت لهما الآثار فأرسل هذه الفرسان يخبر وابنى عبس بقدومهم قال ولما صح هذا عند الغضنفر والجوفران التقوا بملوك العربان وأمروهم بالركوب الى ملتقى الملكان فركب شيخ العرب دريد بن الصمة وذو الخمار والعباس ابن مرداس وعمرو بن معدى كرب والأمير هانى بن مسعود وعتبة بن شهاب اليربوعى وكان قد أتى فى عقاب الناس وركب أيضا زيد الخيل والملعون عامر بن الطفيل وركبت ملوك السودان وفى مقدمتهم خال عنتر الملك صفوان بن معدان وسارت الى لقاهم حماة القبائل وفرسان العربان والتقت الفرسان بالملك عمرو بن الحارث وهرقل بن قيصر ودعوا لهما بطول العمر والبقاء واعتذر والهم عن لسان أولاد عنتر ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى العلم السعدى ونزلت الجيوش ونزل الملك هرقل قريب من قبر عنتر ومشى حتى سار واقف بجانب القبر واتكأ على جانبه وبكى ولما وصل اليه عامر بألف ناقة كانوا قد ساقوها معهم فاتكأها ونحرها ﴿قال الراوى﴾ ثم انه بعد ذلك بكى بكاء شديدا وأقبل راجلا يمشى على وجه الصعيد ومن خلفه الملك عمرو بن الحارث فعند ذلك نهض اليه الملك زهير والملك الغضنفر والملك الجوفران والامير عمرو ذو الكلب وزيد بن عروة وياسر وليث الميدان وجميع من كان حاضر ومنهم من مشى والتقى بالملك هرقل الى قدام وقد أجلسوهم فى أهل مكان وجلست بين أيديهم جميع الفرسان وأقاموا ذلك اليوم جميعهم يتحدثوا بما صار لهم من الشأن وما فعلوا فى هذه العربان قال ولما أصبح الصباح وأقبلت عليهم العبيد والرعيان

ودنوا اليهم من أبعد مكان وأخبروهم أن قد لاح لهم من الشرق غبار حتى سد الاقطار فأرادوا أن يرسلوا من يكشف لهم الاخبار واذا بانه فارس قد قصدوهم ولما تقربوا منهم تبينوهم فعرفوا انهم من بنى لخم وجذام وبنى شيبان ومن ورائهم الملك المنذر بن النعمان فخرجوا اليهم الملوك والامراء والفرسان وترجلوا اليهم وتلقوهم من أبعد مكان فعند ذلك أمروهم بالركوب وجميع الفرسان والامراء وقالوا لهم اركبوا وسيروا والتقوا بابن الملك كسرى قال وكان لمجىء هؤلاء الملكين سبب عجيب وأمر مطرب غريب وذلك انه وصل الى كسرى أخبار خارجى قد خرج على الدولة الكسروية وقد ملك البعض من البلاد الخراسانية فعند ذلك أحضر الوزراء والحجاب واستشارهم فيما يفعل من تلك الاسباب وكان يقال لهذا الخارجى بيرديك ابن مردشمان فما أشار عليه أحد بشىء الا الوزير الموبذان وقال له يا ملك الزمان اعلم أن ثبات ملك الا كاسرة من قديم العصر والاوان لان أباك اذا عصت عليه العرب ردها بالعجم واذا سطت العجم ردها بالعرب وأنزل بها النقم والرأى انك ترسل الى نائبك على العربان المنذر بن النعمان وتأمره أن يسير الى سائر البلاد لاسيما وقد سمعنا ان عنتر بن شداد قد ظهر له ثلاثة أولاد فيهم أميرة تسمى عنيترة وقد فاقت على سائر الاقران وقهرت الابطال والواحد يسمى الملك الغضنفر والآخر يسمى الملك الجوفرار وقد تيسر الامر وانقضى الشغل وهان قال فلما سمع الملك كسرى من وزيره ذلك القول والبرهان فأمره أن يكتب الى الملك المنذر بن النعمان أن يسير الى أولاد عنتر عنيترة والغضنفر والجوفران وكل من فى أرض الحجاز من الفرسان فلما وصل الكتاب الى المنذر فرد الجواب بحسن الايراد بأن جميع فرسان الحجاز عند أولاد عنتر بن شداد ولهم مدة ثلاثة أشهر يعملون فى عزاه وكل من فى تلك البلاد فلما وصل الكتاب الى الملك كسرى وعلم بما تم من ذلك الامر وما جرى فقال وحق النار والنور وتربة جدى سابور يجب علينا تعزى علما ئنا ونقيم بحماه أصحابنا لانه عنتر كان له علينا خدم كثيرة وعلى

أياتنا فقال له الوزير هذا رأى صائب فعند ذلك أمر بتجهيز العشائر والمكاتب ورسم لهم بالتشاريف والخيول الخاص والجنائب بمراكب الذهب لاجل أولاد عنتر وخلع كثيرة لاجل الفرسان ثم أمر ولده وكان يقال له خرد بردمان يسير الى الحيرة ويأخذ المنذر ويسير هو واياه الى بنى عبس لاجل العزاء لاولاد عنتر ويهنيهم بأخذ ثارهم ويخلع عليهم الخلع السنية ويهنيهم بما ظهر لهم من علو المنزلة والشجاعة فعند ذلك أجابه بالسمع والطاعة ثم تجهز ورحل من تلك الساعة وقد رفعت على رأسه الاعلام والرايات ودقت بين يديه الطبول والكوسات ونشرت له الرايات والازدهارات ولم يزل حتى وصل الى الحيرة وهو بتلك الصفات فخرج الملك المنذر الى لقاه وقد دارت من حوله أكابر دولته ورحب به وحياه ونزل عنده فى قصر المملكة وأقام فيه ثلاثة أيام والملك المنذر يزد له ولجيشه فى الضيافات والاكرام وبعد ذلك رحل طالبا أرض الحجاز ومنازل بنى عبس وتلك المغاز الذى هى موصوفة بأرض الشربة والعلم السعدى ولم يزالوا فى سيرهم مجدين حتى قربوا من ديار بنى عبس وهم على ذلك المعنى وسبق المنذر اليهم وبشرهم كما ذكرنا فقامت الملوك والامراء وساروا والجميع الى ملتقى ابن الملك كسرى وتلك الجيوش والعشائر من العرب والعجم وكان فارس مقدم وملك محتشم ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك دقت الكوسات والطبول وانزعجت الارض عرضا وطولا وترجلت العالم واصطفوا صفين وانفرقوا دهليزين ثم ترجل الملك هرقل بن قيصر ومشى الملك الجوفران وأخيه الغضنفر اليه فعند ذلك حلف عليهم الملك هرقل انهم لا يترجلوا فأبوا عن ذلك وحلفوا عليه لا يسير الى الخيام الا وهو راكب معززه فيه وقبلوا يديه فانحنى ابن كسرى اليه وقبل رأسه الجوفران وبين عينيه وبالركوب أشار عليه فعند ذلك ركبت الملوك والفرسان وساروا يمشون للمكان وهم راكبين الى جانب بعضهم فى تلك الفلوات والقيعان الى أن وصلوا الى أرض الشربة والعلم السعدى والملوك والامراء والفرسان بين

66

أيديهم ولا أحدا منهم بعيد ولا بيدي قال وتقدم ابن الملك كسرى الى ان وصل الى قبر عنتر وترجل وكذلك ترجل ابن الملك قيصر وكل من حضر في ذلك المقام حضر وامر ابن الملك قيصر ان يذبح على القبر ألف ناقة من النوق العصافير وأقبل بعد ذلك على بني عبس وحياهم الكبير منهم والصغير وسعى اليه الملك زهير بن قيس على أقدامه وقبل الارض بين يديه ومشى قدامه وكذلك الغضنفر والحوفران وبقية حماة القبائل والفرسان وتلقوه بالرحب والسعة وأكرموه غاية الاكرام وقدامهم الامن سعى بين يديه ماشيا على الاقدام ونصبوا له كرسي عالي فجلس عليه وسائر الفرسان والامراء واقفين بين يديه وسائر الملوك تتقرب الى قلب أولاد عنتر بكل ما يصل أيديهم اليه قال فعند ذلك نهض الملك المنذر على قدميه ومشى الى عند قبر عنتر وأشار اليه وبكى بكاء شديد ماعليه من مزيد وأنشد يقول

حل المصاب ففي الفؤاد رسيسا * لرزية قدمت وحل البؤسا
بفقد شجاع الحرب عنتر بالما * من نكبة وفجيعة وعكوسا
فلما مضى فكم أسال مدامعا * حزنا عليه وكم أذاب نفوسا
أسفي على من غاب عني شخصه * تحت الثرى في مهمه مرموسا
قد بكت السماء لفقده ولموته * دما وأصبح عيشنا منكوسا
هوت النجوم الزهر عند مصابه * والافق أظلم وانكسفن شموسا
والبدر منكسفا غدا في تمه * حزنا وقد أمسى بأعظم بؤسا
خلت المراكب والمواكب من فتات * عبس وفارق ربعه المأنوسا
يا آل عبس قد فقدتم فارسا * كم قد فتا جمعا وفل خميسا
مردي الفوارس عند مشتجر القنا * يوم النزال وكم أطاح رؤسا
قد كان ليثا في الحروب غضنفرا * حامي العشيرة فارسا محروسا
ويل لعبس مالقت من بعده * ذلا ونهبا من ليوث شوسا
قد طال ماصان الحريم من العدا * من بعد ماتركوا الديار دروسا

أرداهموا بحسامه وسنانه ✵ وسقاهموا باسمر مركوسا
قدكان ذارأى مصيب وقوة ✵ ومقامه بين الرجال نفيسا
فلابكين عليه ماهب الصبا ✵ بمدامع تجرى وتروى العيسا

✵(قال الراوى)✵ فلما فرغ الملك المنذر من ذلك الشعر والنظام قام اليه شيخ العرب دريد بن الصمة والامير هانى بن مسعود وجماعة من الفرسان واجلسوه الى جانب ابن كسرى فى أعلى مكان والى جانبه الآخر الملك هرقل بن قيصر والغضنفر والملك الجوفران ثم انهم بقيوا على ذلك أياما وهم فى أكل طعام وشرب مدام وخيرات وانعام ثم ان ابن كسرى أمر باحضار الخلع ليخلع على فرسان العرب فلما حضرت أخلع على الملك زهير خلعة سنية وعممه بعمامة خز كوفية واركبه على جواد بمركب ذهب وكذلك دريد ابن الصمه لاجل كبره وتوقيره ولاجل تقدمته على الفرسان واخلع على الملك الغضنفر والملك الجوفران وكانوا خلع بالذهب حسان ثم أرسل الى أختهم الاميرة عنيترة خلعة سنية غالية الاثمان لانها كانت منعزلة فى غير ذلك المكان وكذلك أمها الهيفا وناصة الرجال لانهم كانوا محجوبين عنهم والملكتين أم الغضنفر والجوفران الذى هما كانا نساء عنتر فى قديم الزمان وقد طوق للملك الجوفران بطوق من الذهب وبعد ذلك أخلع على ملوك العرب واخلع على كل فارس منتخب ولم يدع أحدا من الامراء ولا من الفرسان حتى شرفه بذلك التشريف وخلع عليهم الخلع الحسان قال ولما كان بعد ثلاثة أيام أمرهم هرقل بن قيصر باحضار الخلع الحسان وما كان أتى معه من الانعام وخلع على ملوك بنى عبس وقد ابتده بالملك زهير والجوفران والغضنفر وبعدهم أخلع على بقية الفرسان وعلى ملوك العربان وعلى حماة الجيش وكبراء العشائر على حسب التدريج من الشجعان وكذلك أرسل الى الاميرة عنيترة خلعة سنية غالية الاثمان وأنفذ لها خلعة كثيرة لتخلع على من عندها من النسوان مثل أمها الهيفا وضرتها بنت أخو الملك قيصر وكذلك أم الملك الجوفران وكل من عندهم من النسوان الذى

الملوك العرب والفرسان وفعل الملك هرقل كما فعل ابن كسرى أنوشروان
وزادهم على ذلك أضعاف لاجل ما بينهم من المعرفة من قديم الزمان وأيضا
فعلت نوابهم ما قدروا عليه من الاحسان وهما المنذر بن النعمان والملك
عمرو بن الحارث الغساني فاستبشرت بذلك جميع العربان الرجال منهم
والنسوان وفرحت بذلك جميع الشجعان وخلعوا عنهم ثياب الاحزان
وكان لهم على ذلك عشرة أيام وقد استغنت من كثرة الاموال الفرسان
ووقعت في ذلك النعم الامراء والعبيد والغلمان والشيوخ والشبان وفضوا
العزاء ومضى كأنه ما كان وتفرقت بعد ذلك الجموع كأنهم لم يكونوا
في ذلك المكان قال وبعد ذلك أحضر ابن كسرى الى بين يديه الغضنفر
والجوفران وأظهرهم على أمر الخارجي الذى خرج على أخيه من ارض
خرسان وقال لهم اذا أرسل اليكم لا تتغافلوا عنه أنتم ومن تقدروا عليه
من العربان فأجابوه بالسمع والطاعة هم ومن معهم من الفرسان ثم رحلت
الملوك كل واحد طالب أرضه ومن له من الاطلال وأيضا جماة القبائل
وما معهم أيديهم من الابطال وبقيت بنى عبس هادين السر مستريحين
من القتال مدة أيام وليالى وهم فى الولائم يرتعون وقد خافت جميع العرب
من بعد منها ومن اقترب وعاد عزهم أقوى ما كان وأخلف عليهم الزمان
باولاد عنتر وهم عنيترة والغضنفر والجوفران وقد سارت بنى قراد أحسن
ما كانت على أيام حاميتهم عنتر بن شداد وكذلك لاجل خلفته لهذه الثلاثة
اولاد الابطال الشداد وأقاموا على ذلك الحال مدة من الزمان وهم فى أمان
واطمئنان وبعد ذلك اشتاق الملك الجوفران الى بلاده وماله من الاوطان
وكذلك والدته زاد بها الهيمان لان ما عجبها ذلك الفلا ففضوا أشغالهم
وأرادوا السفر فشاور فى ذلك اخوته عنيترة والغضنفر فما قدر أحد منهم
يعارضه فيما أمر فعند ذلك أراد الغضنفر يفعل كما فعل أخيه ولما خطر له
ذلك الخاطر الذى به قد خطر فشاور والدته فى ذلك فكانت اليه أسبق
لانها قد اشتاقت الى أرضها وبلادها وقد أخذها القلق وكانت الى قلقها

أشوق فاتفق الامر على ذلك الحال وفى ساعة الحال أمروا باحضار النياق والجمال وحملوا أموالهما ومتاعهما وما لهما من الاثقال بعد ما شاور والملك زهير فلم يتعرض لهما بحال من الاحوال (قال الراوى) وسارا وقد خرج الى وداعهما جميع من فى الحلة من الرجال وسائر الابطال وساروا لوداعهما ثلاثة أيام وبعد ذلك وقفا أولاد عنتر فى ذلك البر والآكام وحلفا على بنى عبس وردوهما الى ديارهم والمقام لان آخر الوداع الرجوع والمفارقة بعد الالتمام وسار كل منهما فى طريق يريد ما اراده والاطلال وعادت بنى عبس طالبة ديارها الرجال منهم والابطال ولكنهم لم يمروا على حلة الا ونهبوها ولا أموال الا وكسبوها الى أن اجتمع معهم غنائم كثيرة وكانوا يفعلون ذلك الفعال فيمن تبقى من أعدائهم ويروا فيه الصواب والخيرة ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون البرارى والقفار الى أن قربوا من الديار ونزلوا وباتوا على بعض الغدران والانهار وقد وكلوا بالغنائم التى غنموها اربعمائة عبد من العبيد الذى لبنى عبس وعدنان وأيضا جماعة من بنى قضاعة الشجعان قال ولما نزلوا فى تلك الارض واستقروا اكل الطعام مع بعضهم بعض واستراحوا الى الصباح فعزت ابنى عبس على السفر والرواح فافتقدت العبيد الموكلين بخدمة جواد الملك زهير فما وجدوه ولا عرفوا من أخذه وقد فقدوه فهاج الجيش واندهل كل أحد وتحير فقال الملك زهير والله لقد تم علينا ما يتم على الحضر فقالت عنيترة أيها الملك لا تحزن ولا يأخذك من ذلك فكر فوحق خالق الخلق ومنبع الماء من الحجر الذى أخذ الجواد لو طار فى السهول والوعر لاذيقنه الموت الاحمر فعند ذلك نهض جرير وقال للملك زهير لا تحزن انا أخليك ترحل من هذا المكان الا وجوادك تحتك فاما أن أقع به وبمن أخذه فيكون بسعادتك وبختك ثم ان جرير تحزم وتعمم وكذلك فعل الخزروف الآخر تعمم وتحزم ثم ان جرير قال لعنيترة يا ابنة لاخ لا ترحلون من موضعكم حتى آتيكم بالجواد وبمن أخذه ولو طفنا سائر البلاد ثم انه أخذ معه ابن أخيه الخزروف وسار طالب الاودية والاوعار

وهو مثل الطير اذا طار والى جانبه الخزروف وكل من رآهم لا يشك أنهما من الانس بل من ابطالهما كانا معدودين لمثال وسارا يستقصا الآثار ويقتفيا الاخبار ليلا ونهارا مدة ثلاثة أيام ولما كان في اليوم الرابع ظهر لهما أثر جواد طالب صوب ديار بني ضمرة فلما نظر جرير والخزروف ذلك فرحا وعلما انها عليهما سفرة مباركة قال فعند ذلك جدا في المسير وغدا غدوا يعجز عنه الطير الذي يطير واذا بفارس وهو سائر أمامهما فلما نظراه تبعاه واخفيا حسهما الى أن مضى من الليل الاكثر وقد كل ذلك الفارس من السير والسفر ونزل على بعض الغدران وهو قد أمن من نوائب الزمان وعلق على جواده وقد اطمأن قلبه وفؤاده فعند ذلك وثب جرير والخزروف الى عند الجواد واذا به جواد الملك زهير والسلال الذي أخذه قاعد على جانب الغدير وهو يغسل في يديه ورجليه وله وجه مثل القمر المنير فتبينه جرير واذا به شاب أسمر عطر كأنه فلقة قمر لا نبات بعارضيه فعند ذلك لاحت من السلال التفاتة فنظر جرير والخزروف وقد رمقهما بعينيه فطار الشرر من منخريه ووثب قائما على قدميه وأخذ خنجره بيده وحمل على جرير والخزروف وقلبه عليهما ملهوف *(قال الراوي)* هذا والخزروف وجرير لما نظرا الى ذلك السلال وقد طلبهما أخذا اهبتهما الهجوم عليه ووصول الاذية اليه وأخذ جرير عن يمينه والخزروف عن يساره وكل واحد منهما يجتهد في قتله ودماره ونظر السلال ذلك الحال فعلم أنه في مقام الخطر مع هؤلاء الاثنين على قتال السلال في نفسه لابد أن آخذ معهما في القتال الى أن يصبح الصباح ويبان الاودية والبطاح وأنهزم من قدامهما وأطلب الرواح وان نصرت عليهما أكن من الرجال الاوقاح ثم ان السلال خرج عن الاثنين واتسع في الميدان ولعب بهما بين يديه مثل العصافير اذا التقتهم العقبان واخذا في الضرب والطعان وسار يهمز قدامهما مثل همزات الغزلان وكلما طلبه جرير ليضربه فلم يجد له خيال وكلما طلب الخزروف ليضربه فلم يجده قدامه ولا رأى لهما مثال فحارا الاثنان في طلب السلال وهمهما

عليه هجمة أسود الدحال وانقضا عليه كما ينقض الجارح على الحمام وكان مرادهما أن يسقوه كأس الحمام ولما نظر السلال الغدر من الاثنان خرج من بينهما أسرع من لمحة العين وطلب متسع الفضاء وطار محافقين فلم يرا له غبار وقد اختفى فى أقل من ساعة عن الابصار ولا تدركه أعين النظار فحار الخزروف وعمه جرير من ذلك الحال وقال ما هذا الا من الجن ولا هو أبدا من الرجال فقال الخزروف لعمه جرير والله يا عم ما هذا من بنى آدم بل هذا بلاء مبرم فوحق بارئ النسيم وموجد الاشياء من العدم لا سمعت ولا رأيت مثل هذا فيمن مضى وتقدم وما بقى فى الامر الآن الا أخذ جواد الملك زهير ونعود به الى صاحبه لانه عنده أعز من أهله وقرائبه وهو عنده غاية مراده ويكمد أعداءه وحساده قال فلما سمع جرير كلام ابن أخيه رآه صواب وأمر لا يعاب فقال له نعم ما قلت يا ابن الاخ ثم انهما رجعا الى الجواد وهو واقف يعلك فى لجامه وقد انحل حزامه فشد عليه سرجه وسار به معهما من وقتهما وساعتهما ولم يركبا أحد منهما بل سارا مشاة والخزروف ماسك بالجواد وقد أتعبه من السير فى البرارى والوهاد ولم يزالا سائرين الليل والنهار مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلع عليهما غبار حتى سد الاقطار ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك الغبار ان السلال الذى سرق الجواد من جيش بنى عبس وبنى قضاعة وطلع به فى أقل من ساعة كان هذا السلال يقال له عمرو بن أمية الضمرى وكان قد نشأ فى بنى ضمره ولم يعرف له أب وكان قد انتشا فى بيت عطارد ملك بنى ضمره وكان عنده بمنزلة عظيمة ولما انتشا وكبر خرج منه نار محرقة وصاعقة مبرقة لا يخمد له نار ولا يعدله على عيار وهو فحل جسور وليث صبور ويقدم على كل الامور لا يهاب الرجال ولا يبالى بالابطال قال وكان هذا الجواد الذى تحت فضاله كان قد أخذه من بنى نبهان من خيل المهلهل وكان قد وصف بين يدى عطارد سيد بنى ضمره وكان لا يتغافل عنه مره بعد مرة وكان اسم ذلك الجواد المطال وكان لا يوجد مثله فى سائر الاطلال ولما أعيت عطارد الحيل

فى أخذ ذلك الجواد امتنع من جفنه الرقاد وأوعد السلالين بالاموال
والنوق والجمال فسارت الى بنى نبهان الرجال فما نال أحد منهم منال ولا بلغ
مراد من كثرة العبيد التى متولية خدمة ذلك الجواد وقد تعبت السلالين
والقصاد وسمع عمرو بن أمية ذلك الكلام من الرجال والفسوان والابطال
بأن ملك القبيلة لم يلتذ بمنام على ذلك الجواد المطال فلما سمع ذلك دخل على
عطارد وقبل الارض بين يديه فضحك عطارد فى وجهه وسلم عليه وقال له
ما حاجتك يا أمير عمرو فقال له أيها الملك بلغنى من بعض الرجال ان فى قلبك
نيران الجواد المطال فقال الملك عطارد صحيح ما سمعت وأنا قد احرمت
الطعام وامتنع من جفنى لذيذ المنام فقال له أيها الملك الهمام وحق من حلل
الحلال وحرم الحرام أنا آتيك بالجواد ولو ان حوله قوم ثمود وعاد فقال له
عطارد وحق ذمة العرب كنت أشاركك فى مملكتى وأقاسمك فى نعمتى فلما
سمع عمرو ذلك الكلام تحزم وترسم فى عاجل الحال ضرب له لثام وخرج من
قدام الملك وشق بين المضارب والخيام ولما توسط البرطاح يجرى مثل
ذكر النعام وتم سائر يقطع البرارى والآكام مدة خمسة أيام وفى اليوم
السادس وصل الى ديار بنى نبهان ونزل على بعض الغدران وأقام ينتظر
قدوم الليل وفروغ النهار فلاح له غبار من قدامه قد على وسد
الاقطار وأظلم منه ضوء النهار وكان ذلك الغبار غبار بنى عبس وبنى
قضاعة وقد وصلوا الى ديار بنى نبهان فى تلك الساعة لانهم بعد ما ودعوا
الامير الغضنفر والجوفران وعادوا راجعين عطفوا على بنى نبهان كسروهم
وقتلوا الرجال وسبوا النسوان ونهبوا العبيد والغلمان وأخذوا المال والخيل
والجمال ووقع من قسم الملك زهير الجواد المطال فجعله له مركوب وقد فرح به
ونال المطلوب وكان الذى أتى به عنيترة بنت عنتر لانه رأته جواد ما ملك مثله
كسرى ولا قيصر فلما أخذ زهير الجواد نال به غاية القصد والمراد وساروا
بعد ذلك طالبين الديار والاوطان فتبعهم عمرو بقوة جنان ولم يزل تابعهم
ثلاثة أيام ولما كانت الليلة الرابعة شق عمرو بين المضارب والخيام وتخطى

رقاب العبيد والخدام الى ان وصل الى المضرب الذى فيه الجواد فرأى حوله خمسة وعشرين عبد النجاب فذبح منهم عشرة وهم الذى نائمين فى الطريق وأعدمهم السعدة والتوفيق وسحب الجواد وتخطى به المضارب والخيام الى أن صار خارج البيوت وجز الجواد فطار به كأنه هبوب الرياح ولم يزل سائر الى أن أصبح الصباح وقد أمن على نفسه بهلول النهار فى ذلك البطاح الى الليلة الثانية وكذا الليلة الثالثة لحقه جرير والخزروف وهو على ذلك الحال وقد نزل على الغدير يستريح من المسير وجرى لعمر وماجرى مع الخزروف وجرير وكان قد قرب من ديار بنى ضمره فساق عمر وساعة من النهار حتى وصل الى الديار وأوقع النفير وحثهم على المسير وسمع عطارد ملك القبيلة بما جرى لعمر ومن الخبر فصاح الخيل يا أرباب الخيل العجل العجل قبل حلول الاجل فما كانت غير ساعة حتى ركبت فرسان بنى ضمره وركب معهما عطارد وسار فى خمسة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وسار وم يجدون المسير خلف الخزروف وجرير مدة ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع لحقوا جرير والخزروف وهما نزول على بعض الغدران وهما يظنون انهم ما نجوا من نوائب الزمان فلما نظرنا الخيل دارت بهما من اليمين والشمال وأحاطت بهما الابطال فى ساعة الحال ومسكوا الخزروف وعمه جرير وأخذوا الجواد وأقاموا بنى ضمره ذلك اليوم ولما كان عند الصباح ركب الملك عطارد ودارت من حواليه بنى ضمره الاقران وساروا طالبين ديارهم والملك عطارد افرح بأسر جرير والخزروف وأخذ الجواد وهو كأنه ملك الدنيا بطرفيها واحتوى على كل من فيها وشد جرير والخزروف على جوادين بالعرض وساروا يقطعون الارض ليلا ونهارا الى ان وصلوا الى الديار ونزلوا وفرحهم قرار وقد ربط الملك عطارد جرير والخزروف فى بعض الخيام ووكل بهم العبيد والخدام وأقاما فى الشدة ثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع دخل عليهما بعض النساء وبينهن واحدة كأنها بدر التمام مليحة القد والقوام

(قال الراوى) ولما دخلت المضرب الذى فيه جرير والخزروف ورأتهما

فى ذلك

فى ذلك الحال وتبينت وجه الخزروف لحقها الانذهال وتساقطت دموعها بالانهمال وأرمت روحها عليه وقبلته بين عينيه وغشى عليها فعند ذلك ضمها الخزروف الى صدره وتبينها واذا هى زوجته التى تزوج بها فى ديار بنى سعد لما غار روضة بن منيع على بنى جزة وأخذ الخزروف أمية بنت الملك عطارد وقد ذكرنا فيما تقدم وكيف غزت بنى جزة على بنى سعد وأخذ عطارد ابنته وكيف هرب جرير والخزروف والتقوا ببنى عبس وكانت أمية حملت من الخزروف ولما بقت فى ديارها وقر قرارها ما مضت عليها غير ايام قلائل حتى وضعت أمية غلام ذكر كأنه فلقة قمر فحبه الملك عطارد لانه ابن ابنته وأمعن فى تربيته الى أن انتشى ودب ومشى وخرج منه نار محرقة وصاعقة مبرقة وكأنه ساعى معدوم فى زمانه وكان فارس خيل وخائض الليل سلال محتال واذا ركب ظهر الجواد يقهر الابطال وان طلبته الخيل لا يلحق له غبار ويسبق فى جريه الطير اذا طار وأقام الى أن سمع جده عطارد بالجواد المطال وغلب فى ماله كل سلال وسمع عمرو بذلك فسار وأخذ الجواد من بنى عبس لما نهبوا بنى نبهان وسار جرير والخزروف فى طلب الجواد وأخذوه من عمرو ولحقوهم فى الطريق أعدموهم السعادة والتوفيق وساروا بهم الى ديار بنى ضمره وسمعت أمية بذلك فأخذت معها ثلاث جوار ودخلت على الخزروف وجرير فلما عرفته وقع بها الاندهاش والتحير وعرفته معرفة خبير فوقعت فى صدره وقد حار الخزروف فى أمره وعرفها الخزروف وقال لها أنت أم عمرو فقالت نعم أنا زوجتك وعمرو ولدك وهو منك وأنت منه ثم انها خرجت من وقتها وساعتها ودخلت على أبيها وعرفته بالحال وقد شكت اليه ما عندها من البلبال وكان أبوها كان علم انها تزوجت فى بنى سعد بالخزروف ولكنه لم يعرفه فى غير تلك الايام وكانت لما انتهى بها الحال جابت عمرو وكبر ذكروا ان أبوه مات فى بعض الغزوات وكانت أمه تخاف أن تعرفه بأبوه يخليها ويمضى اليه وتبقى طول عمرها متحسرة عليه فكتمت أمرها الى أن جرى ما جرى للخزروف وأتى الى ديارها فهاج عشقها

وبابا لما وقد ذكرنا فيما تقدم انها حبت الخزروف محبة عظيمة ولما سمع أبوها كلامها بعث فى الحال خلف عمرو وقص عليه ذلك الامر وقال له ياولدى هذا الذى عندنا أسير فهو أبوك والثانى عمه وهما من أكفر العرب حسب ونسب هذا الخزروف بن شيبوب أخو عنتر الذى مات وذكره باقى ما بقت الشمس والقمر فلما سمع عمرو ذلك الكلام من عطارد اندهل وتحير وخرج طالب المضرب الذى فيه الخزروف وقد فرح واستبشر ولما دخل عليه و رأى أبوه وقع فى صدره وقد حار الخزروف فى أمره وبعد ساعة أتت العبيد والخدام ومعهم الخلع والانعام وقد حلت العبيد الخزروف وعمه جرير وقد لحقهم من ذلك الامر التحير هذا وقد ركبوهما على ظهور الخيل ومشى عمرو فى ركاب أبوه الخزروف وقلبه فرحان ملهوف ومازال كذلك الى أن وصلوا الى مضرب الملك عطارد فخرج بنفسه وتلقاهما فلما رأى جرير والخزروف الى ذلك الحال ترجلوا واعتنقوا بعضهم البعض ودخل بهم الى المضرب وأجلسهما الى جانبه وقد وقفت فى الخدمة اهله وقرائبه وعملوا الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وكان عمرو بن أميه الضمرى ساعى ركاب رسول الله عليه السلام وهو ينسب الى أميه لان أباه ما رآه الى أن كبر وكان اسمه بين السعاة عمرو بن أمية الضمرى يعنى يعرف ببنى ضمره واقام جرير والخزروف عندهما ثلاثة أيام وهو فى نعيم زائد وعيش راغد وبعد ذلك اشتاق جرير الى أرض الشربة والعلم السعدى فقال لابن أخيه الخزروف يابنى أنا اشتقت الى الديار فقال له الخزروف ياعم أنا كل يوم عندى مقوم بهام ورب الملك العلام ثم ان الخزروف دخل على أمية زوجته بنت الملك عطارد وكان ابوها أنزلها هى وبعلها فى أعز مكان وجعل لهما مضارب وخيام وخيول وجمال وعبيد وخدام ونوق وفصلان وبقى الخزروف كأنه ملك من ملوك الزمان ولما دخل على زوجته وأعلمها انه اشتاق الى أهله وعشيرته وانه يريد يسافر هو وعمه جرير فقالت له زوجته وأنا أروح معك الى أهلك و وطنك فأعلم الخزروف ولده عمرو بذلك فقال له يا أبتى أنا ما بقالى صبر على فراقك

وبقيت كل ساعة اشتاقك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الخزروف ذلك الكلام من ولده وزوجته خرج من عندهم واعلم عمه جرير وقال له يا عم انا شاورت زوجتي وولدي على المسير والسفر فقالوا الامر لك نسير ففرح بذلك القول جرير وقال له يا ولدي لا بد لنا اننا نشاوره بركب في ذلك فقال الخزروف الليلة أخلي ابنته تشاوره في ذلك الحال ولما كان عند المساء أقبل جرير الى مضربه وسار الخزروف الى عند زوجته وقال لها هل أعلمت أبوك عن حال السفر فقالت له نعم وقد قلق لاجل فراقك وتحير وقال لي يا ابنة أنا أعلم ان بعلك فارس الخيل وخائض الليل وكذلك بني عمه بني عبس الفرسان الكرام الذي تسميهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام وما منهم الا كل فارس همام وبطل ضرغام لا سيما وقد سمعت انه قد التقى فيهم الى عنتر فتى اسمها عنيترة وقد قهرت الشجعان وأذلت الفرسان والابطال وأعادت ملك بني عبس مثل ما كان فان اخترت وبعلك أن يأخذك معه فأهلا وسهلا وقلبي يكون عليك في أمان عظيم اذا كنت في ديار بني عبس وعدنان وقد أذن لي أبي بعلك في السفر والمسير ولا بقي هنا اعاقة ولا تقصير ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الخزروف من زوجته ذلك الكلام فرح واتسع صدره وانشرح وقال يا أمية يكون السفر بعد ثلاثة أيام لاني لاجل الوطن قد احترمت المنام فقالت له زوجته ما بقي لك أبدا اعاقة وان اشتهيت يكون السفر في هذه الساعة ثم انها قامت من وقتها وساعتها ودخلت على اباها وأعلمته بذلك ﴿قال الراوى﴾ فأمر العبيد والغلمان بالتجهيز الى ديار بني عبس وعدنان فأخذت أهبتها وبعد الثلاثة أيام عزموا على الرحيل وخرج الملك عطارد بنفسه وقد حمل جهازا بنته على ستين جمل وجعلها في هودج عظيم من العرعر ومعها اثنى عشر جمل محمل فوقهم البنات والجوار والخدام والاحرار وأرسل معها ألف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس ومعها خمسمائة من النوق والجمال وثلثمائة خيل وبغال وأربعين جارية خمسين عبد وكان بحر ومقدار ألف ناقة ومائة عبد وخمسين جارية حلالها

عماذكرنا الامية وسار الملك لوداع ابنته وقد ركبت لوداع اهله وعشيرته وشدوا الاحمال على الجمال وساروا مدة ثلاثة أيام وليال وحلفوا على الملك عطارد وردوه الى دياره بعدما ودع ابنته وابنها والخزروف وجرير وعمه وساروا طالبين ارض بنى عبس وقد طاب لهم المسير والخزروف فرحان بما أعطاه الملك المنان الذى لا يشغله شان عن شان الى أن وصلوا الى الديار ورؤا بنو عبس ذلك الغبار الذى قد سد الافق والاقطار من كثرة الخيل والجمال والبنات والعبيد والاحرار فظنوا انه بعض الاعداء فأعلموا فضالة والاميرة عنيترة بذلك فصرخ زهير فى بنى عبس فما أمكنته عنيترة من ذلك بل قالت له يا ملك ماهذا صواب وتضيع هيبة الملك بل أنا اركب واكشف ذلك الخبر فان كانوا أعداءنا أفنيناهم وان كانوا أصدقاءنا فيا بشراهم فلما سمع فضالة هذا الخطاب رآه فى غاية الصواب ثم ان عنيترة ركبت فى عاجل الحال وركب لركوبها ألف فارس من الشجعان ﴿قال الراوى﴾ لهذه السيرة الحجازية العجيبة وما سارت غير ساعة واحدة حتى التقت بها جرير وقد تقدم ليعلم بنى عبس بما وصل اليهما من النعمة والمال والجمال وغير ذلك فلما وقعت عينه على عنيترة وقربت منه عرفته وترجلت فى الحال ونزلت عن جوادها ونزل هو الآخر أيضا عن جواده واعتنقا الاثنان وسلما على بعضهما بعض وما افترقا حتى وصل الخزروف وما معه من ذلك المال الممدود والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وسلموا على بعضهم البعض بعدما ترجلوا على وجه الارض وعادوا بعد ذلك الى ظهور الخيل ولم يزالوا سائرين الى أرض الشربة والعلم السعدى وكانت عنيترة ارسلت بعض العبيد يعلم الملك زهير ﴿قال الراوى﴾ فركب فى ساعة الحال والتقاهم فى أطراف البيوت فتذكر جرير ملتقى الملك لاخيه عنتر فقال سبحان الحى الذى لا يموت أبدا ودخلت القوم الى داخل المضارب وقد أمنوا من النوائب والتقت الاحباب بالاحباب وأولمت بنى عبس الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وخافتهم جميع العباد وصاروا أحسن

ما كانوا أولا فى أيام عنتر بن شداد وأحيوا ذكره بعد ما مات وشاع ذكر
عنيتر بكل الحلات وسارت عنيترة تركب وفى خدمتها مثل جرير أيضا
المعروف وعمرو بن أمية المعروف وبقت سائر النساء والرجال اليه
تشوف لاجل ما فيه من البهاء والجمال وقد افتتن بحسنه النساء والرجال
وسارت تركب لركوب عنيترة أربعة آلاف فارس من بنى قضاعة وعمرو
يركب فى ألف فارس من بنى ضمرة ورحلت من عندهم العربان وقد أمنوا
من صروف الردا وقعدوا فى ديارهم وقد أمنوا وقر قرارهم وداموا على
الافراح والمسرات واغتنام اللذات *(قال الراوى)* ولما رحلت العرب
وأقامت بنو عبس فى ديارهم فقال جرير لعمرو اعلم يا بنى انى كبر سنى ومرادى
أسير الى مكة المشرفة وأزور البيت الحرام وأجدد عهدى برسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال عمرو وأنا أسير معك ثم ان عمرو استأذن أبوه فى المسير
مع عمه جرير فأذن له فى ذلك *(قال الراوى)* فساروا الاثنين الى أن
دخلا الى مكة فوجدوها قائمة على قدم وساق وقد زاد فيها الارعاد والابراق
ونظروا الى جموع غزيرة فسألوا عن السبب الموجب لذلك فقيل ظهر بمكة
رجل اسمه محمد يدعى النبوة وقد قاموا عليه أهل مكة وقريش ونفروا عن
كثرة أبيهم ومرادهم يسيرون الى عند حبيب بن مالك يشكون له من أمره
فقال جرير لعمرو سيروا بنا معهم حتى نراه ونعلم السبب وننظر ما يجرى له مع
العرب فنفروا بجملة من نفر وطلعوا مع أهل قريش وهم غارقين فى السلاح
(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل أن ينزل عليه الوحى فى الفلاة فكان يتعبد فى غار حرا الى أن بلغ
أربعين عام ونزل عليه أمين الوحى سيدنا جبرائيل عليه الصلاة والسلام
فعلمه أول آية نزلت فى القرآن العظيم وهى اقرأ باسم ربك الذى خلق فقال
ألست بقارئ فقال ان الله سبحانه وتعالى أرسلك رحمة للعالمين وأنت
رسوله الامين وأنا جبرائيل وان الله تبارك وتعالى يأمرك أن تبلغ قومك
وتنذرهم وتأمرهم أن كل معبود من دون الله تعالى فهو باطل *(قال

الراوى * فرجع النبي صلى الله عليه وسلم وجميع ما يمر عليه من حجر ومدر وشجر ورمل والجميع يقولوا الصلاة والسلام عليك يا رسول الله فيلتفت فما يرى غير المذكورين فرجع الى بيت خديجة الكبرى رضى الله عنها وأخبرها بذلك فقامت وراحت الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان على دين خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان حكيما عارفا فأحكت له على ما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها يا خديجة ان كان ذلك وقع له فانه هو الرسول الاعظم والنبي المكرم المنتظر في جميع الكتب وبشرت به جميع الاحبار فأول من آمن به من النساء خديجة بنت خويلد وصدقت برسالته وأول من آمن به من الشيوخ سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأول من آمن به من الصبيان سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه وأول من آمن به من العبيد بلال بن حمامة وكان أصله عبدا لامية بن خلف رأس الكفار فلما علم باسلام بلال صار يعذبه بعذاب ما يكتفه في رمضاء مكة فيمر عليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فيسمعه يقول الله أحد فيقول له يا بلال ان لم ترجع عن هذا الكلام والا أجعلك معاروح بالا كلام فلما سمع أبو بكر الصديق رضى الله عنه ذلك الكلام توجه الى سيده أمية بن خلف فقال له الى متى تعذب هذا المسكين فقال له أعطينى عبدا من عبيدك وخذه وكان عند أبى بكر الصديق عبد مبرم وهو مقيم على كفره فلم يسلم أبدا فدفعه اليه وأخذ بلال عوضه وعتقه وكان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذو صوت حسن وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين وهو يعرض نفسه على قبائل العرب من الموسم الى الموسم ويقول هل فيكم من يحمى ظهرى حتى أبلغكم رسالة ربى فيأبون عن ذلك فأنزل الله عليه وانذر عشيرتك الاقربين * قال الراوى * فجمع النبي صلى الله عليه وسلم عشيرته وقومه ودعاهم الى عبادة الملك الديان وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان فشاع ذلك الكلام كله بمكة المشرفة وأظهروا له العداوة والحقد والحسد قال

أبو

أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بينما أنا ذات يوم من الايام خارج من شعب بنى مخزوم اذ لقينى أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال لى يا عتيق ان صاحبك محمد جمع قومه وعشيرته وأهله وأقرباءه ولم يتبعه وليس يقول انى سيد وأمير حتى أدعى النبوة وقال انى نبى مبعوث من اله السماء وحق اللات والعزى والهبل الكبير الاعلى لان داوم على قوله هذا ليكونن ذلك وبالا على قومه وعشيرته وكل من يتبعه ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يا أبا الحكم انى من منذ أمس ما رأيته فقال له أريد منك أن تمضى اليه وتقول له أن يرجع عن هذا الكلام والا فقد دنا وباله وقرب دماره وانى قد أضمرت له العداوة فقال أبو بكر ها أنا أروح اليه ثم انى سعيت الى أن أتيت الى دار خديجة بنت خويلد فأقبلت وطرقت عليهم الباب فقالوا من بالباب فقلت أبو بكر فأسرعوا وفتحوا الباب فدخلت عليهم واذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عمه أبو طالب والفضل أبو العباس وجماعة من كبراء قومه وباقى عمومته فسلمت على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الجماعة الحاضرين وجلست وجعلت أحدثه بما سمعته من أبو جهل بن هشام لعنه الله فوثب أبو لهب وقال لأخيه العباس ما جلوسك هنا قم وخذ متاعك وأودع مالك لانى أرى ستثور فتنة عظيمة كبيرة يكون لها صياح شرقا وغربا ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قول عمه أبو لهب والعباس أطرق الى الارض وقد نزل عرقه على جبينه كاللؤلؤ المنتظم فقالت خديجة رضى الله عنها الا تم نفسك وأنت تعلم ان خزائنى مملوءة من الاموال فقم الآن واشدد عزمك وانفق على الرجال واجمع الابطال وقاتل من يعاديك فقال أبو بكر يا محمد هذه أموالى وما أملكه الجميع بين يديك وبحكمك وأنا وأهلى وعشيرتى فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم جزاكم الله خيرا اعلموا انى منتظر أمر ربى عز وجل ﴿قال الراوى﴾ بينما هو يحدثهم اذ هبط عليه المعاوق بالنور جبرائيل عليه الصلاة والسلام فوقف له فى الفضاء والهواء وكان النبى صلى الله عليه

وسلم اذا كشف الوحي يتطاول عنقه ويشخص بصره وتقع عمامته عن رأسه والرداء عن منكبيه لان جبرائيل عليه السلام كان يهبط عليه في الصورة التي خلقه الله فيها وقد نشر اجنحته ولمعت أنواره فيحصل عليه هيبة من ذلك من هيبة الله تعالى فناداه السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك جل جلاله وتقدست أسماؤه يا حبيبي يا محمد وصفوتي من بين خلقي ماخلقت خلقا على أكرم منك ولا أفضل منك ولا أجل منك أتفزع من مخلوق مثلك وأنا لك أنا الله الذي لا اله الا أنا خلقت جميع الخلق ورزقتهم ولو شئت لهديتهم اجمعين فلاقصرن ولايدخلك رعبا وعزتي وجلالي وارتفاعي في علو مكاني لامهدن لك ولانصرنك في الدنيا ولادخرن لك العقبى حتى يدين بدينك العرب والعبد والحر واخبرك بأن قريشا الابد ان يخرجوا من مكة ويستعدون عليك بالعرب ويأتون بحبيب بن مالك بن صعصعة وانه سيقدم الى مكة في عشرين ألف عنان وسيدعي بك اليه فاذا دعاك اخرج اليه من غير جزع ولا فزع فاني سأجعل لك آية عظيمة ومعجزة تفتخر بها على كل من آمن بك وتبعك وتتفضل بها على سائر أهل مكة ويتم فخرك ويعلو قدرك وانه سيقدم ومعه ابنته سطيحة وانها بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر وتكون براءتها على يديك وانه قد زوجها الملك من ملوك الارض يقال له عياض بن مرة وانه قد حمل اليها مهرها ألف ناقة وألف جمرة وألف حصان وألف عبد وألف جارية غير الاموال والاثاث وان ابن مرة قد طالبه بها ويريد أن يزفها عليه ويعلم انها سطيحة بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر أبدا وقد قال في نفسه أريد أن أحملها الى الكعبة وأطوف بها سبعة وأفيض عليه من ماء زمزم وأنذر للكعبة نذرا ان عادت خلقا سويا وهو يماطل زوجها ويوعده ويسوقه ويهنيه وقد قال في نفسه أريد أحضرها الى محمد بن عبد الله وأقول له ان كنت نبيا حقا ورسولا أمينا وقولك صدقا فاسئل الملك العلام أن يردها خلقا سويا كسائر النساء فان فعل ذلك

آمنت به

آمنت به وصدقت برسالته ودعوت قومي الى اجابته وكنت له عونا على كل من خالفه فان سألك فأجبه وأوعده بقضاء حاجته وسل ما شئت فان ربك قريب مجيب قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أخي يا جبرائيل الا تقدر أن تهبط على في غير هذه الصورة فقال له جبرائيل عليه السلام ففي اى صورة تريد أن أهبط عليك فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة رجل من أصحابي فقال له جبرائيل عليه السلام أنا أهبط عليك في صورة دحيي بن خليفة وكان دحيي حسن الوجه ذو شعرة ووفرة وهو رجل تام الطول حسن الوجه قال فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم فرحا وسار عنه الوحي ولم يخبر أحدا من أصحابه بما أخبره جبرائيل عليه السلام وخرج ابو بكر رضي الله عنه ويده في يد عمر بن الخطاب وبه عمار بن ياسر رضي الله عنهم فقال عمار لابي بكر ما تفتح اليوم حانوتك فقال لا والله من ذا تطيب نفسه أن يبيع أو يشتري حتى ينظر ما يكون من أمر قريش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما كان من الغدا ركبت مشايخ قريش ورؤساهم في مائة وسبعين ألف سيد يقدمهم أبو جهل لعنه الله وبين أيديهم العبيد بالسيوف المدنية والدرق البجاوية والرماح الخطاية ومن وراءه الموالي على النجب السباق والخيول العربية العتاق وقد حملوا على المطايا الماء والزاد وهم في أحسن زينة وأكمل عدة وأجل سلاح فساروا حتى قدموا على بدر واذا بالملك حبيب بن مالك وهو نازل على ماء بدر وقد طبق الارض ذات الطول والعرض وهو جالس بالخيم ومن حوله السادات والفرسان فلما نظر اليهم عرفهم وحقق معرفتهم وأقسم وقال وحق اللات والعزى ما قدمت مشايخ قريش وساداتهم بالعساكر والصفوف الا وهم في مقام عظيم وخطب جسيم وحق الاله العظيم ما الفوا الالوف واستعدوا بالعساكر والصفوف الا على محمد بن عبد الله ثم ان القوم لما عبروا في الجيش وتخطوا بين الخيم وسعوا الى بساط الملك حبيب وقفوا على باب المضرب واستأذنوا عليه بالدخول فأذن لهم فدخلوا على الملك

حبيب وهو غارق فى لبس الديباج الاخضر وهو جالس على كرسى من
العرعر مصفح بالفضة البيضاء وعلى جسده حلل من الحلل النفيسة لبس
الملوك الكبار وهو عظيم البأس شديد المراس عالم فاهم أديب لبيب وكان
رجل طويلا وكان بطلا نبيلا وكان قد دخل فى دين اليهودية وجادلهم
ودخل فى دين النصرانية وجادلهم ودخل فى دين المجوس وجادلهم ودخل
فى كل دين وقرء فى سائر العلوم والحكمة والبيان وكان فصيح اللسان واسع
العينين فنظر الى سادات قريش وهم يخطرون فى حللهم و يجرون حمائل
سيوفهم فترحب بهم وقال لهم أهلا وسهلا بسادات الحرم وأرباب الحطيم
وزمزم وخير الأمم فماذا قدمتم وأى شئ طلبتم فلكم الاكرام
والاحترام والاعظام قال فلما سمعوا كلامه وفهموا نظامه قام اليه أبو
جهل لعنه الله وقال له أيها الملك الكريم والرئيس العظيم اعلم ان الدين
القويم هو دين اللات والعزى وما كان عليه أباؤهم الاولين وماله ناصر
غيرك لان ما بقى من ذرية جدهم سوار بك المعاذ والملاذ لانك تعلم علما
يقينا ان أصحاب البيت الحرام و زمزم والمقام والمشاعر العظام وانهم
أهل العز والشرف والرفعة والسلف ونحن بحقهم عارفين ولقدرهم مجلون
وقد ظهر فيهم غلام يتيم كفله جده عبد المطلب فلما مات كفله عمه أبو طالب
وانه من حين انتشى فينا صار يكفرنا ويكفر بآلهتنا ويهزء بنا وبديننا ولقد
كنا نكف عنه أذيتنا حفظا لاهله وعشيرته فطمع فينا بالحال وهو يجتهد
على هذا الفعال حتى انه عجز وقال انى نبى مبعوث و رسول مرسول قد
أرسلنى اله السماء والارض الى سائر المخلوقات من أسود وأبيض وأحمر وحر
وعبد وانا نراه فى كل وقت يشخص ببصره الى السما ويرتعد وتأخذه رجفة
فنظن ان به جنون فنسأله عن ذلك فيقول ان جبرائيل الروح الامين
يغشانى فاحتار عقلنا وها نحن قد جئنا اليك قاصدين وبك مستجيرين
واليك مستندين والذى نريده منك أن تدخل مكة وتنزل الابطح وتجمع
مشايخ قريش ورؤساهم وتحضر بنى هاشم وتأمر باحضار هذا الغلام

وتحضر له

وتجادله بين العرب فانا نعلم انه لا يتصل الى عملك ولا يثبت لجملك فاذا هو وقف بين يديك وصمت عن جوابك ألقيناه من بيننا وقتلناه فان طائفة من الناس كبيرة قد صبوا اليه ودخلوا فى دينه واننا قد أحضرنا خلوف المسك والزعفران مع ماء الورد الممسك والعنبر والكافور لوجوه خيلكم وقد أحضرنا الرماد والبول والنجو والسخام لمن دخل فى دينه وتبعه فان ذلك مما يزيدهم عار قال فلما سمع الملك حبيب هذا الكلام أجابهم الى ما طلبوا وضمن لهم ما أرادوا ثم انهم أقاموا عنده فى ضيافته ثلاثة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام فلما كان فى اليوم الرابع أمر جيشه بالرحيل وخيامه بالتحويل وهم مجدين الى أن وصلوا الى مكة المشرفة وأشرفوا على الابطح ونظروا الى تلك القباب والهوادج ولاحت لهم الاعلام والاهبة والعدد الملاح واللمعات الزرد والخود والسلاح والخيل الملاح والجنائب تذف زفا والفرسان من فوق متونها صفا صفا وقد كان أبو بكر رضى الله عنه خرج ذلك اليوم الى مكة ومعه المغيرة بن أبا شعبة وأبا عبيدة عامر بن الجراح وكان رضى الله عنه خبير بالرجال والسادات وعارفا بالبطون الكائنات فكان اذا نظر الفارس عرفه وعرف ما يريد ويعرف سائر الرايات والاعلام واذا سار دالك يقول هذا فلان وهذا فلان وهذا رايت فلان وهذا علم فلان ابن فلان ولما نظر القباب والهوادج وكثرة الرجال فتميز الجميع فوجدهم عشرين ألف فارس غير الرجال هذا وقد أقبل الملك حبيب كانقدم بالابطح وأركز رايته ونصب سريره وجلس عليه وجيوشه وأرباب دولته حواليه ولما علمت قريش بقدومه فسارت اليه من كل شعب وواد وانتشروا فى البر مثل الجراد والسيل اذا انحدر على النهار فسلموا عليه فرد عليهم السلام وقربهم وأدناهم الى أعلى مقام وأجلسهم بجانبه فى صدر الديوان وقال هل بقى من أهل مكة أحد ولم يحضر هذا المحضر فقال أبو جهل لعنه الله لم يبق الا بنى هاشم وبنى عبد المطلب فانهم تخلفوا واستكبارا على الملك فقال حبيب لقريش امضوا وجيئوا على ابن أبى طالب وأخبروا وقولوا لهم وعنديتهم

فساروا اليه أربعين سيد من سادات قريش وهم المشار اليهم فهم راكبين على خيولهم وهم فى همة ورياسة وسطوة وحماسة فلما وصلوا وقد طرق الباب فخرج اليهم ابوطالب وفتح الباب ولما نظرهم قال أهلا وسهلا بالاحباب ماشأنكم وما أتى بكم وما حاجتكم فقالوا له أجب الملك حبيب بن مالك أنت واخوتك وأصحابك ومن يلوذ بك من أحبابك فقال حبا وكرامة ودخل الى منزله وأدعى ثيابه فلبسها وتزين بها فكان قميص آدم عليه السلام ثم استدعى بعمامة أسمعيل وحلت ابراهيم الخليل ونعل سليمان ابن داود عليهم السلام ثم طلب اخوته وكانوا عشرة وهم العباس وحمزة وجحيل وعكرمة والحارث وعقيل وأبالهب وعلى وجعفر أولاد أبوطالب فلما حضروا عنده أخبرهم بما أمر الملك فقالوا له سير بنا اليه ولما أقبلوا على الابطح كان مقدمهم أبوطالب ومن حوله من اخوته وأولاده وعشيرته وقد حفتهم السكينة والوقار والهيبة والانوار رفعت مجدهم وعلو قدرهم فلما أتوا الى الابطح قامت لهم العرب على الاقدام وفرجوا لهم عن طريقهم مابين الخيام حتى وصلوا الى الملك حبيب وطلبوا الاذن فى الدخول فأذن لهم فدخلوا وسلموا عليه فأحسنوا ولما بلغوا وتكلموا فصحوا فرد عليهم السلام بعدما قام لهم قائما على الاقدام وأجلسهم بجانبه ولما استقربهم الجلوس وكان بأحسن زينة وملبوس فابتدأهم الملك حبيب بالكلام وقال يابنى هاشم ان جميع العرب لم تنكر شأنكم وفضلكم واحسانكم وان الملوك بكم تستجير فى كل امر عسير ويفتخرون بفضلكم وكرمكم اذا مسهم التقصير وان أهلها ورؤساءها قد اجتمعون وقصوا قصتهم وهم يشكون من ابن أخيكم الذى ظهر فيكم وهو يزعم انه نبى مبعوث ورسول رب السماء وان الانبياء والمرسلين يأتوا بالعلامات والبراهين ويظهرون الدلائل والمعجزات وتكون الخبر مخبرات ويجب على ابن أخيكم أن يأتى المعجزات فى هذا المحضر حتى يشهدون له العرب والحضر ان كان له بذلك قوة قبل أن يتكلم ويدعى النبوة فاذا العرب نظرت الى معجزاته ودلائله صدقوا قوله واتبعوه

وصاروا حوله وان كان مجنونا أو مهزوا أو كذابا فليجب عليكم أن تأخذوا عنه جانبا وترجعونه عن جنانه وتمنعونه عن مراده وتعلموه ان هذا شئ لايتم على العرب ولا على سائر أهل الرتب من ذرية ابراهيم الخليل فانى وحق الخليل قد منعت العرب عن قتله وعن تبديد شمله وذلك حذرا على سفك دماءهم وترميل نساءهم وحفظا لكم وكرما لانسابكم وقديم أسلافكم وفضائلكم وحسن أوصافكم وأما وانتهى هذا الكلام عند قوم غيركم من الاقوام وهو يكفر بآلهتكم العظام ويسب آباؤكم الكرام ويهزؤبكم وينهاكم عن عبادة أصنامكم لرأيتم ما يجرى عليه وكنتم تسارعون بالاذية اليه وتسعون فى هلاكه وتدميره فالواجب عليكم وعلى كباركم ان تحسنوا ابين العرب الذين بجواركم وترضوا الناس ما ترضوا لانفسكم ولا تنكروا فضل أرحامكم وأنسابكم فأجابه أبوطالب وقال أيها السيد الكريم ان ابن أخى لم يأتينا كرها ولا جبرا وانما قال لنا يابنى عمى وأهلى وقومى يجب على أن أنصحكم اعلموا انى قد جئتكم بآية من ربكم واضحة ودلالة ظاهرة وهو انى أدعوكم الى عبادة رب العالمين ألا تنظروا الى السماء كيف رفعها والى الارض كيف سطحها والليل والنهار كيف خلقها والشمس والقمر كيف أنارهما والنجوم والسحاب كيف سيرهما ومع ذلك انى أقسم عليك أيها الملك بآبائك الكرام وأجدادك العظام أن تسأل العرب عما يعرفون منه وما كانوا يسموه من صغره الى حد كبره وما ينقلون لك عنه فعند ذلك سأل العرب الملك حبيب فقالوا له نعم صدق ابن عبد مناف انا سميناه من صغره الصادق الامين فلما سمع أبوطالب كلامهم فقال ياملك الذى من صغره يسموه الصادق الامين فلا يكون فى كبره كذاب مهين فقال الملك حبيب هذا شئ لا يتفق ولا يكون وانى أحب أن أراه بالعيون وأسمع كلامه وحقق وأسمع ما يقول ان كان عاقل أو مجنون فقال له أبوطالب أرسل اليه حاجب من حجابك يدعوه اليك بين الاصحاب فاذا احضر اسأله عن ذلك الارتياب فهو يرد لك الجواب ولا يعجز عن الخطاب فادعى الملك بحاجب من حجابه

وقال له امضى الى دار خديجة بنت خويلد واقف بالباب واطرقه اذا اجابك
أحد غير محمد فقل انى اريد محمد فاذا خرج اليك فقول له ان عمومتك عند الملك
حبيب ويدعوك تحضر عندهم فى الحين قريب وان حبيب اراد ان ينظر
الى شخصك وأوصافك ويسمع كلامك وانصافك فنهض من بين الجماعة
أبا جهل بن هشام لعنه الله وقال أيها الملك ما ترسل اليه الا جمع كثير حتى
اذا لم يأتون به طوعا أتون به كرها فقال له حمزة والعباس وسائر أعمامه ويلك
يا عادم السياسة ومستفخ بالرياسة ترى أى مخافة تكون عليه ونحن
متقلدين بسيوفنا وانه لم يأت فى هذه الساعة مع الجماعة طوعا من يقدر
يأتى به كرها ونحن لنا سيوفا قاطعة وأسنة لامعة وأسود مانعة وانه الساعة
يحضر فاقصر كلامك ولا يطول أرغامك ويظهر لك قدام الملك حبيب
وقدام أصحابه فقال الملك امضى لما أمرتك فركب الحاجب فرسه وسار
الى نحو خديجة بنت خويلد وتلك الديار فلما وصل طرق الباب طرقا خفيفا
فطلت اليه جارية من جوار خديجة فنظرته وعادت الى النبى صلى الله عليه
وسلم وقالت يا مولاى رجلا بالباب كهلا له وجه بضئ ولباسه حسن وهو
يدق الباب فقال سيد الاحباب امضى اليه واسأليه ما حاجته فخرجت
اليه الجارية وسألته فقال لها قولى لمحمد برز فى وجهه فرجعت الجارية
وأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم بما قاله الحاجب فوثب عليه الصلاة
والسلام وفتح الباب فلما رآه الحاجب حصل له ارتياب وخفق قلبه وطار
لبه وطاش عقله وزاد رعبه فأثنى رجله من الركاب وترجل عن دابته
ومسك أذنه وتقدم الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ يده فقبلها وقبل
صدره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم روح وريحان وكرامة
ورضوان فقال له الحاجب يا سيدى أجب عمومتك فانهم عند الملك حبيب
ابن مالك وانه قد أحب أن يرى جمالك وينظر حسن وجهك وبهائك
ويسمع الى حسن كلامك وألفاظك ويمتاك فقال صلى الله عليه وسلم
سمعا وطاعة وحبا وكرامة لله عز وجل ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم

دخل منزله ولبس أثوابه التي كانت جعلتها له خديجة وهو قباطي أبيض
من قباطي مصر وتعمم بعمامته وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطيب لحيته
وعوارضه لان رائحته اذكى من كل طيب بل كان يأخذ المسك والعنبر
ويضعه في مفرقته وشعره وتردى برداء عدل في غاية الرقة هذا وخديجة
رضي الله عنها تنظر اليه ودموعها قد بلت خدودها شارقة عليه وزينب
ورقية وأم كلثوم يبكون لبكائها بكاء غير مكتوم فهبط الامين جبرائيل عليه
السلام في الصورة التي خلقه فيها رب الانام وبيده حربة الغضب ولها
شعبتان عجب شعبة في المشرق وشعبة في المغرب ونادى وهو نازل من
الهوى السلام عليك يا أحمد يا محمد يا خير مولود يا سيد المرسلين الله يقرئك
السلام من دار السلام ويقول لك وعزتي وجلالي ما أرسلت نبيا الى قوم
أفضل منك ولا أكرم منك ولا أحب الي وانك أنت نبي الرحمة وامتك
المرحومة ها أنا معك عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن فوقك ومن
تحتك وعزتي وجلالي لا يخلو مني مكان ولا يتكبر على انسان امضي الى
هذا الرجل من غير فزع ولا جذع وقد أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة
ان يسيروا حول النبي صلى الله عليه وسلم قالوا سمعا وطاعة فسمع النبي صلى
الله عليه وسلم كلام الملائكة الكرام ونظر اليهم بدر التمام يتلألأ وجهه
نورا وابتساما وسرورا وأوحى الله سبحانه وتعالى الى الشمس أن انكسفي
في وجه حبيبي محمد فانكسفت ولمع في وجهه نور حتى عم أهل مكة ولم يبق
منزلا ولا علو الا ودخل به هذا النور وأوحى الله تعالى الى الكمال والبها
والضياء والثناء والعز والمفخار والوقار أن اسعوا بين يدي حبيبي محمد صلى
الله عليه وسلم وسار صلى الله عليه وسلم ونوره يزيد عن نور الشمس والقمر
وجبرائيل عن يمينه والملائكة يسيرون عن يساره ويقفون لوقوفه وهم
يهللون بالتسبيح والتقديس حامدين شاكرين لله رب العالمين ومازال
صلى الله عليه وسلم حتى دخل الكعبة وصلى ركعتين في مقام أبونا الخليل
عليه السلام وخرج من الدار المعروفة بباب النبي صلى الله عليه وسلم فنظرا

الابطح وهو مزدحم بالخيل والرجال فعظم ربه ذو الجلال والاكرام وكان مابقي في مكة أحدا لا وسلك هذه المسالك وقد خرج الى حبيب بن مالك لينظر مايتم بينه وبين بني هاشم ومايجري من هذه الامور العظائم وكان الملك حبيب جالسا على سريره العرعر واكابر قريش بين يديه والعشائر جميعا حوليه في عشرين ألف غضنفر وكلهم قيام ينتظرون قدوم النبي صلى الله عليه وسلم سبقته أنواره وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه بين يديه ولما وصل الى القوم جعل يخترق صفوفهم ويتخاطى الوفهم فهابوه ورهبوه تكريما له وتعظيما وقامت اليه قريش اجلالا له وتعظيما فلما رأى الملك حبيب في هذا الشان من القوم ومافعلوه عند اقبال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم تعجب في نفسه وقال ان هؤلاء القوم أتتني سلالتهم الكرام واشرافهم العظام وهم جميعا يشكون من هذا الرجل العظيم ويستعدون عليه في التحليل والتحريم ومنهم جماعة يسبوه ويؤذوه ولما حضر اليهم رآهم يوقروه وهذه الاشياء والله من علامات النبوة لامحالة ودلائل الهداية والرسالة وأنا أشهد انه نبيا حقا ورسولا صدقا ثم ان الملك حبيب أحضر له كرسي من الذهب الاحمر مرصع بأنواع معادن الجوهر ليجلس عليه النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه بيده الشريفة وأبى أن يجلس عليه وجلس على الارض وقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال الملك حبيب في نفسه وهذه دلائل أخرى وهو التواضع وجلس النبي صلى الله عليه وسلم بجانب الملك حبيب فشخصت اليه الابصار وسكنت الحركات والانظار ونزلت الهيبة على النبي صلى الله عليه وسلم والوقار فابتدر الملك حبيب بالكلام اليه وقال ياأبي القاسم وما كان على وجه الارض من كني بهذه الكناية الا هو صلى الله عليه وسلم فانه سمي محمد وكني بأبا القاسم ولا يجوز لاحد أن يكني بهذه الكناية الى يوم القيامة وكذلك عتيق كني بابي بكر ولقب بالصديق وكذلك علي رضي الله تعالى عنه كني بأبا تراب ولقب بحيدرة والكرار وألقابه كثيرة وأما حبيب

ابن مالك الملك قال يا أبا القاسم اعلم ان هؤلاء الشيوخ من أهل مكة وسادات قريش ذكروا عنك أنك تقول انك نبي مبعوث بالحق ورسول أرسلك ربك الى كافة الخلق من بدو وحضر وفرس وديلم وترك وعجم هل صحيح هذا عنك فقال صلى الله عليه وسلم نعم أرسلني بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فقال حبيب اعلم يا محمد أن لكل نبي دلالة وحجة وبرهان وآيات تدل على تصديقه بأنما كن فأما نوح عليه السلام فانه بعث الى البر الى أهل بن نهل وكانت آيته السفينة وصالح الى الملك جريج وكانت آيته الناقة وابراهيم بعث الى النمرود وكانت آيته النار وموسى بعث الى فرعون وكانت آيته العصا وعيسى كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله فان أنت أتيت بآية كما أتوا الانبياء من قبلك كنت من الصادقين وتمسك بحبالك فقال صلى الله عليه وسلم أطلب ما شئت من الدلائل فربي على كل شيء قدير فقال له حبيب أطلب منك أن تسأل ربك أن يرد الليلة الصاحية ظلما ويجعلها ذات حنادس وظلمات بعضها فوق بعض من كل ناحية الى الصباح فلا يكاد مخلوق ينظر الى ضوء صباح ثم تصعد الى جبل أبي قبيس وتنادي للقمر ويكون في تمامه وكماله ثم انك تأمره أن يركض في السماء ركضا بليغا من مطلعه الى أن يقف على سطح الكعبة ثم يطوف بها سبعا ويسجد في مقام الخليل ابراهيم ثم تأمره أن يقبل عليك ويقف بين يديك ويكلمك بكلام فصيح عربي مبين لا يشكل على انسان ويسمعه القاصي والداني ويسلم عليك ويشهد أنك نبيا حقا ورسولا صدقا أرسلك الله تعالى كما زعمت ثم يدخل في زيقك ويخرج من ذيلك ويعود ثانيا ويدخل في زيقك ويخرج من كمك الايمن نصفه ومن الكم الايسر نصفه ثم يمضي نصفه الى المشرق والنصف الثاني الى المغرب ثم يعودرا كضان في السماء كركض الجوادين المسرعين ثم يلتقيان فيصير بدرا كاملا منيرا كما كان في ليلة تمامه وكماله فقال أبو جهل لعنه الله عند تمام كلام الملك حبيب وسار يشير اليه بكمه وهو يقول له

أحسنت أيها الملك الكبير والولى المشير والسيد الخطير لقد فرحت القلوب وفرجت عنا الكروب اذا أنت طلبت من محمد بن عبد الله ما لا يقدر عليه لا هو ولا أبوه فقال صلى الله عليه وسلم اجلس يا كلب قومه وأخس عشيرته ثم أقبل على حبيب وقال له اطلب منى أقوى من ذلك فان ربى على كل شئ قدير فقال له الملك حبيب يا محمد فلقد طلبت منك المنا وبلوغ السائلين والحكمة للمعتبرين قال فما تم هذا الكلام حتى هبط جبرائيل عليه السلام وقال يا محمد الله عز وجل ربك يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك سل الملك حبيب عن ابنته السطيحة فقال صلى الله عليه وسلم فسأله عنها فقال ومن أعلمك بها فقال جبرائيل عليه السلام فقال حبيب يا محمد أيقدر ربك أن يعيدها خلقا سويا فقال نعم ان ربى على كل شئ قدير وقد وعدنى أن يعيدها فتكون أحسن نساء قومها وأجملهن وأكملهن فقال له ان فعلت ذلك آمنت بك وأقررت برسالتك وأدعوا قومى الى اجابتك وأكون داعيا لطاعتك فعند ذلك وثب صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين ودعى الى الله سرا بينه بعدما سلم ذات اليمين وذات الشمال وبعدها قال للملك قم الآن وادخل الى بنتك وانظر ماذا صنع المولى فى ابنتك فوثب الملك حبيب فدخل الى بنته فوجد ابنته وهى قائمة على أقدامها وهى كالقمر المنير زائدة المحاسن والاوصاف حالكات الشعور سالمة الاطراف وهى تقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندها خرج أبوها مسرعا وأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يقبل رأسه ويديه وأسافل قدميه وقال له يا رسول الله أمهلنى حتى تظهر معجزاتك التى طلبتها وبعدها أسلم أنا وقومى على يديك ولكن وعدنى فى أى وقت يكون ذلك فقال له يكون ذلك عند غياب الشفق وسواد الافق وانى ما أوعدت وأخلفت قط ثم قام عليه الصلاة والسلام وسار الى منزله وتبعوه أهله وعشيرته وأعمامه وأبو بكر الصديق أمام القوم يفرق الناس عن رسول الله حتى خرج من الابطح وما زال سائرا الى أن وصل

ودخل

ودخل على خديجة فوجدها راكعة لله وساجدة وأدمعها تجرى فقال لها
لا تبكى ياخديجة وماهذا الخوف والقلق أتظنى أن الله عز وجل يسلمنى
الى عدوى كلا بل أنا الظافر ولعدوى قاهر وبعد ساعة دخل عليهما
أبى بكر الصديق وهو مندهش فقال له ياسيدى يارسول الله لا شك انك
عاينت هذا الجيش وكثرة هذا العشائر وانه لم يبق سيدا فى قومه ولا أميرا
فى عشيرته الا وقد حضر وشهد عليك بما ضمنت فهل تقدر أن تظهر لهم
ماقالوه وطلبوه فانه أمر عظيم فقال صلى الله عليه وسلم ياأبابكر طب نفسا
وقر عينا فان ربى على كل شئ قدير فقال له عمه أبو طالب ياسيدى يارسول
الله سألتك بالله لا تفضح هذه الشيبة فتصبح ذليلة بعدما كانت عزيزة
ولا تفضح قومك بين أهل مكة وقبائل العرب فتصير فيهم شهرة ومسبة
وقال عمه العباس ياابن أخى يامحمد الله فينا وفى أهلنا يامحمد احفظنا واحفظ
علينا عرضنا فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسكتوا ياقومى
وعشيرتى وياأهلى وياأعمامى فانى ماآيست من رحمة ربى ثم قام الى محرابه
وجعل يناجى ربه وهو ساجدا راكعا فهبط جبرائيل عليه السلام
وقال له ياأخى يامحمد ارفع الآن رأسك ان الله عز وجل يقرئك السلام
ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك وعزتى وجلالى لم أخلق خلقا أكرم
على منك ولا خلقت شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا نهارا ولا فلكا دوارا
الا كرامة لك يامحمد وعزتى وجلالى لقد أمرته بالطاعة لك من وقت خلقته
وكونته ثم ان جبرائيل عليه السلام قال وها أنا ياأخى يامحمد واقف عن
يمينك والحربة بيدى فاذا الفلك وعصك ونهم ساكة وته أول مرة
وكان شمسا انصار قمرا فقام صلى الله عليه وسلم ودخل مقام الخليل ابراهيم
عليه السلام وصلى فيه ركعتين ثم انه دعى ربه وصعد الى جبل أبى قبيس
عندها نادت العرب جميعا وقالوا يامحمد قد أقبل الليل وغاب الشفق فتى
تظهر لنا معجزاتك فقال لهم حتى أصلى العشاء الاخيرة وأقضى فرض ربى
عز وجل فلما صلى صلاة العشاء وفرغ من صلاته نادى فى أهل القبائل

وسائر الجحافل والجحافل النازلين بالمناهل وكان صلى الله عليه وسلم معه أربع رجال من بني هاشم وهم عمه حمزة والزبير وطالب وعقيل أخيه وقيل ابن طالب عقيب والمقنب يحسب بعشرة آلاف رجل قوية من الرجال العتية وانه كان يلقاها وحده ويكون راجحا عليهم ويبلغ منها ما يريد ويجرح منها وهو سليم وكان الزبير أيضا سيد بني هاشم فاذا أتى علي كرم الله وجهه أغمد سيفه جميع الاسياف وقد أعطاه الله من القوة والبأس والهيبة والوقار ما لا عليه نقص ولا عيار وكانوا عزلا لا أربعة الذي ذكرناهم محتاطين بالنبي صلى الله عليه وسلم خوفا عليه من الاعداء المبغضين الى ان كان وقت صلاة العشاء أذنوا وصلوا الجميع ولم يكن يومئذ بمكة من يوحد الله مع النبي صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء الرجال كانوا يعبدون الله سرا فنادى عند ذلك حبيب بن مالك وقال يا أبا القاسم قد صليت العشاء الاخيرة فاظهر لنا الآن ما قلته من الكلام ومن الضمان حتى اننا نصدقك جميعا ونؤمن بك وبرسالتك ونقر بفضلك وتشملنا بركتك وتثبت عندنا مقالتك وتأتي بحجتك فمد النبي صلى الله عليه وسلم يده الكريمة وبسطها بين يديه ورفع طرفه الى السماء وقرأ ما تيسر وابتهل الى الله عز وجل فأوحى الله تبارك وتعالى الى الملك الموكل بالظلام أن يخرق مقدارهم الخياط فأخرق الملك فانسد منهم سائر الافق وجميع الطرق وقد أظلم المشرق والمغرب وعم الظلام الروابي وسائر الآكام والبر والبحر وسائر الوعر ولم يبق ينظر شيأ حتى باطن الكف صار لا يرى ولا ينظر وخمدت النيران وأظلم الخافقان فصاحت العرب بأجمعهم وقالوا يا محمد يا أبا القاسم من شدة الظلمة فأشار النبي صلى الله عليه وسلم الى القمر بيده وقال له بأعلى صوته السلام عليك أيها الخلق المطيع الدائر في الافلاك السريع اعلم انني أشهد أنك آية من آيات الله عز وجل وعلامته فاظهر لنا الآن ما قيل من المعجزة ومن الكرامة التي لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب نبي الله ورسوله فاتم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى رأوا القمر قد اتسع واستدار وهبط

وارتفع ثم انه جعل يركض فى السماء مثل الجواد العربى ومازال حتى وقف
على الكعبة شرفها الله ثم انه كر راجعا الى جهة النبى صلى الله عليه وسلم
ووقف بين يديه مدة ساعة ثم انه سلم بلسان فصيح طلق وكلام مليح غير
قلق وقد سمعت الناس جميعا مقالته ولم أحد منهم ينكر معرفته وهو
يقول السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبى القاسم
السلام عليك يا حبيب الله أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد
ان محمدا رسول الله ثم انه بعد ذلك الكلام انقض ودخل ذيله وخرج من
ذيله وعاد ثانيا ودخل فى ذيله وانشق نصفين فخرج نصفه من كم الايمن
وخرج نصفه الثانى من كم الايسر ثم طلع كل نصف من جهة شرقا وغربا
ثم ركض فى السماء مثل الجواد العربى حتى اجتمعا مع النصفين بعضهما
وسار قمرا منيرا كاملا مستنيرا ثم نادى ثانيا بكلام فصيح أفصح من الاول
وقال أشهد أنك حبيب رب العالمين وأفضل الانبياء وجميع المرسلين
والشافع لامتك المذنبين وذخر للعاجزين والفقراء والمساكين فيا سعد من
تبعك وأطاعك ويا شقى من عصاك وخالفك وقد فاز بالرضاء والرضوان
والمنا من عرفك ثم ارتفع الى مكانه ووقف فى محله الجليل قالوا لابو جهل
لعنه الله أما تنظر لهذه المعجزات الباهرات والآيات العظيمات فكيف
تمادى مثل هذا وهذا الفعال فعاله وهذه الاقوال أقواله وهذه الاحوال
أحواله فقال لهم أبو جهل اللعين ان هذا لسحر مبين وأما حبيب بن مالك
فانه قال للعرب الكرام ومن اجتمع فى هذا المقام هل بقى لكم على أبى القاسم
حجة أخرى أما أنا فقد آمنت به وبرسالته وصدقت بنبوته وأنا أقول أشهد
أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم فى ذلك
اليوم سبعين ألف وثمانون رجلا ووقعت المشاجرة بينهم وبين أبو جهل
وأصحابه وجردوا السيوف وكادت الحروب أن تقع بينهم فقال لهم
النبى صلى الله عليه وسلم يا بنى هاشم ويا بنى عبد الله اعلموا انى قد بعثت ولم
أبعث بالسيف والفتنة فسكتوا نفوسكم وأخلاقكم وكل من أطاع الله

ورسوله يترك من يده السيف والرمح ومن خالف الله ورسوله يفعل كما يشاء ويا قومي امتثلوا الى أن يظهر لهم الحق المبين فسكتوا الناس وسمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم ثم انهم انفصلوا من ذلك اليوم وكلا منهم قد رجع الى موطنه ومضى حبيب بن مالك الى منزله بعد أن سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وزف ابنته على عياض بعد أن أخذ عليه شرط الاسلام والدخول الى دين الاسلام فوافقه على ذلك وأخذوا في اصلاح حالهم فهذا ما كان منهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم رجع الى منزله ودخل على خديجة بنت خويلد وأبو بكر الصديق بين يديه فلما وصل الى منزله تلقته خديجة رضى الله عنها من باب الدار وقبلت صدره ويده وقالت له ياسيدي انى رأيت لك معجزة أخرى فقال وما هي قالت لقد خاطبني هذا الجنين الذى أنا حاملة به فقال لها ياسيدنا حمزة وما الذى خاطبك به فقالت يا ابن الاطيبين كنت قلقة فناداني وقال لى ما هذا الجزع والقلق وبعلك محمد حبيب الله ورسوله وصفيه وخليله وهو المنصور المؤيد على أعدائه قال فتبسم صلى الله عليه وسلم من كلامها وقال ان الله تبارك وتعالى ما أعطى نبيا معجزة الا وقد أعطاني مثلها وخصني بها وكذلك أخبرني بها جبرائيل عليه السلام بأن هذا الجنين الذى خاطبك وأنت حاملة به هي ابنتي وان الله عز وجل سماها فاطمة الزهراء وهذا ما انتهى الينا من معجزاته صلى الله عليه وسلم في انشقاق القمر وقيام السطيحة لسيد مضر عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأنشد بعضهم يقول

الا معشر الاسلام يهنيكم البشرى * نبيكم شق الاله له البدر
قد امتحنوه الجاهلين بجهلهم * أرادوا به جهلا فأعقبهم خسرا
وأوحى له الرحمن ان سطيحة * بدار أمير القوم ادع لها تبرا
فقام رسول الله صلى وادعا * وقال يا من يعلم السر والجهرا
الهى الهى قم بها فأقامها * كعادتها تمشى سويا على الغبرا
فقامت باذن الله تزهو كأنها * هلالا مضيئا كاملا بدر

واخواننافى الدين قدآمنوابه * أماناأمينا صادقاناطقا جهرا
وقدكان هـذامن ألست بربكم * سعيدون فى الدنياشهيدون فى الاخرا
وأماأبوجهـــل اللعين بجهله * رأى معجزات المصطفى ظنها سحرا
وقدقال عنه ان هـذاالساحر * وأسرافنا كى تستطيع له أمرا
وساروا عليه حاقدين صدورهم * وصلى عليه الله فى كل ذكرا
بماناله من ربه من كرامة * فكانت له فتحا وآخرها نصرا
وكان امام المرسلين وكهفهم * وأولاهـــم فخرا وأعلاهم قدرا
وأرحمهـــم قلبا رؤفا بقومه * اذا أظهروا غيظا يضاحكهم بشرا
وفى يوم بدر والحـديبة التى * أتى مدحهم فى الذكر منه شاهدا ابدرا
وقد بايعوا المختار عهدا موافيا * وقد اشترى الرحمن ميثاقهم طرا
وأولاهم دار السلام فهم بها * نعـــيم مقيم لا تجوع ولا تعــرا
وأعـداؤهم فى النار كلما * أتت أمة للنار تلعنهـــا الاخرا
وأمتـه فى الحشر تحت لوائه * فلا مسهـم برد ولا يشكواحرا
يهللون بالتسبيح والحمدوالثنا * فشكرهم حمدا وحمدهـم شكرا
وتفرح أصحـــاب النبى اذا * نســـير مع المختار يجمعنا زمرا
ومن غاب منا يفتكره بحلمه * ويسجد تحت العرش سجدته الكبرا
ويكفيه فخـرا اذ يقول أنا لها * ورؤيته الرحمن فى ليـــلة الاسرا
ويشفع فى كل العصاة ولم يدع * سوى مشرك بالله يتبعـه الكفرا
عليـه صلاة الله ثم سـلامه * سـلاما زكيا فائقا رائقا عطرا
مادامت الدنيا ومادام أهلها * وان زالت الدنيا بمادامت الاخرا
كذا الآل والاصحاب ماشمس اشرقت * ومادامت الظلما يعقبها فجرا

(قال الاصمعى) ولما انتهى الامر من انشقاق القمر وآمن من آمن بسيد البشر قال جرير لعمرو بن أمية الضمرى ها أنت أبصرت المعجزات وبعينك رأيت وعرفت طريق الهدى اذا اهتديت فهل أنت على ما عزمت عليه من الدخول فى دين الاسلام فقال له عمرو نعم رضيت بذلك وارتضيت فقال

جرير وأما كذلك ثابتا وعنه لا حيد ثم انه أخذ عمرو في يده وسار وامن
وقتهما وساعتهما ودخلا مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فوجدوه بين
أصحابه وهو مثل البدر بين الكواكب فسلما عليه وقال يارسول الله قد
جئنا اليك لندخل في دين الاسلام ونبلغ المطالب بين الانام وكلامنا
لايقبل ملام فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم لهما وقال أهلا وسهلا ومرحبا
بمن يبق أخينا في الاسلام ويعرف الحلال من الحرام ثم مد يده صلى الله
عليه وسلم ووضعها في يد جرير وعمرو بين أيديهم وقد أسلم جرير وعمرو
وفرح النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الامر ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ياجرير من هو اليوم ملك بني عبس وعدنان فقال ياسيدي هو فضالة بن
مالك بن زهير فقال ان فضالة من أصحابنا ولنا زمانا مارأيناه وهو من أحبابنا
ثم انه سأله وقال له ومن هو حامية عبس اليوم فقال يارسول الله هي بنت
أخي عنتر واسمها عنيترة واسم أمها الهيفا وتكنى بقناصة الرجال أخت عمرو
ذو الكلاب القضاعي وان بنت أخي عنيترة الآن في شجاعة قوية وفروسية
جرية ومروءة أبيه وفي أجيه وأي جيه فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم تقدم الى عندي ياأبا الافراح لان فيك الخير وقد بان لي من فعالك
الافراح وقد جعلتك من سعاة المسلمين وجعلت عمرو هذا ابن أخيك
مقدما على جميع سعاتي لاني سمعت عنه عجائب في السعي والشطارة
والقوة والشجاعة وهي من بعض صفاته ثم مد يده الكريمة صلى الله عليه
وسلم ومر بها على جسد جرير فازداد بذلك قوة وشطارة وانبساطا واشتد على
السعي جلاده وكمد بذلك مبغضيه وحساده وسار جرير يعدو مثل الجواد
السارح أو كالطير القادح وأقام بمكة هو وعمرو بن أخيه وهما ملازمين
الركوع والسجود وفرحا برؤية سيدنا محمد المحمود ونسيا أهلهما
والجنود ﴿قال الراوي﴾ فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من حديث
الخزروف بن شيبوب فانه كان مقيما عند بني عبس هو وزوجته أمية أم
عمرو وبنت عطارد أمير بني ضمرة وكان قد سافر ولدها صحبة عمه جرير الى

بعده

مكة كما ذكرنا فطال غياب ولدها عنها وشكت ذلك وبان هذا الامر منها وذكرنا ان من شدة فرح جرير وعمرو بدين الهدى لم يقدرا أن يفارقا رؤية وجه النبي صلى الله عليه وسلم اليوم أو غدا وهم كل ساعة ينظرون الى وجه المظلل بالغمام وقد رسخ فى قلوبهما الاسلام وأنساهما ذلك أهاليهما والعرائب وسائر عشيرتهما والحبائب وأقاما فى أهنا عيش وسرور وقد بلغ كلا منهما طلبه ومناه وشكر على ذلك مولاه *(قال الراوى)* واما زاد بأمية زوجة الخزروف الفراق والنكد والحسرة على الولد واشتد بها الامر شكت الى بعلها الخزروف ولدها عمرو وصار فى قلبها لهيب النار وصارت تبكى الليل والنهار *(قال الراوى)* فلما رأى الخزروف منها ذلك أخذ عبيده الذى أتون مع زوجته أمية وتجهز الى السفر ورواحه الى مكة شرفها الله تعالى وجد وسار وتبطن فى البرارى والقفار ليلا ونهار مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس اشرف الخزروف على مكة ودخل واجتمع بولده عمرو وبعمه جرير وشكى لهم كثرة شوقه اليهما بعدما سلم عليهما وقد لام عمه جرير وولده عمرو على كثرة الغيبة وكيف بقت أمية على غياب ولدها بالحسرة والخيبة فقال له جرير يا ابن الاخ قد أشغلنا عنكم الدخول فى دين الاسلام والنظر الى وجه المظلل بالغمام ومشاهدت زمزم والمقام وأى من أسلم فاز بالجنة ودار السلام ويبقى فى النعيم الاكبر والعز الاوفر والرأى عندى يا ابن الاخ انك تبادر الى الدين القديم والصراط المستقيم والفضل العظيم *(قال الراوى)* فلما سمع الخزروف مقالة جرير فتحت فى وجهه أبواب السعادة والتيسير وانشرح صدره للاسلام بلا تفسير وقد اشتاق الى رؤية وجه المظلل بالغمام بشير النذير وبعدما كان أعمى عن ذلك الامر عاد بصير وبات تلك الليلة والخزروف يهتف بالاسلام فى يقظته والمنام ومازال كذلك الى أن انفجر الصبح بالابتسام وقام جرير والخزروف وعمرو وقصدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه المسجد وسلم جرير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم عمرو بن أمية الضمرى وقال يا رسول الله هذا أبى الخزروف

وقد جاء اليك وهو على دين الاسلام ملهوف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك يا عمرو *(قال الراوى)* فتقدم الخزروف وأسلم على يد النبى صلى الله عليه وسلم المظلل بالغمام وقد شرح الله صدره للاسلام وأضاف النبى صلى الله عليه وسلم الخزروف الى سعاته وأنزله فى بعض أبياته وقال لعمرو بن أمية الضمرى ولد الخزروف يا عمرو وأنت المقدم على جميع السعاة فأمر أبوك أن يسير الى بنى عبس ويأمرهم بالقدوم الى ليسلموا على يدى وكذلك عنيترة تكون من جملة المهاجرين فى دين رب العالمين فقال عمرو لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ما قلت وبه علينا أشرت ثم ان عمرو أمر أبيه أن يسير الى بنى عبس ويميل قلوبهم الى الاسلام *(قال الراوى)* فسار الخزروف طالب أرض الشربة والعلم السعدى وبقى جرير حتى برسله صلى الله عليه وسلم لبعض قبائل العرب وبقى عمرو بن أمية الضمرى مقدم السعاة وسار كل ما طلب رسول الله حاجة منه يرسله فيها حتى أفتقر على أبناء جنسه *(قال الراوى)* وأما الخزروف بن شيبوب فانه سار حتى وصل الى أرض الشربة والعلم السعدى ودخل الى زوجته أمية وطمن قلبها على ولدها عمرو وأحكا لها على ما صار لهم من الامر وعن أسلامه هو وجرير وولدها عمرو وقال لها أنا ما جئت الا انى آخذك وأسير الى مكة نقيم فيها باقى أعمارنا بمالنا وعيالنا وجمالنا ونوقنا ومتاعنا فعند ذلك فرحت أمية بذلك الكلام وأكثرت الضحك والابتسام وقالت له نعم ما فعلت بدخولك فى دين الاسلام وأسلمت من وقتها وساعتها وفرح الخزروف بذلك الهداية والاطاعة واجتمع بابنة عمه عنيترة وأحكا لها على ما جرى له من الامور العظائم ودخوله فى دين الاسلام وأعلمها باسلام جرير واسلام ولدها عمرو واسلام جميع العرب وانهم قد أتوا من كل قفر وسبسب الى خدمة النبى صلى الله عليه وسلم المنتسب والرسول المنتقب صاحب الحسب والنسب وانه قد أطاعته أرباب المعالى والرتب واسلامهم على يد خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام *(قال الراوى)* وأعلم

فضالة وعمرو ذو الكلب وعتيبة بن حصن ومالك وزخمة الجواد ومن تبقى من أعمام فضالة الامجاد ومن جماعة بني عبس وبني قراد الاجواد *(قال الراوي)* ولما سمعوا بحديث الاسلام من الخزروف بن شيبوب مالت اليه منهم القلوب واجتمعوا بعنترة واستشاروا وأنهاوقالوا له يا أبا الزعازع وأبوة الوقائع ما عندك من الراي وعاذا تأمرينا فقال لهم الراي عندي اننا نسير الى حضرة هذا النبي العربي وهو أجل نبي ومطلبي فعند ذلك قال فضالة بن قيس بن زهير وعتيبة بن حصن بن مالك وزخمة الجواد وورقة وجماعة قليلة من بني عبس الذي حضروا بمكة في الاول وكتموا اسلامهم كما ذكرنا فيما تقدم فلما تحقق الخبر من الخزروف وأرتضت عنيترة دين الاسلام قالوا له يا والله يا أميرة نحن على دينه من مدة طويلة وأياما عديدة ولنا زمان نكتم أمرنا فوافقينا على ذلك لننجوا من الشرك والمهالك فلما سمعت عنيترة ذلك مال قلبها للاسلام واشتاقت بالنظر الى وجه المظلل بالغمام فعند ها أجابتهم في الوقت والساعة وفرحت بذلك الجماعة وأسلم عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال وأسلم أكثر من بني قضاعة وأسلمت بني عبس عن بكرة أبيها وأسلم معهم جماعة من بني غطفان وفرسان كثيرة من بني ذبيان وأسلمت في تلك الساعة خلق كثير وقد عولوا الجميع على المسير *(قال الراوي)* فبينما هم كذلك واذا هم بجرير قد أقبل من نحو البر أسرع من الطير الذي يطير وقد أقبل على بني عبس وهو ينادي البراز البراز الى مكة والاسلام على يدين المختار صاحب المعجزات والانوار فهو سيد زمزم والمقام والمشعر العظام والبيت الحرام *(قال الراوي)* فلما سمعوا قوله عرفوه الجميع الرفيع منهم والوضيع *(قال الراوي)* وكان السبب في مجئ جرير الى أرض بني عبس حديث عجيب وأمر مطرب بديع غريب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أرسل جرير الى بعض قبائل العرب يدعوهم الى الاسلام وان يحضروا كلهم الى عند زمزم والمقام ويعرفون الحلال من الحرام فسار جرير من وقته وساعته وطاف قبائل العرب وشوقهم الى نظر النبي المنتسب

والرسول المنتخب وسار الى بنى هوازن وجيشم وسليم وسار العباس بن مرداس السلمى طالب بنى عبس ومعه خفاف بن ندبة ودثار بن رزق وأما دريد بن الصمة فانه لم يسير معهم لما سبق له من الشقاوة وقال أكون شيخ العرب من بعد منهم ومن اقترب وأحول عن مذهب العرب فهذ لا يكون ابدا ولم يشمت بى أحد من العدا وكان قوله هذا لاجل شقاوته وعماوة قلبه لان الله تعالى قد اضله فقاته ولا رحمه وجعل النار مستقره وموطنه وموطن كل من طاوعه على كفره وجهله *(قال الراوى)* هذا وجرير يطلب قبيلة بنى عامر فلم يجيبه أحدا منهم ولا تبع مقاله لاننا قدمنا كفر عامر بن الطفيل وكيف انه طلب قتل النبى صلى الله عليه وسلم ودعى عليه صلى الله عليه وسلم ومات عامر لعنه الله وجعل النار مثواه *(قال الراوى)* وسار جرير بعد ذلك من ديارهم يريد بنى عبس لانهم قد قربوا منه ومازال كذلك سائر حتى أتى فى ذلك الوقت الذى أسلموا فيه الجماعة ولما وصل جرير الى بنى عبس وجد عندهم العباس بن مرداس السلمى ودثار ابن رزق وخفاف بن ندبة وكانوا قد سبقوه الى بنى عبس واستبشرت بنى عبس لما نظروه وفرحوا به غاية الفرح واتسع صدر كل واحد منهم وانشرح واعلم بنى عبس وبنى قضاعة جيران سائر العرب أسلموا الجميع الرفيع منهم والوضيع *(قال الراوى)* فعند ذلك أخبروا جرير أن الخزروف أخبره عن الاسلام وانهم أسلموا ففرح جرير بذلك واثنى عليه وقال لهم جرير خذوا أهبتكم الآن للمسير وسرعة التشمير فعندها أخذوا الجميع أهبتهم للسفر وكلا منهم قد فرح واستبشر وأقاموا يجهزون حالهم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع استقبلوا الطريق ولا بقى لهم عايق يعيق ولا بقى فى العلم السعدى وأرض الشربة لا ديار ولا من ينفخ النار وساروا الجميع طالبين مكة والخزروف قد شد لزوجته أمية على بعض الجمال هودج وهو بالزينة يرتهج وقد دارت بالهودج العبيد والغلمان والخدم وكل فارس محتشم والخزروف راكب على جواد أدهم أقب أرثم بغرة كالدرهم وفى خدمته

جماعة من عبيده وكذلك ركب جرير على جواد أحمر له غرة كأنها كوكب الصبح اذا أسفر فقال جرير والله ما أركب بجواد وأنا في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول العباد الهادي الى طريق الرشاد فقال له الخزروف يا عماه اركب الى أن تصير بالقرب من مكة وسير أمسيقا وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم *(قال الراوي)* فاستحى جرير من الخزروف بن شيبوب وركب ذلك الجواد وسار وابني عبس بالاموال والعيال والنياق والجمال وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه ما أتى به من الاحكام وهو يبين لهم الحرام من الحلال ويسمعون ما يقول من الاقوال وهم قيام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة المشرفة حماها الله تعالى وزادها حرمة واكرام فنظروا الى الاصنام وقد اندثرت والاوثان قد رميت فعندها دخلوا في الاسلام رغبة فيه وحبوه غاية المحبة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام جالسا بين أصحابه كأنه البدر بين الكواكب فتسارع كل أحد منهم اليه طالب وهو في تقبيل أياديه راغب فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وفرح باسلامهم وقد جددوا اسلامهم عليه وأظهروه بين يديه وأسلم في ذلك الوقت العباس بن مرداس السلمي وخفاف بن ندبة ودنار بن روق وجميع من وصل من بني عبس وعدنان وبني قضاعة الشجعان وأسلمت عنيترة وجددت اسلامها هي وخالها عمر وذو الكلب وأمها وأعمامها وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظم صورتها وكثرة هيبتها مع ما سمع عنها من قوتها وشجاعتها وفروسيتها وبراعتها فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهها وقال يا عنيترة ان قاتلتي في دين الاسلام مثل ما كنتي تقاتلي في الجاهلية ضمنت لك على الله الجنة فقالت يا رسول الله وحرمة دين الاسلام لاقاتلن بين يديك قتال تقصر عنه الاوهام وتعجز عنه جميع الانام فدعى لها رسول الله عليه السلام وقال لها بارك الله فيك يا أم الزعازع وقواك على قتال الكفرة اللئام في سائر المعامع وضربت بني عبس خيامها في مكة في المنزل المعروف بهم طول

الزمان وأقاموا هناك فى أمان واطمئنان هذا والخزروف قد نظر الى ابنة عمه عنيترة بعين المحبة فاراد زواجها وقد زاد فيها رغبة وفى رغبة ولما زاد به الامر وهو من مزيد شوقه اليها والعشق يتلظى على الجمر أراد أن يتزوج بها على زوجته أمية فقصد الى زهير بن قيس وأعلمه بذلك القصد وقال له يا ابن العم أريد منك أن تخطب لى عنيترة بنت عنتر لاننى قد اشتهيت ذلك قبل أن أموت وأقبر فقال له زهير السمع والطاعة ولا بد أن أدعوها الى وأشاورها فى هذه الساعة فقال له جرير أيها الملك امض أنت اليها واخطبها والى أرغبها *(قال الراوى)* فعند ذلك قام زهير ودخل على عنيترة من وقته وساعته وشاورها فى زواجها بابن عمها الخزروف وأعلمها انه على زواجها ملهوف فقالت له أيها الملك المفضال معاذ الله أن أتزوج أبدا ولو شربت كأس الردا ولا أشمت بى العدا *(قال الراوى)* فلما سمع الملك زهير ذلك من عنيترة لم يرد عليها جوابا ولا خطابا وخرج من عندها وأعلم الخزروف بذلك فزاد به الامر وعلم انه هالك لا محالة وزاد وباله فقام من وقته وساعته ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم وقبل يديه وسلم عليه وعلى من كان حوليه وقال يا رسول الله أريد أن أتزوج بابنة عمى عنيترة على سنة الاسلام لأننى يا رسول الله بها مستهام زائد الغرام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فى حلال من عيب ولا رهبانية فى الاسلام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفذ خلف الاميرة عنيترة عبده بلال بن حمامة يدعوها اليه فسار بلال فى الوقت والساعة ودخل عليها وأبداها بالسلام فردت عليه بالتحية والاكرام فقال لها أيها الاميرة ان النبى صلى الله عليه وسلم يدعوك اليه وأن تحضرى بين يديه فقالت له سمعا وطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ثم انها أقبلت تهرول نحو المسجد وبلال خلفها وهى أمامه ومازالت عنيترة سائرة الى ان وصلت الى النبى صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه وقالت له السلام عليك يا صاحب المعجزات ويامن أنزلت عليه الآيات فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام

ورحمة الله وبركاته احامى يا أم الزعازع ولبوة المعامع فجلست عنيترة واستقرت بالجلوس فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم اعلمى يا عنيترة انه لا رهبانية بالدين الاسلام وأريد أن تقبلى منى وتتزوجى بابن عمك الخزروف قال فلما سمعت عنيترة ذلك استحت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله افعل ما تحب وتختار فلست أخالف لك أمرا أبدا يا صاحب الانوار قال فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وأدعا بالخزروف وزوجه بابنة عمه عنيترة على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرح بذلك الخزروف غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وعمل الخزروف الولائم وأكل منها القاعد والقائم وزفت عنيترة على الخزروف وحضى منها بذلك الحسن والجمال والبهاء والدلال *(قال الراوى)* وأما أمية والدة عمروفانها أقامت بعد زواج الخزروف بعنيترة سبعة أيام وهى مريضة من الغيرة وتوفت الى رحمة الله تعالى على دين الاسلام واستقرت بنى عبس وعدنان بمكة حول النبى صلى الله عليه وسلم وما عادوا رفعوا لهم راية فى البر أبدا ولا أقاموا عمدا ولا ضربوا لهم وتدا وكانوا يحضرون الغزوات مع المسلمين فى سائر الاوقات ثم هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة الشريفة ولما فتحت مكة رجعوا اليها وأقاموا فيها *(قال الناقل)* وأما الامير عمرو ذو الكلب فانه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن فى المسير الى دياره والاوطان لينظر أهله والخلان فأذن له بذلك وسار عمرو ذو الكلب ومعه بنى قضاعة الابطال بعدما ودع عنيترة وبنى عبس وسار من معه قبل طلوع الشمس وهو طالب بلاد شريف وسار سيرا عنيف وقد كساهم الاسلام خلعة التشريف وأما قناصة الرجال فانها أقامت عند بنتها عنيترة فى بقية بنى قضاعة الابطال تحضر الغزوات وتصلى الصلوات المفروضة مع الجماعات وقد حسن اسلامها وأكثرت من صومها وقيامها *(قال الراوى)* ورزق الخزروف من عنيترة خمسة أولاد فى دين الاسلام اسم أحدهما شيبوب والثانى عمرو وثالثهم المطال ورابعهم ميسرة وخامسهم غصوب وكل واحد

كأنه ريح الهبوب أو كالماء اذا اندفق من ضيق الانبوب واذ ركب جواد
يقاتل قتال الاسد الوثوب ويناصل مناصلة النمر الكلوب وقد قاتلوا مع
والدتهم عنيترة فى الاسلام وأقاموا كذلك مدة من الزمان وعدة من الايام
وهم يقاتلوا فى ركاب سيد الانام ورسول الملك العلام ساقى من الكفر
كأس الحمام صلى الله عليه وعلى أصحابه الكرام ما غرد القمرى وماناح
الحمام وتوفى جرير فى بعض الغزوات وأقام ناز روف بعده مدة سنة ومات
وقد حزنت عليه عنيترة حزنا عظيم وكانت تقاتل مع النبى صلى الله عليه
وسلم فى سائر الغزوات وتطلب الشهادة فى سائر الاوقات ومازالت كذلك
الى أن قتلت فى غزوات الاحزاب وماتت شهيدة على السنة والكتاب وبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحزن عليها وقال زملوها فى ثيابها لتلقى
الله وهو عنها راض يوم القيامة لانها قد فازت بكل الكرامة وسار عمرو بن
امية الضمرى مقدم سعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم على
اخوته من أبيه أولاد عنيترة وكلا منهم له صولة ومقدرة وسارت بقية بنى
عبس تقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سائر الغزوات الى أن
قتل الملك زهير بن قيس فى بعض الغزوات وقتل ابن حصن فى غزوة تبوك
ولما قتل زهير تأمر بعده ولده ياسر وكان قد رزقه من امرأة تزوج بها
فى الاسلام من نساء المهاجرين والانصار فرزق منها ياسر وحكم على بنى
عبس ومن تبقى منهم وأقام كذلك مدة خمسة أعوام وقتل فى بعض الغزوات
وخلف ياسر ولدا اسمه عمار بن ياسر العبسى وهو من جملة الصحابة المذكورة
﴿قال الراوى﴾ وأما قناصة الرجال فانها أقامت بعد ابنتها ثلاثة أعوام
وماتت على دين الاسلام ودفنت فى بطحاء مكة ﴿قال الراوى﴾ هذا جرى
ها هنا من الكلام وأما ما كان من عروة ذو الكلاب فانه بعد مسيره من
مكة الى بلاده بثلاثة أعوام اشتاق الى أرض زمزم والمقام فسار بمن معه من
بنى قضاعة الى أن وصل الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وطلب منازل بنى
عبس فلما نظروه بنى عبس سلموا عليه وقبلوا يديه وقد سمعوا به أولاد عنيترة

قالوا

فأتوا الآخرين اليه وسلموا عليه وبل شوقه بهم وبكوا على والدهم عنترة بكاء شديدا ما عليه من مزيد وكذلك بكى على أخته قناصة الرجال ولما شق عمرو ذو الكلب غليله ساروا الى المدينة المنورة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن قتل عمرو ذو الكلب فى بعض الغزوات وقضى نحبه ومات منهم بعض جماعة وبقى من بنى عبس وبنى قضاعة بعض جماعة وسار الحاكم عليهم الامير عمار بن ياسر بن زهير بن قيس بن زهير بن خزيمة بن رواحة بن يغيض بن عيسى بن غيلان ﴿قال الراوى﴾ وقد سار عمار بن ياسر بن زهير وقد حكم على الجميع الرفيع منهم والوضيع وأولاد الخزروف الخمسة الذى من عنترة ساروا كبراء بنى عبس وأما عمرو بن الخزروف هو ابن أمية الضمرى فانه كان كبيرهم والحاكم على بنى عبس واميرها وكان الامير عمار بن ياسر يستشيره فى كل الاحوال ويستشاروا من عمرو وسائر الابطال وقد كثر الاسلام واشتهر الايمان ودمرت الاصنام وبان الحلال من الحرام وسار عمرو بن أمية الضمرى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعلا مكان وهو مقدم على سائر السعاة والفرسان والامير عمار بن ياسر سار من كبراء الصحابة والمشار اليه وكل من كان من بنى عبس من زمان الجاهلية قد اتبع دين الاسلام وتركوا ما كانوا عليه من الضلالة ومن فعل الحرام وشرب المدام وتقلبت بهم الدهور والايام وشربوا كأس الحمام وهم الذين كانوا بقيوا من بنى عبس وعدنان ودخلوا الى الاسلام فى أيام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فسبحان من لا تغيره الليالى والأيام ولا الشهور والاعوام ولا يغفل ولا ينام الذى احيي العظام وأجرى الاقلام وفجر الانهار وأنبت الاشجار وخلق الوحوش والاطيار وكل شئ عنده بمقدار العالم بما كان وما يكون الذى أمره بين الكاف والنون ساقى القرون الماضية كأس المنون وأدار عليهم من الموت دولابا وطاحون ﴿قال الناقل﴾ لهذا الروايات والفنون ولقد رأيت من سير الاولين وأخبار المتقدمين وما نقل عن القرون الماضين وقد تمت هذه السيرة العنترية

كاملة الشمايل بربط القوافى والنثر العظيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلى على سيدنا محمد كما أمرتنا بالصلاة عليه بلغ اللهم صلاتنا منا عليه يارب العالمين اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا ممن فاز بمتابعته وأتم بشريعته واقتدى بصحابته واهتدى بسنته اللهم أوردنا حوضه وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته واجمع بيننا وبينه فى مستقر الرحمة والرضوان برحمتك ياذا الجلال والاكرام قال مؤلف هذه السيرة الحجازية فهو الاصمعى رضى الله عنه كان الفراغ من تأليفها يوم الجمعة المبارك فى أواخر جماد الثانى سنة ٤٧٣ من بعد الهجرة النبوية فى أيام الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيدى العباسى وقد أرشدنى الى تأليفها رغبة فى سماع قولها ونثرها ونظمها وقد جمعت ماعندى من الاوراق التى سمعتها عن عنتر ابن شداد فى سائر الآفاق وأيضا مارأيته بعينى وقد رتبت القوافى على بعضها بحسن نظام من غير زيادة ولا نقصان من زبدى الكلام وهذه السيرة الحجازية قد رويتها بروايات القوية عن الحمزة وعن أبوطالب وعن عمرو بن معدى كرب الزبيدى وعن حاتم طى وعن امرئ القيس الكندى وعن هانى بن مسعود وعن حازم المكى وعن عبيدة وعن عمرو بن ودى العامرى وعن دريد بن الصمة وعن عامر بن الطفيل وبعد عنتر تداولت أفعاله على ألسن العرب فالذى رأيته وسمعته صرت أكتبه عندى بالاوراق من أشعار ومن أفعال فى الاقوال الصحيحة والذى لم رأيته ولم سمعته فهو ترتيب القوافى على بعض والله أعلم بالصواب ﴿وبعد﴾ فان الادب والفصاحة والرياسة والمعرفة حسد من هذه السيرة الحجازية العنترية التى هى مفقودة بهذا الزمان وقد تقلدت برسمها سير مقتصرة البيان وتشفعت مابين لطائف غزل أغزل من لواحظ الحور وطرائف نسيب أزهر من محاسن الزهور وتوابع حكمة محكمة الآيات ومحاسن أدب متشابهات غير مشتبهات وفكاهات يتفكه بها كل لبيب ويتروح بريحانها كل أديب أريب فما هى الا روضة أنس قطوفها دانية ومنية نفس تريد أن تبيت من الهموم خالية وقد انتدب

بتصحيحها الافاضل الشيخ خليل جنبلاط والشيخ محمد المنياوى والشيخ ابراهيم السواهج والشيخ صالح رشوان ومن اهالى فنهم الشيخ جعفر رقد حسنوا دقة شعرها وربط ألفاظها وقد طبعت على نسخة مؤلفها وكل انسان لا يخلوا من النسيان وقد انتدب الى هذا التاريخ ملتزم هذه السيرة الحجازية العنترية الفتى الاديب والورع اللبيب النبيل محمد أفندى شاهين الصغير بن العالم العلامة والبحر الفهامة النحرير الشيخ محمد شاهين الشامى الدمشقى وأنشأ يقول

اعنترية برزت من الابكار * فرزت غصون الود بالافكار
ام ريح مسك فاح من عرف الشذا * مذ لاح روح المسك بالاسفار
ام بلبـــل غنى على بان بان * شخصت له الاطيار بالاسحار
أم عنـدليب صاح فى قرية * فتيقظ النوم بالاقـــار
أم ذى سيرة لعنتر تضمنت * لوقائع الدهر القديم الآثار
قد الفها أصمعى عن ابن شداد * فحل الفصحاء ساطع الاخبار
فغدت عروسا ضحى لابدر ابدا * وقرت من التبيان خير الاعصار
رجعت عجائب من مضى قد اسفرت * وتزينت بمحاسن الاعطار
تحكى الاخبار بلفظ رائق * يشفى الصدور برائق الاذكار
تحكى تفاصيل الوقائع وما حوت * من كل مكنون من الآثار
فاذا اطلعت على رقة طبعها * شاركت للماضين فى الاعصار
تعطيك اسرارا بايسر برهة * كمعمر قد فاق فى الاعمار
دمشق خذيها واعلمى ان ليلة * تمر بعودى نعشها ليلة الاقدار
محمد أتى بشاهينين لم يرعاك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة الانشار
ما تمت وقائع الامن محاسنها * والملح منها مكان الشمس بالاقمار
قل للذى عابها من عائب حنق * اقصر فراس قد عبث بالازهار
كنا كغصنين فى جرثومة سبقا * حينا بأحسن ما يحموله الاشجار
حتى اذا قيل قد طالت فروعهما * وطاب قداهما واستنظر الاثمار

أخنى على وحدى ريب الزمان وما * يبقى الزمان على شئ من الاوزار
قد اعتدى والصبح مجر الطرد * والليل يعده وتباشير الاسحار
وفى تواليها نجوم كالشرر * بسحق المبعة ميالة الاعزار
كان يوم الزمان المختصر * وقد بدا أول شخص للانظار
دون أتانى من الخيل عنتر * ضارغدا ينفض صيبا الامطار
من زف ملاح بعيد المذكر * أفنى تظل طيرة على الاحذار
بلدن منه تحت أفنان الشجر * من صادق اورق طروح الاثمار
بعيد توهيم الوقاح والنظار * كانما عيناه فى حرة فى الاحجار
وبدا جال بيانها متسربا * متبلجا كالبدر من بينها الاقمار
وأتى من الاداب كل رقيقة * تزهو بمحاسنها فتزرى الازهار
طيف الخيال عن النيابة بن سدى * الى الحجاز فوافى مضجعى الاسحار
سرى على بعد دار بيمانه * روح النسيم فيهدى منهلا الاعطار
فكم وكم جاز من سهل ومن جبل * ومن وعر الى أم القرى الاوقار
أفديه من زائر ما زارنى أبدا * وذا كرمانسى ودى من الاذكار
وحاضر نصب عينى وهو مبتعد * عنى فاغاب عن عينى من الاحضار
ليت الاراك التى مر النسيم بها * تدرى بشكواى بل ليت النسيم الادار
ما صبر صب له فى كل جارحة * جرح أعاد عليه صبره الاصبار
وطال لما هاجت الشكوى لدغشيا * فقد كرته زمانا مر الافكار
من لى بلا مفنى من خلق كانهما * رغب القطا اذ غدمن الماء بالاسحار
فارقت ريحانتى قلبى وما رضيت * نفسى الفاق ولا اخترت الذل بالابطار
ولم يكونا حبيبين افتقدهما * فى غربتى بل فقدت السمع بالابصار
هما وديعة من يرعى ودائعه * ومن يرى وهو دانى القرب ليس الانظار
فى ذمة الله محفوظان أساله * يكفيهما المكر والمكروه والاحزار
يا قطعة من فؤادى ان عصيت فما * كفاك والدك اللاتى بالاجهار
وانما هى أحكام مقدرة * موصولة بقضاء سابق الاقدار

لا كانت الريح أن تبدى اذا خبرا * من الحبين أو تهدى لهم سائر الاخبار
حسبي من الوجد انى ماذكرتهم * الاتكفكف ماء العين كالانهار
رحلت عنهم غداة البين من برع * وفى الحشاء لهب النيران بالاسعار
وسرت والشوق يطوينى وينشرنى * موصلا بهجير بين لادسار
عسى لطائف ربى أن تبلغنى * قبرا يقر بعينى رؤية الانظار
قبرا بطيبة يسمو انوره صعدا * فيضعل النيرين الشمس بالاقار
حيث الكرامات والآيات ظاهرة * لمن حوى الفخر تعظيما بالافخار
وحيث مهبط جبرائيل ومصعده * يتلو على أحمد الآيات بالاسوار
فرد الجلال فرد الجود مكرمة * فرد الوجود عن الاشياء بالانظار
أعلى العلا قدرا وأتعهم * دارا وجارا واسما فى السماء أذكار
سر السرارة لب اللب منتخب * من هاشم خير مدفون بخير الامذار
هداية الله فى الدنيا وصفوته * فيها وخيرته من ذرا الآثار
ان كان فى الكون موجودا وآدم فى * ماء وطين حماء لم يكن بالاطهار
نبوة قبل خلق الخلق سابقة * ان الامام أمام والوراء بالافخار
السهلة السمحة الغراء ملته * وآله الطيبون السادة الاخيار
اتى وامته اعمياء قد حملت * اضرالخفف انقالا وحل الآزار
على شفا جرف نار فأنقذها * لما أقال بحسن البشر من الاعذار
وقام يتلوا من التنزيل معجزة * تمحو الاناجيل والتوراة بالازمار
ديناقويما أحل الطيبات لنا * لادين من سيب الانعام بالاخبار
وحرم الدم والميتات محكمة * وما أهل لغير الله بالانذار
يكفيك ان الفتى المكى بطلعته * فى ظلمة الشرك بدرا ساطعا الاظهار
فقل لمن لم يحط علما برفعته * على النبيين سل من قد خص بالافخار
يس فيه وطس امتداح علا * والطور والنور والفرقان بالانذار
كم عاندته قريش وهى عالمة * بأنه خير من فوق الثرا الابصار
وكم رعى بالتعفى حق حرمتهم * مبالغا فيهم التحذير بالادار

يلقو المسيئين بالحسنى كعادته * ويوسع المذنبين العفو بالاقدار
للدعاء واعطى صموا لخالطهم * بالرمح باسل فلبوا السيف بالاشهار
وشن غاراته فى كل ناحية * وقام لله والاسلام بالانصار
بفتية من قريش الابطحين ومن * أبناء قيلة أهل التقى الاقار
قوما أقاموا حدود الله وابتدروا * ظل السيوف ليعطوا أجر الاصبار
وأخلصوا دينهم لله واعتصموا * بالله وامتثلوا لله بالانذار
باعوا انفاسهم منه وأنفسهم * بجنة الخلد يعارابح الآشار
ودمروا كل باغ عز جانبه * بالسيف حتى أطاعوا البدو بالاحضار
محبة النبى بين أظهرهم * قام الدين فى الآفاق بالابدار
مبارك الوجه يستسقى الغمام به * غوث الارامل والايتام بالاقفار
كهف المرجين كنز السائلين اذا * غير السنين كت أثراء ١٠٠١ كالامطار
هدية من أسير الذنب مرتجيا * أن يطلق الله بالغفران من الآثار
اليك ياصاحب الجاه العريض رمت * بى الامان والباع لدى بالاقصار
مستعد يامن زمان لانصيربه * يرجى سواك ولا ملجأ للأوزار
أرجو السعادة فى الدارين حائزة * لاحرف فيك منى تشبه الاقار
فاعطف حنانا على محمد شام ومن * يليه باللطف حتى يبلغ الاوطار
فأنت مالى ومأمولى ومعتمدى * وجنتى يوم ألقى الله بالاوزار
لعل ظل لواء الحمد يشملنى * مع الحبيب اذا النار رمت الاشرار
منى عليه تحيات مباركة * تنمى فتستغرق الآصال بالابكار
مالاح زهر الربيع الغر مبتسما * اوعانق الريح غصنا يابس الاخضار
تخص أرواح قوم هاجروا معه * والتابعين ومن آوى من الانصار
موصولة بسلام الله دائمة * مابرق لاح من علويات الحجاز بالآثار
جمعت من كل آداب نغر أرخت * بصدق يحوى بجميع نغارى

٨٩ ١٢٥ ٣٤ ٢٣٦

١٢٨٦